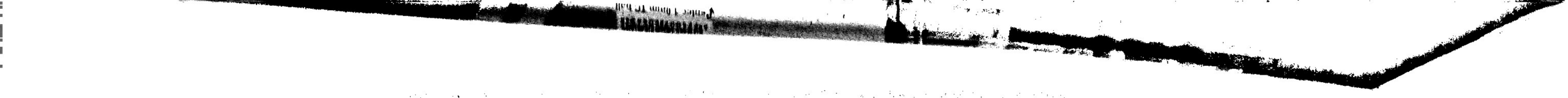

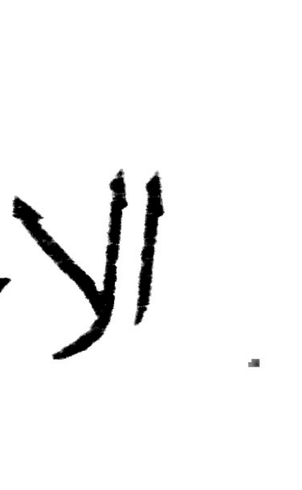

الاتحاد العام للآثاريين العرب

المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي

لاتحاد الجامعات العربية

مجلة

الاتحاد العام للآثاريين العرب

مجلة علمية سنوية محكمة

تعنى بنشر البحوث

في مجال آثار وحضارات الوطن العربي

العدد الرابع يناير ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد تقديم البحوث للنشر

طبقا للقواعد المقررة للنشر فإن إدارة الاتحاد ترجو من السادة الباحثين الالتزام بما يلي :-

1- أن يكون البحث جديداً ولم يسبق نشره في أية دورية أخرى.

2- أن يكون عدد صفحات البحث خمس وعشرين صفحة حجم 17.5 × 24 ومزوداً بملخصين واحد باللغة العربية والآخر بلغة أجنبية .

3- أن تتبع القواعد العلمية فى إثبات مصادر و مراجع المقالات و الأبحاث وفقاً للترتيب التالي :-

(اسم المؤلف – عنوان الكتاب – دار النشر – مكان النشر – التاريخ – الجزء – الصفحة)

علي أن تكون الهوامش مسلسلة بأرقام متتابعة من 1 -100 مثلاً وأن تكون أسفل كل صفحة وليس في نهاية البحث، علي أن تكون الهوامش بنط 12.

4- أن ترد المقالات مطبوعة وفق نظام الناشر المكتبى "IBM" بنط (14) والعنوان الرئيسي بنط (16) أسود ، والعناوين الفرعية بنط (14) أسود ويرفق مع البحث عدد 2 ديسك.

5- أن ترد المقالات بعد تصحيحها لغوياً .

6- يشترط في حالة وجود لوحات أن تكون اللوحات مصورة فوتوغرافياً و تكون مأخوذة Scanner .

7- تستقبل المجلة أيضاً البحوث المدونة باللغة العربية أو اللغات الأجنبية .

* علماً بأن المجلة لا تلتزم برد المقالات التى لا توافق لجنة التحكيم على نشرها .

يرجى في حالة الاستفسار أو الرغبة فى إرسال مقالات الاتصال بنا على العنوان التالى :-

الآثاريون العرب – المجلس العربى للدراسات العليا و البحث العلمى–جامعة القاهرة –المدينة الجامعية للطلاب –شارع ثروت –رقم بريدى 12612 الجيزة –جمهورية مصر العربية0

تليفون:-5676036 –5676055 – 5676048

فاكس :-7602658 E. Mail:acgssr@hotmail.com

ملحوظة : -

سوف نقوم بطباعة البحث بمقابل مادى قدره مائتي وخمسون جنيهاً مصرياً أو ما يقابلها بالعملات الأخرى . وفى حالة وجود لوحات فوتوغرافية أو مخططات معمارية يدفع عن كل لوحة عشرة جنيهات وعن كل مخطط خمسة جنيهات أو ما يقابلها بالعملات الأخرى .

والله ولى التوفيق ،

❖ إدارة اتحاد الجامعات العربية والمجلس العربي :

رئيس مجلس الإدارة :

أ.د. علي عبد الرحمن يوسف
رئيس جامعة القاهرة – ورئيس مجلس إدارة المجلس العربي .

مدير المجلس العربي :

أ.د. معتز محمد خورشيد
نائب رئيس جامعة القاهرة للدراسات العليا والبحوث .

نائب مدير المجلس العربي :

أ.د. ضياء أحمد القاضي .

امين المجلس العربي

أ. يسري رضوان

❖ أسرة تحرير مجلة الآثاريين العرب :

رئيسا التحرير :

أ.د. علي رضوان .
رئيس الاتحاد العام للآثاريين العرب .
أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري
نائب رئيس الاتحاد العام للآثاريين العرب .

مديرا التحرير :

أ.د. محمد محمد الكحلاوي
أمين الاتحاد العام للآثاريين العرب .
أ.د. يوسف الأمين
الأمين المساعد للاتحاد العام للآثاريين العرب .

لجنة التنسيق والمراجعة :

أ. لمياء حسن
أ. غادة الجميعي
أ. شيماء عفيفي
أ. ماجدة علي صابر
أ. ياسر اسماعيل
أ. حسنى عمار
أ. رمضان عوض
أ. خالد درويش

هيئة التحكيم

1. **أ.د. علي رضوان**
2. **أ.د. عبد القادر محمود**
3. **أ.د. شافية بدير**

4. أ.د. زاهي حواس
5. أ.د. تحفة حندوسة
6. أ.د. مها فريد
7. أ.د. إبراهيم بكر
8. أ.د. عزت زكي قادوس
9. أ.د. آمال العمري
10. أ.د. حسين عليوه
11. أ.د. محمد الكحلاوي
12. أ.د. ربيع خليفة
13. أ.د. محمد عبد الستار
15. أ.د. ياسين زيدان
16. أ.د. صالح لمعي
17. أ.د. محمد عبد الهادي
18. أ.د. عز الدين عبد العزيز

فهرس مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب **2003**(العدد الرابع)

ع	الاسم	عنوان البحث	أرقام الصفحات
1	د. أسامة عبد السميع	التضحية البشرية بين الواقع والخيال.	4-1
2	د. رشاد بن محمود بغدادي	حول حملة جايوس قيصر العسكرية وتدمير ميناء عدن.	31-15
3	د. ضيف الله بن يحيي الزهراني	عمارة المسجد الحرام في عهد الملك عبد العزيز آل سعود.	65-33
4	أ. عبد الرحيم ريحان	حقيقة الهيكل المزعوم.	77-67
5	أ.د.م. فاطمة الشناوي	استخدام اسلوبي المستوى الحراري الخامد والصهر داخل قالب في ترميم الآثريات الزجاجية الاسلامية المجسمة.	110-79
6	د. محمد أحمد عوض	دراسة ميدانية لتأثير عاملي التلوث البصري والتلوث الجوي على تمثال رمسيس الثاني بميدان باب الحديد بالقاهرة.	130-111
7	د. محمد السيد عبد الحميد	الأخلاق في بلاد النهرين.	173-131
8	د. محمد الشحات	النبات احد أصول صوت الشين. دراسة في المصرية القديمة والعربية.	197-175
9	د. محمد وهيب	نهر الأردن، بحث في الجانب الشرقي بين المصادر التاريخية والاكتشافات الأثرية الحديثة.	211-199
10	أ.د. مصطفى نجيب	الفكر المعماري وراء ابتكار المروحيات الإسلامية.	238-213
11	أ.د. ناهض دفتر	المدرسة المستنصرية، تخطيطها وزخرفتها.	263-239
12	د.رضا سيد أحمد	Unpublished Varia From Tell el-Balamon 1978	1-11

التضحية البشرية بين الواقع والرمزية
علي ضوء تفسير بعض مناظر" التكنو" في مقابر الدولة الحديثة•

في تقريره عن مصر ذكر[1] Procopius of Caesarea وهو كاتب من القرن الخامس عشر الميلادي، عن التضحية البشرية في مصر من حيث هي واقع كان يمارس في معبد فيلة وكذلك تحدث بعض المؤرخين الإغريق عن ممارسة تلك العادة في مصر[2]، الأمر الذي دعا إلى إثارة الجدل بين مؤيد ومعارض ، سيما وانه مازال ينقصنا دليل قاطع من جانب الوثائق المصرية على إثبات صحة ممارسة التضحية البشرية[3] في الشعائر الجنزية .

وحقيق أن دفنات الخدم والأقارب التي صاحبت المتوفى في حجرة دفنه أو في حجرات جانبية في بعض مقابر الأسرة الأولى[4] قد فسرت على أنها دليل شاهد علي التضحية البشرية في الطقوس الجنزية، إلا أن مثل هذه الدفنات لا تدخل في إطار التضحية الجنزية بمفهومها الدقيق الذي نناقش من خلاله هذا المصطلح ،إذ أن أصحابها انتقلوا إلي العالم الأخر بغرض خدمة ومؤانسة السيد، وأن احتمال قرار الانتقال إلى العالم الأخر بمحض الإرادة ـ وأن قل ـ وارد[5] بينما المقصود بالتضحية البشرية هي تلك التضحية التي تدخل في زمار التخلص من الأضحية بإراقة الدم أو الخنق في إطار طقسه جنزية علي نسق ما كان يحدث تجاه أضاحي الثيران ممثلين في ذلك أعداء الآلهة

والسؤال المطروح إلى أي مدي كانت تمارس التضحية البشرية كطقسه جنزية المفهوم وما هي دلائل تلك الممارسة ؟

من الملفت للنظر ظهور ما يسمي "التكنو"[6] كواحد هام من عناصر الموكب الجنزي[7] منذ الدولة القديمة وحتى بداية عصر الرعامسة[8] دون انقطاع، ولكن مع تغير شكل العرض

•د. أسامة عبد السميع ـ كلية الآداب ـ قسم الآثار والحضارة ـ جامعة حلوان.

[1] Junker, in: Z?S 48, P.70

[2] Griffiths, in: ASAE 43, P. 409 ff.

[3] لاتدخل تحت هذا المفهوم الحالات الاستثنائية التي أدت إلى قتل أو التمثيل بجثث اسري الحرب الذي كان يحدث بين الحين والحين. علي سبيل المثال حين قتل أمنحتب الثاني سبعة من الأمراء السورين= 3. Ukr.IV,1297 وكذلك قتل أمنحتب الرابع بعض الأسرى النوبيين = Smith, Fortress of Buhen. The Inscriptions, in: EES 48, 1976, Tf.29، أو حين علق توت عنخ أمون أحد الأمراء السورين في مقدمة سفينته =Chevrier, in: ASAE 53, 1956,.P.11

[4] Petrie, in: RTI, P. 14,

يشير إلى التضحية البشرية ويعتقد أنها تأثير سامي Montet, Le Drame d' Avaris, Paris, 1914
Emery, Great Tombs of the first Dynastie, II, London,1954, P. 1,2,13

[5] علي لوحة ترجع إلى الدولة الوسطي يقول خازن الغلال عن نفسه (أنة واحد الذي يتبع سيدة في الجبانة) وقد فسرت المقولة للإشارة إلى دفن الخدم مع سيدهم ، إلا أنة لغياب الأدلة الأثرية لتلك الدفنات فمن الأفضل أن نعتبر مثل هذه الأقاويل إشارات إلى خدمة جنزية ، قارن : Sch?fer,Grab und Denkstein des Mittleren Reiches, II, NO 20578

[6] كلمة "تكنو " "tknw"متفرعة من كلمة "Tkn"بمعني " قريب ـ جار " وقد اعتبرها W worterbuch شكل رمزي للأضحية البشرية في المناظر الجنزية، قارن: Wb 5, P. 335, 14 -15

التصويري له طبقا لظروف الفترة التاريخية التي ينتمي إليها المنظر، فكان في الدولة القديمة يصور كلفافة بيضوية الشكل مغطاة بالكامل، لا تفصح عن محتواها ومحمولة علي زحافة[9]
(شكل 1أ +ب) إلا أن شكله بدء يتغير مع بداية الدولة الوسطي وظل علي حالة طوال الفترة التي أطلق عليها Settgast "المجموعة المبكرة "[10]
فصور في اغلب مناظر هذه الفترة كهيئة إنسان مغطي الرأس وجالس القرفصاء ومسحوب علي زحافة (شكل 2).
وفي بداية مرحلة" المجموعة المتأخرة" فقد حاكت اغلب مناظر "التكنو" الشكل البيضوي الذي صور علية في الدولة القديمة، بينما عاد تصويره في مرحلة متأخرة من هذه الفترة كما كان يصور في فترة"المجموعة المبكرة " [11](شكل 3).

---

[7] يمكن حصر المناظر الجنزية في ستة عشرة منظر تجمع من مصادر مختلفة ، وليس بالضرورة أن يحتوي منظر الموكب الجنزي في المقبرة الواحدة علي مجموعها بالكامل وتعريفها كالآتي
1-مغادرة بيت المتوفى وحمل التابوت 2- موكب التابوت إلي المركب والاتجاه إلى صالة التحنيط 3- التحضير للقرابين في صالة الاندماج "tjAbt wsxt " 4- موكب التابوت إلى سايس 5- انتقال موكب التابوت من سايس إلى بوتو 6- استقبال موكب التابوت في بوتو من قبل راقصي "Mw" 7- انتقال موكب التابوت إلى أماكن عين شمس المقدسة 8- النحت والتطهير – مراسم فتح الفم وإطلاق البخور 9- أرجحة التابوت 10**- موكب التكنو وطقوس التبخير** 11- موكب الأواني الكانوبية وحمل أعواد البردي 12- طقوس القرابين 13- إحضار الأدوات الجنزية والذبح 14- حمل التابوت إلى داخل المقبرة 15- نقل التماثيل ورحلة ابيدوس 16- طقسه الحماية. قارن : AltenmûIIer, in:L ?I,p.746 ff.

[8] Barthelmess, Der übergang ins Jenseits in den thebanischen Beamtengr?bern der Ramassidenzeit, in: SAGA 2, 1992, P.56f.

[9] المعروف لدي حتى ألان من مناظر التكنو في الدولة القديمة منظر واحد فقط من مقبرة ايدوت وهو عبارة عن لفافة بيضوية الشكل محمول علي زحافة يسحبها أربعة رجال ومصحوبة بالنص : "sts tkn" سحب التكنو والمنظر يقع في إطار الموكب الجنزي انظر : Macramalla, Le Mastabad' ldout,Bl. 8;Lauer, in : ASAE 54, 1957, P.106f., pl. V

[10] عند البحث في التطورات التي طرأت علي مناظر المواكب الجنزية عبر الفترات التاريخية في مصر القديمة وجد Settgast أن هذه التطورات لا تتناسق مع الفترات المصطلح عليها بالدولة القديمة والوسطي والحديثة ، بل أن ثمة تغير طرأ عليها ابتداء من الدولة الوسطي وظل مصاحبا لعرض المناظر حتى فترة أمنحتب الأول أطلق علية مصطلح "المجموعة المبكرة "0 أما التغير الذي أعقبه فقد أرخه ببداية فترة حتشبسوت وحتى عصر تحتمس الرابع، وهو ما أطلق علية اصطلاحا "المجموعة المتأخرة وسوف نتبع في هذا البحث المصطلحين في تميز المناظر "التكنو "الواقعة في هاتين الفترتين، ونزيد فترة ثالثة أغفلها Settgastفي تقسيماته المعروفة بعهد الرعامسة انظر : Settgast, Untersuchung zu Altgyptischen Bestattungsdarstellungen, in : ADAIK 3, 1963,P.2

[11] لحصر عدد واسماء أصحاب المقابر التي ظهر فيها منظر "التكنو" في كل من فترة " المجموعة المبكرة والمتأخرة " انظر
Settgast,op.cit., Bl. 2,4

أما في عهد الرعامسة فالمعروف لنا وجود " التكنو " ضمن مناظر الموكب الجنزى في مقبرة " نب ونن اف " رقم 158 بذراع أبو النجا و ترجع إلى عصر رمسيس الثاني، و " باحم نثر " رقم 284 بذراع أبو النجا كذلك، وتؤرخ بنهاية الأسرة التاسعة عشر أو بداية الأسرة العشرين[12] (شكل 4 أ)، و منظر واحد فقط مهشم من مقبرة " نفر رنبت " بمنف ويوجد الآن بمتحف بروكسل[13] (شكل 4 ب) 0

و في المنظر الخاص بالمقبرة رقم 284 يظهر منظر سحب " التكنو " في مقدمة الموكب الجنزي، حيث يتكور علي زحافة و لا يرى منه سوى رأس آدمية بينما الجسد مغطى بالكامل و لا يتضح له معالم، و يربط حبل السحب في حلقة مثبتة في الزحافة و يسحب بواسطة رجلين. أما في المقبرة رقم 157 فقد تبقى الجزء الخلفي فقط من المنظر، ولكن بالقياس و المقارنة بالمنظر الموجود بالمقبرة رقم 284 يمكننا تصورة كاملا.

و بعد الإقلال من تصوير مناظر " التكنو " في مقابر أفراد عصر الرعامسة اختفت تلك المناظر تماماً و لم تعد تأخذ مكانها ضمن مناظر الموكب الجنزى. و لعل السبب في ذلك التراجع ثم الاختفاء التام يرجع إلى أن معنى هذه الطقسة لم يعد يفهم ضمن طقوس الموكب الجنزى، كما كان الحال في كثير من مناظر الطقوس القديمة التي تغير مفهومها ثم غمض . فقلت أهميتها و اقتصر في تصوير الموكب الجنزي علي المفهوم منها ، و بذلك استبعدت من تلك المناظر لتفسح المجال لتصوير الموكب الحقيقي الذي كان يجرى بالفعل.

تتضارب الآراء في تحديد الغرض الحقيقي من تصوير " التكنو " ضمن مناظر الموكب الجنزي فقد رأي Davies[14] فيها مخلفات طقسه لممارسات دفن قديمة عندما كان الدفن يتم في وضع القرفصاء، ويقوم بتمثيلها كاهن يلعب دور"التكنو " مؤكداً رأيه في تعليقة علي منظر "التكنو "في مقبر "منتوحرخبشف "[15] (شكل 5 أ) بوجود العبارتين المصاحبتين للمنظر، إذ يري الكاهن الممثل للدور يسير إلى الأمام وتعلوه عبارة "خروج أو ظهور التكنو"، ثم يُرى الممثل منبطحاً في وضع القرفصاء علي زحافة وتعلوه عبارة "ذهاب التكنو"

ووافق settgast[16] رأي Kees [17] بأنه يتعلق بطقسة جنزية 0 ويعلل ذلك بإشارته إلى ظهور الهيئة الآدمية "للتكنو "في مناظر المجموعة المبكرة والفترة الثانية من " المجموعة

---

[12] لتأريخ المقبرتين انظر : Davies, in: JEA25, 1939, P.154f؛ قارن أيضا سيد توفيق ، تاريخ العمارة في مصر القديمة –الأقصر -، 1990، ص 372، 380

[13] Musees Royaux dart et d'histories Bruxelles, p.37, Nr E3053

[14] Davis, Five Tbeban Tombs, London, 1913, P. 10

[15] المقبرة نشرها Maspero لأول مرة
Maspero, Tomdeau de Mem.Miss.Fr.V,2,1891,PP.435-68
Montouhikhopshouf,in:
ثم أعاد Davies نشرها Davies, op. cit., P.10 ff.

[16] Settgast, op.cit., P. 44ff. ; قارن أيضاً: Altenmüller, in: L? I, P. 758

المتأخرة " ويري أنه ربما يقوم بهذه الطقسة أحد الكهنة معضداً رأيه بظهور التكنو على هيئة إنسان غير مغطي في مقبرة "منتوحرخبشف "[18]

(شكل 5 أ +ب)0

وتفسير أخر يطرحه Hornung[19]إذ يرى في هذا المنظر كاهن يقوم بطقسة، بل أن "التكنو " في راية يمثل حاوية لبقايا الجسد وما تبقي من أدوات استخدمت في التحنيط التي لا توضع في الأواني الكانوبية أو التابوت ، وبذلك تشير الرأس الآدمية في راية إلى رمز أخر للمتوفى ويدلل علي ذلك من جانب في نظرته " للتكنو "علي أنة مثله مثل الأجزاء الداخلية الأخرى لجثمان المتوفى التي تحفظ في حاويات كالأواني الكانوبية ، أو التابوت وتحمل جميعاً في الموكب الجنزي علي زحافات ، ومن جانب آخر ذلك الارتباط القوي في بداية الأمر بين "التكنو"ومقصورة الأواني الكانوبية [20] وفي المراحل المتأخرة بين " التكنو " ومقصورة المومياء في عرض مناظر الموكب الجنزي0

وفي تفسيرها تري Barthelmess [21] في صورة "التكنو" التي تمثل لفافة تظهر منها رأس آدمية في مناظر " المجموعة المبكرة" و"المجموعة المتأخرة" إنما تتعلق ببقايا إنسانية أو بقايا أدوات التحنيط لفت في سرة و عقد عليها، و لأن الأمر يحتاج هنا إلى أدلة أثرية تدعم وجود مثل هذه السرة ضمن الأدوات الجنزية داخل المقبرة فهي تري أن هذه البقايا عثر عليها بالفعل ضمن محتويات مقابر العصر المتأخر فيما يسمى بهريم المقبرة في كوة خصصت لهذا الغرض، و من ثم فهي تفترض احتمال وجودها في نفس المواضع في مقابر الدولة الحديثة بالقياس و أن لم يوجد الدليل الأثري علي ذلك [22]

ولعل ربط "التكنو" بمناظر ذبح الأضاحي[23]، وكذلك بالمنظر الذي آل إلينا من مقبرة "منتوحرخبشف" (شكل5 أ) ويمثل التضحية بالنوبيين بالخنق (انظر أسفل) يدعو إلى ربط هذه الطقسة بفكرة التضحية البشرية.

والمنظر المصور في هذه المقبرة (شكل 5 أ) يتالف من ثلاثة صفوف . يصور الصف الأعلى منهم – وهو يشبه المنظر المصور في نفس المقبرة (شكل 5 ب) ـ موكب سلميا

---

[17] Kees, Totenglauben, P. 250ff.

ويرى Kees أنه يمثل الصفة السلبية للإنسان التي ينتهي أثرها بقبرها كما ينتهي أثر أعداء الآلهة بالتضحية بهم وهو المعنى الذي يكمن وراء مناظر ذبح الأضاحي.

[18] Davies, op. Cit., PI. II, VIII

[19] Hornung, Geist der pharaonenenzeit, Zürch/München,1989, XI;Der Mensch, Fisch und Vogel, P:184ff.; Hornung, in: Eraanos Jahrbuch 52, 1983, p. 461f.

[20] لارتباط "التكنو " بمنظر الأواني الكانوبية انظر : Settgast, OP. Cit., p. 27f., 39ff.

[21] Barthelmess, Op. Cit., P. 138

[22] Barthelmess, Die monumentalen Grabbauten der Sp?tzeiten in der Thebanischen Nekropole, Untersuchungen der Zweigstelle Kairo des ?AI V, Wien,1984, p. 104; ملحوظة 105, 187

[23] قارن: Altenmüller,in:L? I, p.756

يرى فيه سحب "التكنو"الممثل في شخص غير مغطي يرقد في وضع القرفصاء ووجهه إلى أسفل علي زحافة0 وبينما يصاحب "التكنو" في المنظر (شكل 5 ب) النص :

" mAA st tknw " = "مراقبة سحب التكنو "

" st tknw Sm. f njwt .f" = " اسحب التكنو حتى يذهب إلى مدينته "

يصاحب هذا المنظر (شكل 5 أ) النص :

" mAA st tknw " = " مراقبة سحب التكنو "0

ويسحب زحافة " التكنو " أربعة أشخاص بينما يسير شخص خامس أمامهم ويحمل شيئا ما رأى فيه Maspero[24]، وهو في رأى علي حق، جلد حيوان 0 والنص فوقه مهشم إلى حد كبير، ولكن يبدو انه يمكن التعرف علي كلمة "mskA"[25] بمعني جلد حيوان (انظر أسفل)

والصف الأوسط يعرض المنظر المعتاد للتضحية بالثيران0

أما الصف الأسفل فيبين رجلين جالسين ويعلو كل منهما كلمة "gnwty"[26] بمعني "مثَّال" وهما كما يصفهما النص من النوبيين "tAA-stj "، ويلتف حول عنقهما حبل يمسك بطرفية رجلان يتخذ كل منهما لقب " hrp " بمعني " المتحكم " ويبدو أنهما في وضع التأهب لشد طرفي الحبل استعداد للخنق0 وبالقرب منهما نوبيان آخران " tAA-stj"[27] ملفوفان ومنبطحان أرضا وأسفلهما كلمة " dHr " بمعني "جلد حيوان[28]وهما في انتظار دورهما ليلقيا مصير صاحبيهما0 والي يمينهما حفرة تحتوي علي عدة أشياء تتضح منها زحافة وشكل مستدير وأدوات أخرى مستطيلة الشكل، ربما استخدمت للتقطيع، وضعت بواسطة رجلين وخلفيهما رجلان آخران يحملان زحافة0 ونتعرف من الكلمتين المصاحبتين للأدوات داخل الحفرة علي الكلمة أسفل الزحافة "qs" بمعني " عظام "[29]والكلمة الأعلى غير واضحة0

والمنظر بتلك التفاصيل يشير بالتأكيد إلى أضحية بشرية، ولكن السؤال في كيفية تأويل تلك الأضحية بين الواقع والرمزية، وما الدلائل علي ذلك؟

افترض Lefébure [30] واقعية تلك التضحية وأقر بمبدأ ممارسة التضحية البشرية في مصر علي نطاق واسع وخاصة عند تقديم القرابين و في شعائر تأسيس المعبد لغرض الحماية الروحية لتلك الأماكن و استشهد في ذلك بشواهد كلاسيكية وضعها في إطار واحد دون التفريق بين الأوضاع المختلفة و أسباب إزهاق الأرواح، و جعلها جميعا تنتمي إلي

---

[24] قارن: Davies, Op. Cit., p.14

[25] قارن wb. II,149. 10-14

[26] قارن: Gardiner, Egyptian Grammar, T 19,p. 514

[27] قارن: Gardiner, Op.Cit., Aa 32, p . 512

[28] قارن: Gardiner, Op.Cit., 603

[29] قارن: Gardiner, Op.Cit., T 19, p . 514

[30] Lefébure, Le Sacrifice humain d'après Ies rites de Busiris et d Abydos, in : Sphinx 3, P. 129ff.

التضحية بمعناها المقتصر الذي أشرنا إليه في المقدمة و مثال ذلك تفسيره لكلمة " sqr jwnw " أسري عين شمس " المذكورة في حجر بالرمو[31] علي أنه تضحية بشرية وغفل أن النص ربما يسجل نصرا عسكريا مثله مثل المنظر الذي ذكر علي الوجه الخلفي للوحة " نعر –مر " في تصويرصفين من الأعداء الشماليين مقطوعي الرؤوس أمام معبد "نيت " الذي لا يمكن اعتباره ضمن مفهوم التضحية البشرية بقدر ما هو إشارة إلي السيطرة على الشماليين0

وفي تقيمنا للربط بين مناظر "التكنو " و " ذبح أضاحي الثيران " و" المنظر الفريد لخنق النوبيين في مقبرة "منتوحرخبشف" نري أنة بالرغم من تلك التلميحات التي تشير ظاهريا إلى التضحية البشرية فإن ثمة إشارة واضحة مازالت تنقص حتى الآن للتسليم بتلك الممارسة كطقسه جنزية أو حتى إدخالها ضمن شعيرة تأسيس المعبد التي أشار إليها Lefébure وان ما ذكر من قبل في إثبات وجود دفنات تابعة من طبقة الخدم والعبيد مصاحبة لصاحبهم بغرض مواصلة خدمته في العالم الآخر في بعض مقابر الأسرة الأولى فإنه ليس بدليل ، كما ذكرنا، لإثبات ممارسة التضحية البشرية لأنه يبتعد عن التضحية البشرية بمفهومها هنا كطقسة جنزية 0

ومن ثم فان ما تصورة تلك المناظر يمكن تفسيره علي وجهين:

الاحتمال الأول : كونها إشارة رمزية لمحاكاة طقسة ترجع إلى أصول ضاربة القدم في فترة ما قبل التاريخ 0 وان لم تكن لدينا دلائل أثرية علي إثبات ذلك، ألا أنة يمكن الربط بين هذه المناظر التي توضح لف محتويات "التكنو" بجلد حيوان والحقيقة المثبتة في عادة دفن الأجساد في فترة ما قبل التاريخ ولفها كذلك في جلد حيوان [32] ، فضلا عن حرص المصريين علي الاحتفاظ بالقديم إلى جانب الحديث 0

ولان ذلك يؤدي إلى ازدواجية تصوير جسد المتوفى فقد لجأ المصري إلى التمثيل الرمزي في تصوير "التكنو" ليبدو كأنه شيء مبهم وغير طبيعي ، وربما يفسر ذلك تلك الأنماط المختلفة التي تظهر عليها مناظر "التكنو " عبر العصور0

وقد أكد Van der Leeuw [33] علي ربط "التكنو" بعادة الدفن في فترة ما قبل التاريخ ذاكرا أن الوضع المعتاد آنذاك كان محاولة لتقليد شكل الجنين الآدمي و ذلك ليؤكد إعادة ولادة الشخص المتوفى ، وهو ما قرب بينه وبين تصوير " التكنو " في حالة القرفصاء[34].

---

[31] Sch?fer, Ein Bruchstuck aIt?gyptischer Annalen, P. 9

[32] Erman, Die Religion der ?gzpter, P.243; Breasted, History of Egypt, 1924, p. 34

[33] Van der Leeuw, Das Sog. H0ckerber?bniss und der ?gyptischen tjknw, in: Studi e Materiali di Storia della Religioni 14, 1938, pp. 151-67

[34] يجب ملاحظة أن أغلبية مناظر " التكنو " التي يتعرف فيها علي الهيئة الآدمية تصوره جالسا في حالة القرفصاء و ليس راقدا في حالة القرفصاء. قارن (شكل 2 + 3)مما يؤكد عدم صحة هذه النظرية.

وإن كنا نري بوجود احتمال للربط بين " التكنو " و عادة الدفن في ما قبل التاريخ و خاصة في اشتراك كل منهما في استخدام جلد الحيوان كغطاء خارجي ، فأننا لا نري بصحة رؤية Van der Leeuw في أن المصريين قد عرفوا وضع الجنين البشري بهذا الشكل في فتره ما قبل التاريخ ، بل أن " طفل نوت " الممثل في إحدى شقافات الدولة الحديثة صور جالسا في رحم أمة [35]، وليس في ووضع القرفصاء 0

الاحتمال الأخر ، وهو الأرجح ، أنها إشارات رمزية تحمل خلفية سحرية يمكن ربطها بذلك الصراع الأسطوري الكائن منذ الأزل بين حورس وست واعوانة ، والذي أكدت علية طقوس "فهرست" في معبد الأوزيريوم بأبيدوس [36]

} دع أحدا يحضر شكل ست مصنوع من الشمع الأحمر علي صدر ذلك الذي كتب اسمه{ والأمثلة عديدة في استخدام البدائل السحرية للنيل من الأعداء ومحاولة إفنائهم، وذلك باستخدام الأشكال الصغيرة التي ترمز إليهم ، والتي عادة ما تصاحب بنص مما يطلق علية "نصوص اللعنة[37]" ، وفي مقالة له عرض Posener[38] اثني عشر تمثالا من المتحف المصري بالقاهرة ترجع إلى عصر الدولة الوسطى صوروا مقيدين من الخلف في الوضع المعتاد لتصوير الأعداء وتحتوي علي أسماء مصرية علي خلاف الأسماء المذكورة في"نصوص اللعنة " التي غالبا ما تحتوي علي أسماء أجنبية، وقد استخدمت لأغراض سحرية ضد ست وأعوانه ، ويمكن مقارنة، نصوصها بتلك التعاليم التي وجدت في كتاب صراع أبوفيس 0

}وبعد أن تكتب هذه الأسماء لكل الأعداء رجال و نساء، هؤلاء الوجلة قلوبهم، و خاصة أعداء الفرعون، أحياء و أمواتا و أسماء آبائهم و أسماء أمهاتهم و أسماء أولادهم في الصندوق (؟)، يصنعون من الشمع ويضعون في النار بعد ذكر أسم "عبعب " ثم يحرقونها[39]{ توضح اتجاه الفكر المصري إلي استخدام الرموز و البدائل السحرية للتخلص من أعداء الفرعون و القوي الشريرة التي تساوت بست و أعوانه دون اللجوء إلي التضحية البشرية، و ذلك ما يجعلنا نقارن تلك الفكرة بمناظر التضحية و ربطها بتصوير " التكنو" علي أنه يحمل فكرة رمزية للتضحية بالقوة العدائية لصاحب المقبرة، و لكن ليس بالضرورة أن تكون تضحية بشرية.

و من ثم يمكن الإشارة إلي تلك الرمزية في عدة نقاط نناقشها كالتالي:

---

[35] Haas, Bilderatlas zur Religionsgeschichte, 2-4, 1924, fig. 7

حيث يجلس الطفل في رحم أمة في وضع طفل الهيروغليفية (Gardiner, Op. Cit., A 17) ؛ بخصوص عدم معرفة المصريين بوضع الجنين انظر : Grapow, Anatomie und Physiologie,Grundriss der Medizin der alten, ?gypter,p. 89

[36] Schott, Urk. VI, P . 5

[37] Posener, in: L? I; 67ff.

[38] Posener, Nouvelles Iistes de Proscription, in: CdE 27, 1939, PP. 39-46

[39] Bremner –Rhind 28 Faulkner,s translation, JEA 23,P. 175

- بالرجوع إلي تصوير خنق النوبيين في الصف الأسفل من المنظر الموجود في مقبرة " منتوحرخبشف "(شكل 5 أ) يلفت النظر كلمة " لمة "gnwty" المكررة فوق النوبيين الدالة علي وجود تشخيص للمواقف و عدم حقيقية الأشخاص المصورين[40] . و الكلمات موضوعتان داخل إطاران مستطيلان ربما للدلالة علي علامة الأسر ، كما اقترح Davies [41]و جدير بالملاحظة ذلك الوضع المصور عليه الشخصان، حيث يجلسا غير مكبلي الأيدي علي غير المعتاد في تصوير مناظر الأسرى الذين يصورن غالبا مكبلي الأيدي من الخلف و جزعهم مائل إلي الأمام في تصوير حيوي يدل علي إبداء بعض المقاومة المنطقية، بينما يصور النوبيان في هذا المنظر في وضع يوحي بالهدوء دون مقاومة لما يجري عليهم من إزهاق للروح و كأن الأمر لا يعنيهم، ذلك لأننا هنا بصدد تمثيل رمزي للتضحية بالنونيين الذين ناصرو ست بعد هزيمة من حورس في إدفو و فراره إليهم . فالتضحية البشرية هنا هي إشارة رمزية تعادل في مغزاها تلك التضحية التي تمارس في الموكب الجنزي للتخلص من القوي المتحالفة مع ست ضد حورس، الذي يمثل صاحب المقبرة صورة منه[42]ظهور " التكنو " في المنظرين من مقبرة " منتوحرخبشف " (شكل 5 أ الصف الأعلى و شكل 5 ب) في هيئة بشرية كاملة غير مغطاة مع النصوص المصاحبة لها (انظر أعلاه)المشيرة إلى تمثيل درامي لطقسه جزية يقوم بها شخص ، ربما كان كهنا، تؤكد تلك الرمزية وعدم الارتقاء إلى الممارسة الفعلية للتضحية البشرية في هذه الطقسة0

ـ تؤكد النصوص الخاصة بتأسيس المعبد علي عدم احتواء ودائع الأساس علي ما يشير إلى استخدام التضحية البشرية ، بل شملت أجزاء من أضاحي حيوانية كفخذ ثور وعدداً من ضلوعه ، ورأس عجل وإوزة فصلت رأسها عن جسدها.[43]

ـ الحصر الشامل لمناظر "التكنو" سواء في شكلها الكمثري الملقي غلي زحافة أو في شكلها كهيئة إنسان جالس القرفصاء علي زحافة يتعرف منة علي الرأس فقط بينما يلف باقي الجسد بحيث لا تتضح معالمه ، قارن (شكل 2 +3)، يؤكد علي أنها تتحد جميعا في إبراز الغطاء الجلدي الذي يستر ويحوي أجزاء "التكنو" وحتى في أحد منظري "التكنو "الذي ظهرا في هيئة إنسان كامل في وضع القرفصاء وغير مغطي عند "حرخبشف" ظهر في مقدمة المنظر شخص يحمل غطائه الموصوف بكلمة"mskt"[44]"جلد حيوان " (شكل 5أ)

---

[40] انظر ملحوظة رقم 26

[41] Davier, Op. Cit., P . 15

[42] قارن : Altenmüllr, Der Grabherr des Alten Reiches als Horus, sohn des Osiris, in: ANKH 4/5, 1995-1996

[43] Bonnet, Reallexikon der ugzptischen Religionsgeschichte, 1952, p. 263f.,

بخصوص شعائر تأسيس المعبد ارجع ألي :

El Adly, Das Gründung- und Weiheritual des ؤgzptischen Tempels, Tübingen, 1981

[44] Wb. Ll, 149, 10-14

ويشير ذلك إلى أن "التكنو" في اغلب المراحل الذي صور فيها كان إنسان مغطي بجلد الثور الذي يحمل رمز للأضحية وليس هو الأضحية نفسها 0
والمقارنة بين زيل الغطاء الحيواني في مقدمة المنظر في الصف الأعلى (شكل 5أ)وزيل الثور المضحي به في الصف الأوسط (شكل 5 أ) تؤكد أن هناك تطابق في نوع الحيوان في كلتا الحالتين ، وهو الثور0
وعلاوة علي ذلك فأن كلمة "mskA" التي قربها Lefebure [45]من "mskt"[46]تستخدم للتعبير عن جلد ست عند معاقبته [47].

وخلاصة البحث أنة ليس لدينا أدلة ثابتة علي ممارس واقعية للتضحية البشرية في الإطار الجنزي الذي حدده هذا البحث، وان التصوير الذي ظهر في مقابر الدولة الحديثة هو بمثابة إشارة رمزية للتخلص من أعداء الإله وأعوان ست الذين رمز لهم بالنوبيين لارتباطهم الأسطوري بذلك الدور كأعوان لست ضد حورس، وكذلك لربطهم بفكرة الأسر والعبودية 0

وان مناظر "التكنو" إنما تصورطقسه جنزية تمارس ضمن طقوس الموكب الجنزي يرمز فيها إلى التضحية كذلك 0 والغرض منها التضحية بالقوة المعادية للآلة ولصاحب المقبرة ، وان اختلفت في عرضها منذ الدولة وحتى نهاية عصر الرعامسة ومرت بأربع مراحل من العرض ، مع وجود بعض الاستثناءات :

- آخذت في الدولة القديمة الشكل الكمثري الراقد علي زحافة، الذي لا يفصح عن محتواة 0
- آخذت ما تسمي بمرحلة "المجموعة المبكرة "شكل ادمي ملفوف يجلس القرفصاء علي زحافة 0
- عادت خلال الفترة الأولى من مرحلة "المجموعة المتأخرة "إلى الشكل الكمثري القديم 0
- ثم آخذت مرة أخرى في الفترة المتأخرة من مرحلة "المجموعة المتأخرة "وما بعدها الشكل الآدمي الملفوف الجالس علي زحافة 0

وفي رأينا أن "التكنو "منذ بداية تصويره وفي اغلب مراحله المتأخرة يحتوي علي أجزاء من أضحية حيوانية تختفي تحت الغطاء الجلدي الذي يعطي الشكل الخارجي 0 وهناك دليل واضح علي تلك الإشارة في منظر عند Davies يصور حفرة تحتوي علي

[45] Lefebure, Etude sur Abydos, in: PSBA, 15, 1893, 443ff.
[46] لمزيد من المعلومات عن "mskt" جلد الثور وعلاقتة بست انظر :
Griffiths, The Tekenu, the Nubians and the Butic Burial, in: Kush 6, 1958, 113f.
[47] Maspero, sur quelques Papyrus du Louvre, P. 40

كلمة" tknw"[48]، تضم شعر أرجل أمامية وقلب ثور ، والطريف أن الكلمة كتبت بالمخصص الذي يعني الجزء الخلفي من الثور [49]0

وقد يفسر التذبذب بين الشكل المبهم والشكل الإنساني عبر الفترات المختلفة هو الاستعانة بين الحين والحين بالتمثيل الإنساني لتلك الأضحية مع الإشارة دائما في كل الحالات إلى أن الأضحية حيوانية وليست إنسانية0

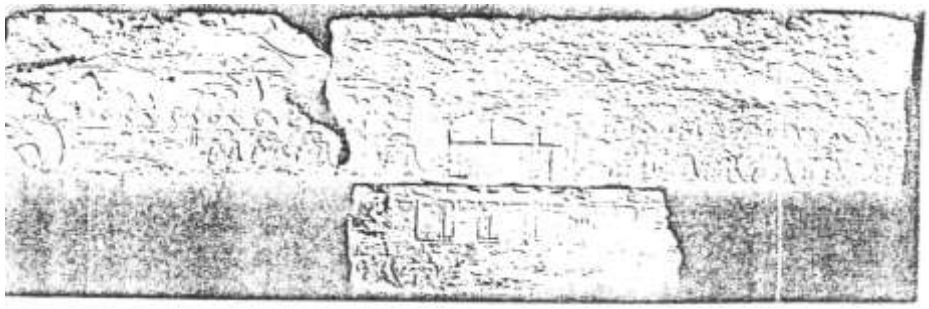

شكل 1 أ : منظر "التكنو" البيضوي من مقبرة " ايدوت" – سقارة –الاسرة السادسة - الدولة القديمة

عن : Macramalla, Le Mastaba d'Idout, Bl. 8

شكل 1 ب : رسم توضيحي للمنظر السابق

عن : Settgast, Untersuchung zu Alt ägyptischen Bestattungsdarstellungen, in: ADAIK 3, 1963, Bl. 1

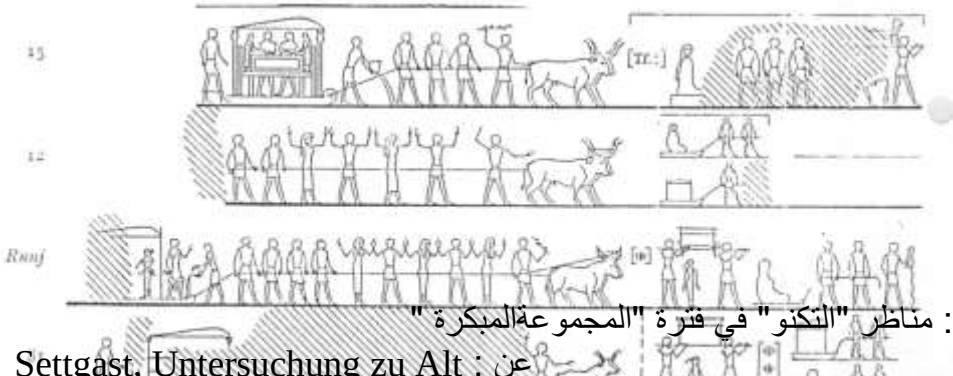

شكل 2 : مناظر "التكنو" في فترة "المجموعةالمبكرة"

عن : Settgast, Untersuchung zu Alt ägyptischen Bestattungsdarstellungen, in: ADAIK 3, 1963, Bl. 2

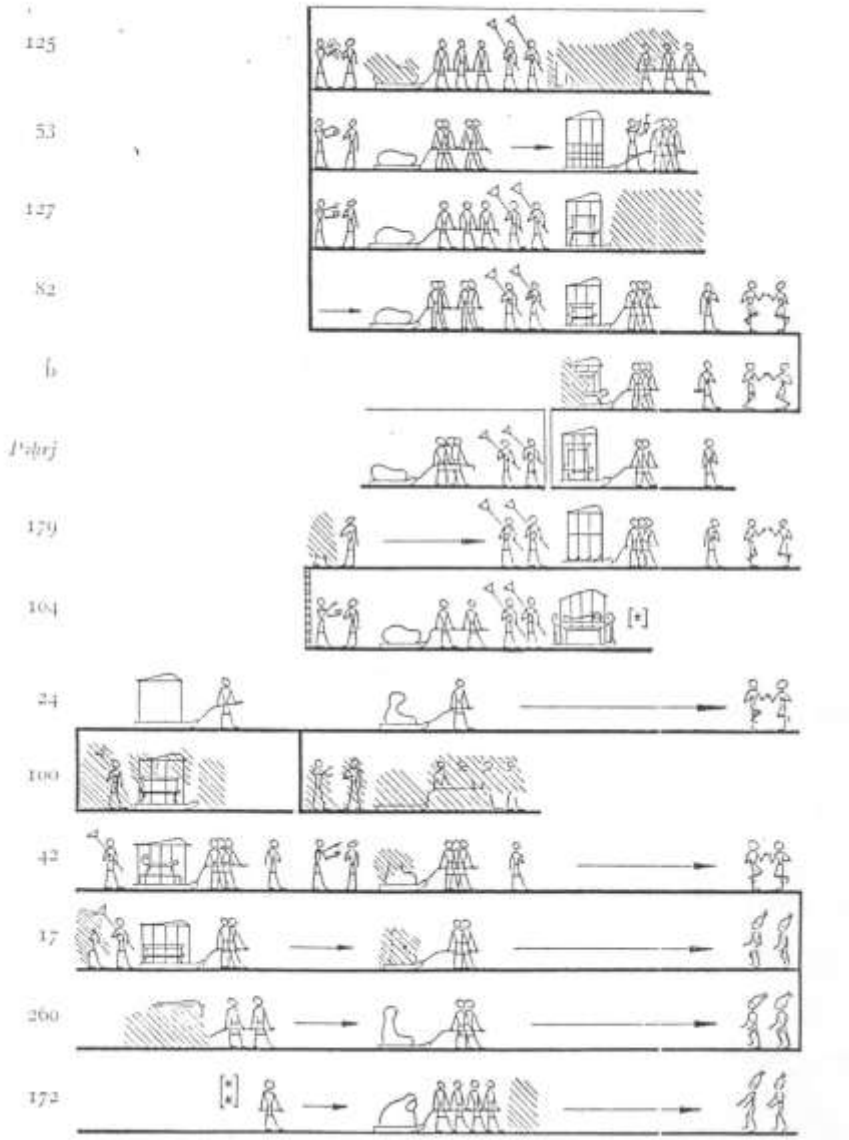

شكل 3 : منظر "التكنو" في فترة "المجموعة المتأخرة"

عن : Settgast, Untersuchung zu Ait äguptischen Bestattungsdarstellungen, in: ADAIK 3, 1963, Tf.

شكل ٤ أ : رسم توضيحي لمنظر سحب "التكنو "من مقبرة "باحم بثر" - ذارع أبو النجا - الاسرة التاسعة عشرة - الدولة الحديثة

عن :

Barthelmess, Der Übergang ins Jenseits in den thebanischen Beamtengräbern der Ramassidenzeit in : SAGA 2, 1992, Abb. 10

شكل ٤ ب : رسم توضيحي لمنظر سحب "التكنو "من مقبرة "نفر رنبت" - منف - الأسـرة التاسعةعشـرة - الدولة الحديثة

عن :

Barthelmess, Der Übergang ins Jenseits in den thebanischen Beamtengräbern der Ramassidenzeit, in : SAGA 2, 1992, Abb. 10

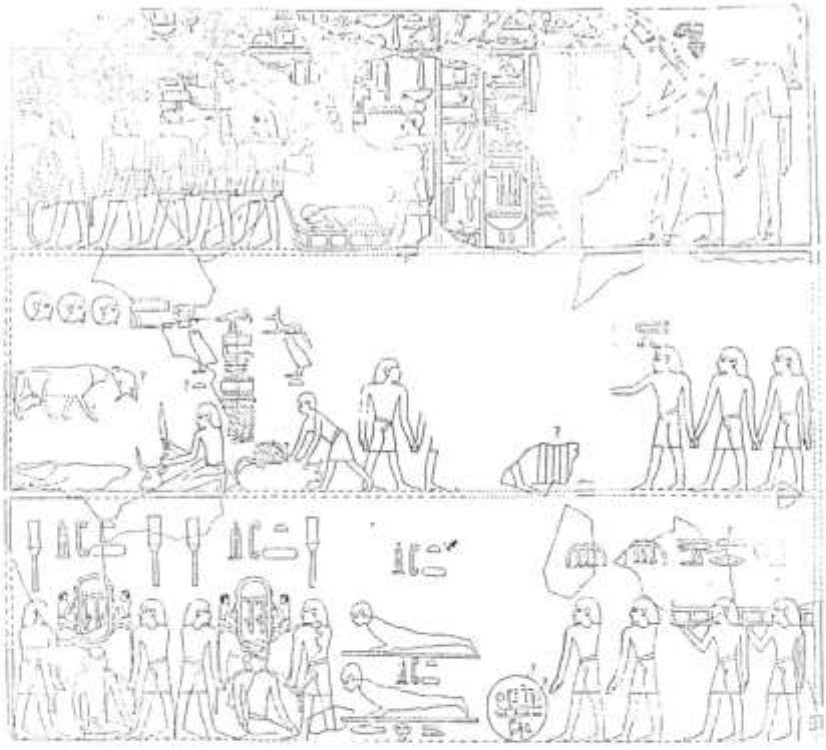

شكل ٥ أ : منظر يجمع سحب "التكنو" في هيئة بشرية واضحة وذبح الأضاحي وخنق النوبيين من مقبرة "منتو حرخبشف" – عصر تحتمس الثالث – الأسرة الثامنة عشرة-الدولة الحديثة

عن : Davies, Five Theban Tombs,pl.VIII

شكل ٥ ب : منظر سحب "التكنو" في هيئة بشرية واضحة "منتوحرخبشف" – عصر تحتمس الثالث – الأسرة الثامنة عشرة –الدولة الحديثة

حول حملة جايوس قيصر العسكرية وتدمير ميناء عدن

د. رشاد بغدادي•

الجزيرة العربية، وبخاصة الجزء الجنوبي، كانت تحتل موقعاً هاماً وحيوياً بين دول العالم القديم،لاحتكارها وسيطرتها على الطرق البرية والبحرية للتجارة العالمية في العصور القديمة، وكذلك لكثرة خيراتها من المحاصيل الطبيعية مثل نباتات التوابل والطيوب والمر واللبان والقرفة والتي تجد لها أسواقاً رائجة، وبأسعار عالية في مناطق العالم القديم، حتى اشتهرت عند اليونان ببلاد العرب السعيدة، لذلك أصبح جنوب شبه الجزيرة العربية ميداناً للتنافس والصراع بين الدول الأجنبية العظمى من أجل السيطرة على هذه المنطقة العربية خلا العصور القديمة.[1]

ففي الشطر الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد حظيت بلاد العرب باهتمام الاسكندر المقدوني بعد عودته إلي بابل من حملته العسكرية المشهورة[2]، فقد فكر فعلياً في غزو هذه المنطقة لأهميتها[3]، وصرف الاسكندر المقدوني الجزء الأكبر من عامه الأخير في

• د. رشاد بن محمود بغدادي ـ أستاذ مشارك التاريخ القديم ـ قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى

[1] حول هذا الموضوع أنظر:

محمد السيد غلاب:"التجارة في عصر ما قبل الإسلام" دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الرياض، جامعة الملك سعود، 1404هـ/1984م، ص 190 وكذا.

السيد محمد يوسف علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلي القرن الرابع الهجري"، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، القاهرة 1953م، ص 3 وكذا.

Rostovtzeeff, M., Caravan Cities of the East,Oxford, 1932, pp. 20-22.

[2] حول حملة الاسكندر المقدوني بالتفصيل أنظر:

Arrian, Flavius., The Campaigns of Alexander, tr. By Aubrey De Selincourt. Middlesex, Penguin Books 1971.

Hamilton, J.R., Alexander the Great. London 1973.

[3] حول الأسباب التي دفعت الاسكندر المقدوني للتفكير جدياً في الاستيلاء على الجزيرة العربية بالتفصيل أنظر:

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني ،دار العلم للملايين بيروت 1969م، ص5-6 وكذا.

محمد بيومي مهران:"العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة" ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس، الرياض 1396/1976م ،ص413.

منذر البكر:"صور من كفاح عرب الخليج في عصور ما قبل الإسلام"، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد الثاني 1975م، ص35-36.

كما يذكر أحد الباحثين بأنه في اعتقاده أن العامل الاقتصادي كان الدافع الأول لمشروع الإسكندر المقدوني الرامي إلي فرض سيطرته على بلاد العرب على الرغم من ان هناك من يرى أن أسباباً سياسية ودينية كانت وراء ذلك أنظر:

الاستعداد الفعلي لتنفيذ حملة عسكرية للسيطرة على بلاد العرب، فأرسل خمس حملات استكشافية في عام 324ق.م هدفها جمع المعلومات الممكنة عن سواحل الجزيرة العربية والجزر القريبة منها، وبعد أن تمت الاستعدادات لتنفيذ الحملة التي قرر اسناد قيادتها إلي قائده العسكري نيارخوس Nearchus لم تخرج الحملة إلي حيز التنفيذ بسبب وفاة الاسكندر المقدوني المفاجأة عام 323ق.م[4] كما أمر - من بعده - بطليموس الثاني فيلادلفيوس(282-246ق.م) المستكشفين اليونان بالإبحار حول شبه الجزيرة العربية، ولكنهم لم يتمكنوا من إكمال الإبحار حولها، وعادوا إلي النقاط التي إنطلقوا منها بعد أن قطعوا مسافات متفاوتة.[5]

وعندما نجح الرومان في الشطر الأخير من القرن الأول قبل الميلاد في القضاء على دولة البطالمة في مصر وتحويلها إلي ولاية رومانية، حظيت الجزيرة العربية باهتمام الرومان وفكروا جدياً في إرسال حملة عسكرية للسيطرة على الجزء الجنوبي منها، فاصدر الامبراطور الروماني أغسطس Augustus (27ق.م-14م) إلي واليه في مصر إيليوس جاللوس Aelius Gallus (حكم ما بين 26-24ق.م) بتجريد حملة عسكرية للسيطرة على بلاد العرب السعيدةArabia Eudaeman لكثرة خيراتها وسيطرتها وتحكمها في طرق النقل التجاري بين دول العالم القديم، ولتأمين مداخل البحر الأحمر ليصبح بحراً رومانياً لضمان تأمين الطرق التجارية التي تربط الإمبراطورية بالشرق وبخاصة الهند.[6] ولم

مسفر بن سعد بن محمد الخثعمي:" الأثر السياسي والحضاري لدرب البخور في عصور ما قبل الإسلام"، سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، محرم - صفر 1422هـ/أبريل2001م، ص90(97).

4 أبو اليسر فرح: الشرق الادنى في العصريين الهللينيستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2002م، ص36-38 وكذا

محمد بيومي مهران: المرجع السابق - ص414-415. وكذا.

Altheim, F, Weltgesshichte Asiens im grlechischen Zeitalter. Hall/ Saala, vol. I, 1948,p.212.

[5] محمد السيد عبد الغني: شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1999م، ص17 وكذا

أبو اليسر فرح: المرجع السابق، ص56-57 وكذا

Tarn, W.W,"Ptolemy II and Arabia", JEA,15,1929, pp. 13-14.

[6] حملة إيليوس جاللوس بالتفصيل أنظر:

Strabo The Geography of Strabo. Tr. By Horac Leonard Jones. Cambridge, Harvard University Press, 1917-49, BK. XV1,4.22-24.

جواد علي: المرجع السابق - الجزء الثاني، ص 43-50 وكذا.

محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 416-419 وكذا.

أبو اليسر فرح: المرجع السابق، ص266- 268 وكذا.

لطفي عبد الوهاب يحيي: العرب في العصور القديمة، بيروت1979م، ص424 –427. وكذا

تنجح الحملة في تحقيق هدفها هدفها الظاهري وهو سيطرة الرومان على جنوب الجزيرة العربية وإخضاع العرب لإرادة الرومان أو التوصل إلي اتفاق سياسي وتجاري معهم، لأن الهدف الحقيقي من الحملة كان هو ضمان أمن الطرق التجارية ما بين الإمبراطورية الرومانية مع الجزيرة العربية، مصدر السلع الثمينة التي عرفها الرومان، عن طريق مصر والإسكندرية[7].

انتهت حملة إيليوس جاللوس دون تحقيق هدفها العسكري ولكنها كشفت الغموض والاسرار اللذين كانا يحيطان بالجزيرة العربية مصدر السلع الثمينة، حيث ذكر الكاتب الروماني بلينيوسPlinius انه بفضل هذه الحملة عرف الرومان شيئاً عن المعينيين والسبئيين والحميريين، وبدأ اليونان والرومان يعرفون ويكتبون عن السكان العرب في الجزيرة العربية.[8]

كان قيام الإمبراطورية الرومانية(31ق.م-476م)[9]، في القرن الأول قبل الميلاد حدثاً هاماً في التاريخ القديم، فقد انضمت عناصر بشرية كبيرة بلغت ما بين 70-80 مليوناً

محمد عبودي إبراهيم:" استرابون يتحدث عن إيليوس جاللوس على بلاد العرب" مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، المجلد التاسع والثلاثون، الإسكندرية 1992/1991م، ص501 –534 وكذا.

سيد أحمد علي الناصري:"الرومان والبحر الأحمر"، مجلة الدارة، العدد الثاني، الرياض، ربيع الأول 1401هـ/يناير 1981م، ص 20-26 وكذا.

إبراهيم يوسف أحمد الشتلة:" حملات الرومان على الجزيرة العربية"، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة، الرياض 1404هـ/1984م،ص 101-111. وكذا.

Jameson,S.''Chronology of the Campaigns of Aelius Gallus and C. Petronius'',JRS,vol.58,1968.

[7] مصطفى كمال عبد العليم:"تجارة الجزيرة العربية في مصر في المواد العطرية في العصريين اليوناني والروماني"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض 1404هـ/1984م، ص 207 وكذا.

محمد عبودي إبراهيم:المرجع السابق، ص532.

[8]Pliny. Natural History, ed. By H. Rackham, Cambridge, Harvard University Press, 1958, BK.VI,32,161.

سيد أحمد علي الناصري:المرجع السابق، ص26.

[9] حول تاريخ الامبراطورية الرومانية بالتفصيل أنظر:

Salmon, E.T. A History of the Roman World, Methuen, 1977.

Millar,F.K. The Roman Near East. 31 B.C.- AD 337, 2nd Edition, Harvard 1994.

Grant M. History of Roman, Faber edition, London 1970.

عبد اللطيف أحمد علي: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، القاهرة 1972م. وكذا

مصطفى العبادي: الإمبراطورية الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.وكذا

إبراهيم رزق الله ايوب: التاريخ الرومني، الشركة العالمية للكتاب، بيروت 1996م.

من السكان تحت حكم هذه الدولة، فاصبح بالتالي الطلب على السلع والبضائع الثمينة مثل البخور والطيوب والتوابل الآفاوية والأحجار الكريمة والعاج في زيادة[10]، وعليه اصبح ضمان أمن وسلامة الطرق التجارية التي تربط الإمبراطورية بمناطق هذه السلع وهي الجزيرة العربية وشرق افريقية والهند وبلاد الشرق البعيدة عن طريق البحر الأحمر ومضيق باب المندب وبحر العرب ثم المحيط الهندي، أمراً حيوياً ومهماً بالنسبة للإمبراطورية، وقد ادرك الامبراطور اكتافيوس أوغسطس[11] Octavianus Augustus(حكم ما بين 31ق.م - 14م) كل ذلك وعقد العزم على تحقيق هذا الهدف بأية وسيلة وبدأ بسياسة استخدام القوة العسكرية بإرسال حملة إيليوس جاللوس عام 24ق.م. والتي اخفقت من الناحية العسكرية في تحقيق الهدف من إرسالها - كما ذكرت سالفاً - وكان من الضروري أن تعقبها حملات رومانية أخرى لتدعيم أهداف هذه الحملة[12]،حيث تشير المصادر التاريخية إلي حملة رومانية أرسلها الامبراطور أغسطس عن طريق البحر بعد حملة إيليوس جاللوس بأكثر من عشرين سنة بقيادة حفيده وابنه بالتبني جايوس لوكيوس قيصر وان كلمة "قيصر Kaisar" تعني جايوس قيصر أغسطس،[13] لتدمير ميناء عدن.

---

[10] نقولا زيادة:"دليل البحر الارثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة آل سعود، الرياض 1404هـ/1984م، ص261.

[11] ولد اكتافيوس (اكتافيوس Octavianus) في 23 سبتمبر عام 63ق.م. وأمه كانت آتيا Atia ابنة جوليا Julia اخت يوليوس قيصر، وأبوه كابيوس اكتافيوس الذي ينحدر من أسرة محترمة من فليترو Velitrae القريبة من روما وسط ايطاليا، وقد توفى والده وهو في الرابعة من عمره فتولت أمه تربيته، وقد تبناه يوليوس قيصر وشمله بعطفه ومحبته وأورثه الجزء الأكبر من ثروته، وبعد اغتيال جده يوليوس قيصر اكتافيوس Gaius Julius Caesar Octavius وطالب بصفته ابن يوليوس قيصر ووريثه الشرعي بالإرث المتروك، واصبح اكتافيوس بحلول عام 29 ق.م سيد روما الغير منازع، وفي عام 27ق.م اتخذ لنفسه لقب اغسطس Augustus ، واصبح بعدها مشهورا بهذا اللقب.
انظر بالتفصيل:

Earl, D. The Age of Augustus, London 1968, p.11, Grant,M, op. Cit.
Chishlom,k, Furguson, J, Rome "The Augustan age", Oxford University press 1981.

عبد اللطيف أحمد علي: التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، القاهرة 1988م، ص 338-362.
وكذا
مصطفى العبادي: المرجع السابق، ص 69-85 . وكذا
إبراهيم رزق الله ايوب: المرجع السابق، ص 235.

[12] محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق، ص 141.

[13] ولد جايوس قيصر : Gaius Caesar في عام 20ق.م. وأمه جوليا(39ق.م –14م) ابنة أغسطس الوحيدة، وابوه ماركوس فيبسانيوس أجريبا Marcus Vipsanius Agrippa (63-12 ق.م) القائد

ولقد دار جدل بين العلماء والباحثين حول حملة جايوس قيصر إلي جنوب الجزيرة العربية وتدمير ميناء عدن وظهرت آراء تشكك في وقوعها، وآراء تؤكد على وقوعها، وقدم هؤلاء العلماء والباحثون اجتهادات وفرضيات مختلفة حول هذه الحملة، ولعل منشأ الجدل يعود إلي إشارة في كتاب الطواف حول البحر الأريتري[14] عن تدمير ميناء عدن حيث ذكر المؤلف:

" انه فيما وراء أوكليس Ocelis[15] ، يتسع البحر مرة أخرى نحو الشرق حيث نشاهد المحيط الواسع، وبعد نحو ألف ومائتي ستاديا[16] تقع العربية اليوديمونية[17] Eudaemon

---

الحربي والإداري القدير الذي أخلص للامبراطور اغسطس وحقق له النصر في معظم معاركه، فكان هو القائد المفضل لديه والذي كان ستوكل إليه السلطة في الامبراطورية بطبيعة الحال إذا امتدت الحياة بعد أغسطس حتى إنه سلمه خاتم الدولة عند مرضه في عام 23 ق.م. ولكن بعد شفائه جعل الامبراطور اغسطس للقائد أجريبا السلطة البروقنصلية على جميع ولايات الامبراطورية، وكان أجريبا قد تزوج من ابنة الامبراطور اغسطس جوليا في عام 21ق.م بعد وفاة زوجها ماركيلوس Marcellus ابن عمتها عام 23ق.م. ونظراً لأن الامبراطور اغسطس لم ينجب خليفة يحكم من بعده كان يأمل أن يكون خليفته من أسرته، ففي عام 17ق.م تبنى حفيديه من ابنته جوليا وزوجها أجريبا وهما جايوس قيصر ولوكيوس قيصر معتقداً إنه بذلك قد حل مسألة الخلافة على الحكم، وفي عام 12ق.م. توفى القائد أجريبا، ورشح ابنه جايوس قيصر، وحفيد اغسطس، في عام 6 ق.م لمنصب القنصلية فأظهر اغسطس اعتراضه على ذلك ولكن مجلس الشيوخ صوت بالموافقة على ان يصبح جايوس قنصلاً بذلك في العام الأول قبل الميلاد، ومارس صلاحياته فقام بزيارة للدانوب والبلقان ومنها إلي الشرق ليقود حملات من اجل استقرار الأوضاع في ارمينيا والحدود مع البارثيين توفى جايوس قيصر في 21 فبراير عام 4 ميلادية نتيجة جرح اصابه في إحدى حملاته العسكرية بأرمينيا.أنظر:

Earl, D. op cit, pp 177-181:

[14] الاسم الشائع للكتاب هو: الطواف حول البحر الأريتري:

(The Periplus of the Erythaean Sea) ويسمي عند البعض دليل البحر الأريتري، مؤلفه وكاتبه مجهول، وفي رأي انه أحد التجار الملاحين من مصر الرومانية ، وكتب في حوالي منتصف القرن الأول الميلادي والمرجح انه وضع ما بين 50-80 ميلادية. انظر بالتفصيل:

Casson, L. Periplus Maris Erzthraei, Princition, 1989.

Schoff, W.H. The Periplus of the Erzthaean Sea, New Zork, 1974, pp. 7-16.

محمد السيد عبد الغني: المرجع السابق، ص 141.وكذا

سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق، ص 31-32. وكذا

نقولا زيادة: المرجع السابق، ص 263-268.

[15] أوكليس Ocelis يقع عند مضيق باب المندب ومن المحتمل أن يكون هذا الميناء قد بني خصيصاً للسلع الهندية تنتهي السفن عنده ولاتتجاوزه إلي ميناء موزا Muza، ومنه تتزود السفن بالماء في طريقها للهند، وربما تكون مدينة سلا الحديثة هي أوكليس القديمة أنظر:

Plinz, op. Cit. , BK. VI, 104.

Schoff, W.H. op cit. P.115.

نقولا زيادة: المرجع السابق، ص 271 (19). وكذا

Arabiaوهي قرية ساحلية تابعة لمملكة شراحبيل (كاريبال).. وقد سميت يوديمون Eudaemon لأنها كانت في الزمن الماضي وقبل أن يتم السفر مباشرة من الهند إلي مصر وقبل أن يجرؤ الملاحون على الإبحار من مصر إلي المواني الواقعة عبر المحيط، كان الجميع يجتمعون في هذا المكان(يوديمون) حيث كانت تتجمع فيها البضائع من البلدين، مثلما كان الحال بالنسبة للإسكندرية التي كانت تصلها البضائع من الخارج ومن مصر، ولكن قبل وقت ليس ببعيد عن زمننا (المؤلف) دمر قيصر Kaisar هذا المكان[18]، فأثار هذا النص الجدل والخلاف بين العلماء والباحثين، فهل كان صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري يشير بذلك إلي حملة إيليوس جاللوس؟ ربما كان من المعمرين وسمع بها من الجيل السابق فعلقت ذكرياتها في ذهنه بصورة مشوشة بحيث خلط بين هجوم الرومان على بلاد العرب السعيدة اجمالاً وتصوره على انه هجوم

جورج فضلوحوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة وزاد عليه السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1958م، ص 82.

16 ستاديا Stadia هي وحدات قياس مختلفة استعملت في عهد الرومان وما ورد هنا 1200 ستاديا هي ربما تعادل 120 ميل تقريباً. حول وحدة القياس هذه بالتفصيل أنظر:

Schoff. W.H. op. Cit.pp.54-55.

[17] العربية اليودايمونية Eudaemon Arabia ميناء عدن وكان يعرف عند الرومان باسم "العربية السعيدة"، وكان الميناء محطة عالمية لتجارة أعالي البحار بين الشرق والغرب قبل ان يدمره جايوس قيصر ، وكان السوق الذي يتم تبادل السلع الهندية والمصرية، وقد تراجع دوره كميناء وانحدر إلي مستوى قرية على الساحل. أنظر:

Plinz, p. cit. BK. VI, 28,32.

Schoff . W.H.op. cit. P. 115(26).

جواد علي: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 62-63.

جورج فضلو حوراني: المرجع السابق،ص 82.

نقولا زيادة: المرجع السابق، ص 271.

سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق، ص 27.

[18]Schoff, W.H. op.cit. pp.31-32

Casson, L. op. Cit. P.26.

سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق، ص 27.

نقولا زيادة: المرجع السابق، ص 266.

محمد السيد عبد الغني: المرجع السابق، ص 141.

وهناك من يري انها رحلة، قام بها جايوس، قصيرة في البحر الأحمر، وذلك لأن العرب كانوا يهددون التجارة في هذا الممر المائي المهم أنظر:

منذر البكر:"العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلي نهاية العصر الروماني" مجلة المربد، كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد (4)|، السنة الثالثة 1390هـ/1970م.

أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلي العرب، ترجمة الدكتور/ كامل وهيب، القاهرة 1962م،ص136.

على مدينة العرب السعيدة يوديمون(عدن) تحديداً مما أدي إلي تدميرها وتقليص دورها، بحيث اصبحت مجرد قرية على الساحل؟ وهل أشاع الرومان في مصر نجاح حملتهم على جنوب الجزيرة وتدمير مدنها فتأثر صاحب الكتاب بهذه الإشاعات وروج لها؟ أم انه كان يشير بعباراته ـ كما جاءت ـ إلي حملة رومانية لاحقة إيليوس جاللوس دمرت عدن؟ علماً أن ميناء عدن في زمن كتابة الطواف حول البحر الاريتري قد تقلص دوره التجاري لاسباب اقتصادية بحتة وليس بسبب تدميره على يد جايوس قيصر.[19]

كذلك أشار بلينيوس الأكبر C.Plinius Secundus (23م-79م) في موسوعة التاريخ الطبيعي Naturalis Historia إلي حملة قام بها جايوس قيصر ضد البرثيين والعرب انطلاقاً من أرمينيا في العام الأول الميلادي[20]، كما أشار في موضع آخر من موسوعته إلي العثور على تماثيل من مقدمة السفن من حطام السفن الأسبانية في الخليج العربي Arabicum Sinum عندما كان جايوس قيصر ابن أغسطس يقوم بشن الحرب هناك.[21]

وعليه استنتج بعض العلماء من الاشارات التي وردت عند بلينيوس وعند صاحب الطواف حول البحر الأريتري أن عدن دمرت على يد جايوس قيصر من خلال اسطول ظهر أمام ساحل عدن، مثلما كان تدمير قرطاجة وكورنثة في العصر الجمهوري مما اعطى للتجارة الرومانية المصرية السيادة على الخليج العربي(البحر الأحمر) والمحيط الهندي[22]، ولكن هناك من اعترض على هذا الاستنتاج واعتبره محض اختلاق، فيرى كينيث وللزلي Kenneth Welleslez[23] أن تلك الحملة، إن كانت قد حدثت لتفاخر بها أغسطس في سجل انجازاته Res Gestae في نقش أنقرة[24]علماً أنه تفاخر بالحملتين اللتين

---

[19] محمد السيد عبد الغني: المرجع السابق، ص141-142.

[20]Pliny, op.cit.BK. VI. 31.141.

محمد السيد عبد الغني: المرجع السابق، ص142.

[21]Pliny, op.cit.BK. II.67.168.

[22]Mommsen, T.,The provinces of the Roman Empire from Caesar to Diocletian, vol.II,London 1909.
pp.293-294.
Charlesworth,M.P.”some Notes on the Periplus Mari Erythraei”, Classical Quarterly 22,1928.pp.92-100

محمد السيد عبد الغني: المرجع السابق،ص142.

[23]Wellesley,K., “The Fable of Roman Attack on Aden”, La parala del passato,9,1954.pp.401-405.

محمد السيد عبد الغني :المرجع السابق،ص142.

24 نقش أنقرة Momememtum Anczranum معروف باسم الأعمال العظيمة لأغسطس المقدس Red Gestac Divi Augusti لأنه عثر عليه في موقع مدينة أنقرة في تركيا الحالية،نقش باللاتينية

أمر بهما على أثيوبيا والعربية، ويقصد بذلك حملة الرومان بقيادة بترونيوس Petronius، ثالث الولاة الرومان على مصر (حكم ما بين 24-21 ق.م)، على اثيوبيا[25] وحملة إيليوس جاللوس على الرغم من عدم نجاحها، ويرى وللزلي Welleselez بأن بلينيوس نفسه ذكر صراحة أن إيليوس جاللوس هو الوحيد، حتى عصره الذي قاد حملة عسكرية رومانية في بلاد العرب الجنوبية، اما جايوس قيصر ابن أغسطس فقد ألقى نظرة خاطفة على بلاد العرب[26] ويستبعد وللزلي Wellesleyأن يكون جايوس قيصر قد ابحر حتى مياه البحر الأحمر (ربما عن طريق الخليج) لأن أولوياته كانت تتركز على البارثيين، وأن المعلومات القليلة عن خط سيره تشير إلي إنه ذهب عبر ساموس إلي سوريا وأرمينيا، وفي عودته توفى في كيليكيا، وبالنسبة إلي ما ذكره بلينيوس في هذا الصدد عن حملة لجايوس قيصر على البارثيين والعرب، فإن مصطلح "بلاد العرب" مصطلح واسع ومن الناحية الجغرافية فيشمل المنطقة الممتدة من جبل ارمانوس في سوريا شمالاً حتى أقصى جنوب الجزيرة العربية جنوباً، ويبدو أن جايوس قيصر ربما احتك بالاطراف الشمالية لبلاد العرب، وفي الصحراء الواقعة بين سوريا وما بين النهرين كما يستبعد وللزلي قصة حطام السفن الأسبانية في الخليج العربي(البحر الأحمر) التي ذكرها بلينيوس عند حديثه عن حملة جايوس قيصر، لأن قصة حطام السفن الأسبانية قديمة أوردها سترابون نقلاً عن بوسيدونيوس(حوالي سنة 100ق.م) والتي سمعها الأخير في قادس جنوب أسبانيا بعد رحلة يودوكسوس الكندي الثانية من الإسكندرية إلي الهند حوالي عام 115ق.م.[27]

هناك من يستبعد حدوث هذه الحملة العسكرية لتدمير ميناء عدن حيث لم يكشف عن أية آثار لتدمير عسكري قام به الرومان هناك، بالإضافة إلي عدم وجود آثار تدل على احتلالهم للميناء بقصد كسر شوكة العرب التجارية في البحر الأحمر وسيطرة البحرية الرومانية على البحر الأحمر، خصوصاً مدخله الجنوبي، لتسهيل التجارة لصالح

مع ترجمة باليونانية، وهو عبارة عن وصية أغسطس التي سجلها في أبريل عام 14 ميلادية، ويمكن مشاهدة هذا السجل على جدار معبد روما وأغسطس بمدينة أنقرة. أنظر بالتفصيل:

Brunt,p.A. Moore.J.M. Res Gestac Divi Augustus. The Achivements of the Divine Augustus. Oxford. 1983.

عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص148.

محمود إبراهيم السعدني: معالم تاريخ روما القديم، دار نهضة الشرق، القاهرة 1997م. ص142.

[25] حول هذه الحملة على اثيوبيا أنظر بالتفصيل:

عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص65-69.

[26]Pliny, op. Cit.BK. VI,32.160.

[27]Wellesley, K,op.cit.pp.403-405.

محمد عبد الغني السيد: المرجع السابق، ص143.

عملائهم وتجارتهم في مصر، ولو حدث ذلك لكانت هناك اشارات واضحة لدى المؤرخين والكتاب والشعراء الرومان، ولا يمكن أن يغيب مثل هذا الانتصار الروماني الفائق في جنوب الجزيرة العربية من الدعاية الرومانية، التي كانت جزءاً من سياستهم العامة خصوصاً إذا كان ترتب على هذه الحملة نتائج هامة مثلما كان الأمر في حملة إيليوس جاللوس التي ظلت تتردد في مؤلفاتهم ولم تغب عن أذهانهم، وأنه لو كانت هناك مثل هذه الحملة حقاً لما ذكر بلينيوس أن إيليوس جاللوس كان الروماني الوحيد الذي قاد جيشاً إلي جنوب الجزيرة العربية، ويخلص أصحاب هذا الرأي إلي أن مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتري قد اختلط عليه الأمر إذ انه قد سمع بدون شك عن حملة إيليوس جاللوس في بلاد العرب السعيدة Arabia Eudaemon، والتي كان اسمها يطلق أيضا على ميناء عدن فاعتقد خطأ أن الهدف من منها كان الاستيلاء على عدن وتدميره وافترض أصحاب هذا الرأي أن النص يقصد به فترة زمنية لاحقة كان في عصر الأسرة البوليوكلاودية وبالتحديد في عصر نيرون Neron (54م-68م) علماً أنه لم يحدث أي غزو روماني على عدن خلال حكم هذه الأسرة.[28]

وهكذا يستبعد هؤلاء العلماء وجود حملة رومانية على جنوب الجزيرة العربية وتدمير ميناء عدن في عهد الامبراطور اغسطس وبقيادة حفيده جايوس قيصر، وان حملة إيليوس جاللوس هي الحملة الرومانية الوحيدة، ولكن الباحث يري أن صاحب الطواف حول البحر الأريتري، عندما وصف العربية اليودايمونية(عدن) بأنها اصبحت قرية ساحلية بعد أن كانت مركزاً تجارياً في الماضي وأن قيصراً دمرها قبل ذلك وبزمن ليس ببعيد عن أيامه التي زار فيها المنطقة، فإنه لاشك كان يعرف عن حملة إيليوس جاللوس(24ق.م.) وسمع عنها لكثرة أخبارها وما كتبه عنها سترابون بالتفصيل، ولا يفصله عن زمن الحملة (إيليوس جاللوس) سوى فترة زمنية قصيرة، لذلك من المستبعد أن صورة حملة إيليوس جاللوس مشوشة في ذهنه حتى انه اختلط عليه الأمر بين إيليوس جاللوس وجايوس قيصر وتصورها هجوماً على ميناء عدن، كما يرى هؤلاء العلماء.[29]

كذلك نفهم من نص سترابون أن جاللوس لم يصل إلي المنطقة الساحلية التي تقع عليها عدن، بل عاد قبل أن يصل إلي سهل حضرموت "أرض الأروما" والتي كانت على

---

[28] عبد اللطيف أحمد علي : المرجع السابق، ص134-135.

سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق،ص28.

Anderson, J.G.C.C.A.H. vol.x, Cambridge University Press,Cambrige,1935.p.883.

[29]Welleslez,K,op.cit.pp.403-405.

محمد عبد الغني السيد:المرجع السابق، ص143.

مسافة عشرة أيام من آخر نقطة وصل إليها جاللوس[30]، وعليه فميناء عدن لم يدمر في حملة إيليوس جاللوس اطلاقاً وإنما دمر في حملة جايوس قيصر، التي ذكرها صاحب كتاب الطواف حول البحر الأريتري، وكان يعني ويقصد بذلك حملة جايوس قيصر.

أما ما ذكره بلينيوس[31] بأن إيليوس جاللوس كان الوحيد ـ حتى ذلك اليوم ـ الذي قاد حملة وجيشاً عسكرياً رومانياً في بلاد العرب، فكان يذكر الواقع الفعلي، فحملة إيليوس جاللوس التي بلغ عدد الجنود المشاركين فيها حوالي 11500 جندياً جاءت من أقصى شمال غرب الجزيرة العربية بسلاحها وعتادها وجنودها من الرومان وغيرهم حتى وصلت إلي الجزء الجنوبي الغربي منها، فكان وصف بلينيوس دقيقاً لهذه الحملة في حين قاد جايوس قيصر حملته سالكاً طريق البحر حتى خليج عدن ووجه ضربة عسكرية خاطفة وسريعة دمرت ميناء عدن وعاد مسرعاً من حيث جاء، فكانت هي فعلاص نظرة خاطفة وسريعة كما ذكر بلينيوس، على بلاد العرب فهو لم يتوغل ولم يقد جيشاً عسكرياً في بلاد العرب كما فعل إيليوس جاللوس.

وهكذا بأوامر صادرة من الإمبراطور نفسه وبتوكيل منه إلي أقرب المقربين إليه في ذلك الوقت وحفيده جايوس قيصر، هو الذي كلف بمهمة تدمير ميناء عدن بحملة سريعة وحاسمة بهدف (اذهب ودمر ثم عد) حيث ان هناك سوابق تاريخية لأعمال مماثلة قام بها الرومان لتدمير موانى تجارية في البحر الأبيض المتوسط كان يخشى من ازدياد خطورتها على سلامتها ومصالحها، حيث دمر الرومان قرطاجة وكذلك ميناء كورنته في عام 146ق.م وفي نفس العام الذي دمرت فيه قرطاجة.[32]

---

[30] سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق، ص 29، ويشير أغسطس في أثر أنقرة بأن أبعد نقطة بلغتها القوات الرومانية عند حملة إيليوس جاللوس في اليمن كانت ماريبا Mariba وكذلك بلينيوس في حين أن سترابون سماها ماريابا، ولكن هل المقصود بها هي مأرب؟ ويرى أندرسون أن المقصود ليس مأرب، عاصمة السبئيين، بل المقصود هي بلدة مريامة Mariama الواقعة في جنوب شرق مأرب. وهذا يتفق مع ما ذكره بلينيوس بأن أقصى مكان وصلته الحملة هو كاريبيتا Caripeta الذي يقابل حريب، وهو مكان لايبعد كثيراً عن مريامة. أنظر:

Strabo,op.cit.BK. XVI,4-24
Plinz,op.cit. BK.VI.28-160.
Anderson, J.G.C.op.cit.p.877.

عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق،ص265.

[31] Pliny,op.cit.BK.VI, 32.160.

[32] سيد أحمد علي الناصري:المرجع السابق،ص28-29.

محمد السيد عبد الغني: المرجع السابق، ص142.

Mommsen,T. op.cit. pp.293-294.
Charleworth, M.P. pp. 92-100.

وبخصوص وجهة نظر العلماء فيما يتعلق بمصطلح(بلاد العرب) ـ كما ذكر سابقاً ـ والاستنتاج بأن جايوس قيصر ربما احتك بأقصى الاطراف الشمالية لبلاد العرب وفي الصحراء الواقعة بين سوريا وما بين النهرين[33]. فإن الباحث يرى أن بلينيوس عندما ذكر بلاد العرب كان يقصد بذلك جنوب الجزيرة العربية بالتحديد وليس بمعناها الواسع وامتدادها الجغرافي من سوريا شمالاً حتى أقصى جنوب الجزيرة العربية جنوباً، فقد كان يذكر حملة إيليوس جاللوس التي كان هدفها جنوب الجزيرة العربية[34] فهو في الحقيقة يشير هنا بالتحديد إلي جنوب الجزيرة العربية، ففي أثناء سياق الحديث عن حملة إيليوس جاللوس أشار إلي جايوس قيصر والنظرة الخاطفة لبلاد العرب وقصد بها تحديداً جنوب الجزيرة العربية، بدليل أن بلينيوس استمر بعدها في تكملة الحديث عن حملة إيليوس جاللوس. فضلاً عن أن الاطراف الشمالية لبلاد العرب منطقة صحراوية يحكمها الانباط الذين تربطهم علاقات قوية بالرومان في هذه الفترة ويقومون بحماية طرق القوافل التجارية وتأمين سلامتها مما لا يستدعي توجيه حملة عسكرية رومانية بقيادة جايوس قيصر إلي تلك المنطقة.

هناك من يرى أن تدمير ميناء عدن تم داخل الصراعات المحلية في جنوب الجزيرة العربية وأن موقع عدن الهام والاستراتيجي المتحكم في مداخل البحر الأحمر، وكذلك الساحل الصومالي ـ الحبشي المواجه له، فضلاً عن الطريق الساحلي الطويل المتجه نحو عمان والخليج، هو الذي أدي إلي حقد الموالي العربية الجنوبية الأخرى فتآمرت على عدن ودمرتها، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن حكام ميناء موزا Muza كان لهم يد في تدميره بالإضافة إلي حقد الحميريين على عدن وغيرتهم منها، واقترح شوف Schoff ،عند تعليقه على موضوع تدمير ميناء عدن من كتاب الطواف حول البحر الاريتري، أن كلمة قيصر في النص اليونان ترجمة خاطئة لكلمة ملك عند العرب، وهذا الملك الذي دمر ميناء عدن ربما كان شرحبيل ملك الحميريين الذي كان معاصراً للأسرة البوليوكلاودية(40-70م) ويدلل شوف Schoff على رأيه بأن التاريخ الروماني ومصادره لم تسجل ولم تعرف أي هجوم قام به احد أباطرة هذه الأسرة على ميناء عدن، وبالتالي فإن المقصود بكلمة قيصر هو ملك الحميريين المذكور[35]، علماً أن قيصر Kaisar هنا

---

[33]Wellesley,K.op.cit.pp.403-405.

محمد لسيد عبد الغني: المرجع السابق.

[34]Pliny, op.cit. BK.VI,32-160.

[35] سيد أحمد علي الناصري :المرجع السابق،ص27-28.

جواد علي: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 61-62.

نقولا زيادة: المرجع السابق، ص271،266 (21).

Schoff, W.H. op. Cit.pp 115-116.(n.26).

ذكرت وحدها وهي صفة تطلق على الامبراطور الروماني[36]، وأن الأدلة والمنطق التاريخي يتعارض مع هذا الرأي، فليس من المعقول أن تقوم دولة عرفت بقيام الاتحادات بين اجزاء جنوب الجزيرة العربية بتدمير أفضل وأهم موانيها، ميناء عدن، بل من الاجدر الاستيلاء عليه والاستفادة منه. كما أن موانى جنوب الجزيرة العربية كانت معروفة بتعاونها واتفاقها فيما بينها من اجل احتكار التجارة، كما أن افتراض، أن المؤلف قد أخطأ فيه تحميل للنص أكثر من اللازم وبالتالي فليس من المعقول أن يكون موقع ميناء عدن الممتاز والاستراتيجي السبب في تدميره على أيدي الحميريين.[37]

ويذهب بعض من العلماء، على العكس من الآراء السابقة إلي التأكيد على قيام حملة رومانية عسكرية أخرى إلي جنوب الجزيرة العربية اعقبت حملة إيليوس جاللوس بأكثر من عشرين سنة أرسلها الامبراطور أغسطس أدت إلي تدمير ميناء عدن، وأن ما ذكره صاحب كتاب الطواف حول البحر الأريتري من حملة سريعة وحاسمة بقيادة جايوس قيصر انتهت بتدمير ميناء عدن هو أكثر قبولاً، والرأي القائل أن النص في الكتاب خلط بين جاللوس وقيصر المجهول أمر بعيد الاحتمال لأن إيليوس جاللوس، كما يفهم من نص سترابون ، لم يصل إلي ميناء عدن بل عاد قبل أن يصل إلي سهل حضرموت، كما لم يعرف أن الرومان استولوا على عدن في عام 24 ق.م[38]، في حين توجد أدلة على أن الامبراطور أغسطس قد كلف حفيده جايوس قيصر في العام الأول الميلادي بقيادة حملة سريعة هدفها تدمير ميناء عدن لتدعيم مركزه كوريث مرتقب لأغسطس وأن السبب والهدف من تدمير عدن تتفق مع الاستراتيجية العامة لسياسة أغسطس بعدم التوسع ولكن مع السماح بالحروب المحدودة الدفاعية، وأن خوف أغسطس من خطورة هذا الميناء على مصالح الإمبراطورية الاقتصادية في البحر الأحمر وعلى السلام الروماني من العوامل التي دفعته لمثل هذا التصرف قبل أن يستفحل خطره.[39]

ففي عهد الامبراطور أغسطس إزداد حجم التجارة الرومانية الشرقية، خصوصاً مع الهند، نتيجة اكتشاف البحارة الرومان لاستخدام الرياح الموسمية التي تدفعهم إلي عبر المحيط الهندي مباشرة وبذلك كسروا احتكار العرب للتجارة الهندية فقد كانت السفن التجارية الرومانية التي تبحر من مصر وصل عددها إلي 200 سفينة، حصر منها سترابون أثناء وجوده في مصر (24-20 ق.م) 120 سفينة كانت تبحر من ميناء ميوس هرموس المصري Myos Hermos (أبو شعر القبلي جنوب السويس) وهذه السفن لم تكن تصل إلي الهند بل كانت تتعامل فقط مع موانى جنوب الجزيرة العربية حيث تحمل منها

---

[36] لطفي عبد الوهاب يحيي: "الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض 1399هـ/1979م، ص63.

[37] سيد أحمد علي الناصري : المرجع السابق، ص 28.

[38] نفس المرجع السابق ، ص29 .

[39] نفس المرجع السابق.

السلع والمنتجات العربية الجنوبية بالإضافة إلي سلع الرفاهية التي كان العرب يحتكرونها، وعندما عرف العرب في جنوب الجزيرة العربية أن الرومان اكتشفوا الرياح الموسمية وأن السفن التجارية من مصر الرومانية تصل إلي الهند عبر المحيط الهندي مباشرة، وليس بمحاذاة سواحل جنوب الجزيرة العربية، وأن احتكارهم للتجارة في السلع الهندية بات مهدداً بالخطر، حيث بدأ العرب في التصدي لهذه السفن ومحاربتها، ولهذا أرسل الامبراطور أغسطس حفيده جايوس قيصر في العام الأول الميلادي في حملة عسكرية لتأديب هؤلاء العرب وحمايته مصالحها الاقتصادية.[40]

وهناك أكثر من دليل على أن الامبراطور أغسطس الذي كان العمر قد تقدم به وقت ذاك، قد كلف حفيده الذي تبناه وأعده كوريث لعرش الامبراطورية بالإشراف على تنفيذ مخطط مدروس واستراتيجي هدفه دعم السلام والأمن الروماني في البحر الأحمر للمحافظة على المصالح الاقتصادية للامبراطورية ومن بينها مشروع الدوران حول شبه الجزيرة العربية والذي كان امتداداً لحلم الاسكندر المقدوني القديم، ففي العام الأول الميلادي بدأ هذا المشروع بالدوران حول شبه الجزيرة العربية من الخليج حتى البحر الأحمر حيث قام بهذه المهمة ملاح اسمه إيسيدوروس من مدينة خاراكس سبأسيمو عند الخليج فقام بمسح واستكشاف جانبي الخليج، ولاشك أن هذا المشروع قد تم بالتفاهم مع البارثيين وربما كان من نتائجه الحملة السريعة المدمرة بقيادة جايوس قيصر على ميناء عدن، فقد ذهب جايوس قيصر بأمر من جده في العام الأول الميلادي في مهمة عاجلة إلي الشرق، وأن الامبراطور الجد كان قد كلف أحد الخبراء وهو ديونيسيوس Dionysius (حوالي 60ق.م - 70)، الذي وصف العالم في كتابه بجمع كل المعلومات الجغرافية السكانية عن الشرق لتكون في خدمة حفيده قبل أن يبدأ رحلته إلي أرمينيا وبلاد العرب.[41]

---

[40]Strabo,op.cit. BK.II, 5.12.

Thorly, J. " The Development of Trade between the Roman Empire and the East under Augustus", Greece and Rome, vol. 16, 1969,pp.209-223,pp.212-213.

محمد السيد عبد الغني: المرجع السابق، ص 147-148.

[41]Pliny, op.cit.BK.VI,31-141.

سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق،ص 29.

Charlesworth, M.P. Trade-Routes and Commerce of the Roman Empire, Cambridge University Press, Cambridge 1929,p.237.

Miller, J.I. The Spice Trade of the Roman Empire 29 B.C. to A.D.641, Oxford 1969, p. 15.

كما نجد من يرى[42] أنه يمكن فعلاً أن يكون الرومان قد استولوا عسكرياً على ميناء عدن، فاسم Eudaemon الذي تعرف به عدن عند اليونان والرومان، كان يطلق كذلك على كل المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، وربما كان ما يقصده صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريتري ويعنيه عندما يتحدث عن فكرة الخضوع، لا يتعدى علاقة اتفاق بين منطقة صغيرة مثل الدولة السبئية الحميرية وبين قوة كبيرة مثل الامبراطورية الرومانية، وتفترض بضرورة قدراً من السيطرة من القوة الكبيرة بقدر ما تنطوى على شيء من التبعية من جانب القوة الصغيرة، وهو أمر تؤيده إشارة تفيد إشارة تفيد هذا المعنى في موقع آخر ما كتبه صاحب (الطواف)[43]

كما تؤيده إشارة عند سترابون تذكر أن السبئيين على أيامه قد اصبحوا من رعايا الامبراطورية الرومانية[44]، كذلك يؤيده ما ورد عند بلينيوس عن حدوث حملة رومانية ثانية على جنوب شبه الجزيرة العربية إلي جانب حملة إيليوس جاللوس، كانت هي الاخرى من عهد أغسطس تحت قيادة إبنه بالتبني جايوس قيصر، وعن الاستعدادات التي اتخذتها روما في سبيل هذه الحملة من تحضير المعلومات اللازمة لها وإيفاد المؤرخ ديونيسيوس لتسجيل احداثها وأن جايوس قيصر قد حصل على شهرة كبيرة من وراء هذه الحملة.[45]

كذلك نجد دليلاً آخر يؤكد حدوث حملة جايوس قيصر حفيد أغسطس وإبنه بالتبني، هذه وتدمير ميناء عدن على يديه، وهو ما ذكره بلينيوس في الكتاب الثاني عشر (X11) أثناء الحديث عن شبه الجزيرة العربية وأهم النباتات التي تنمو فيها خاصة شجر اللبان (الكندر) ، حيث ذكر أن جايوس قيصر كان أول روماني شاهد بنفسه شجر الكندر ودرسه عن قرب وأنه نقل المعلومات التي جمعها عن هذه النباتات إلي ملك موريتانيا العالم جوبا الثاني Juba11 (50ق.م - 24م)[46] والذي ضمنها في كتابه عن شبه الجزيرة

---

[42] لطفى عبد الوهاب يحي: المرجع السابق، ص63 - 64.

[43]The Periplus of Erythraean Sea. 23,31.

لطفى عبد الوهاب يحي: المرجع السابق، ص63 - 64.

[44]Strabo, op. Cit.BK. XVI,4.121.

لطفى عبد الوهاب يحيي: المرجع السابق،ص64.

[45]Pliny,op.cit. BK.VI, 31.141. BK. XII,31.55

لطفي عبد الوهاب يحيي: المرجع السابق.

[46] حول ملك موريتانيا والعالم جوبا بالتفصيل أنظر

Encyclopaedia Britannica, vol.V,15th Edition,Chicago,1979.p.621.

جورج سارتون: تاريخ العلم، ترجمة لفيف من العلماء، الجزء السادس، دار المعارف، القاهرة 1978م، ص 34 - 35.

العربية واهداه إلي جايوس قيصر اعترافاً منه بذلك الفضل[47]، وعليه فانه لا يمكن لجايوس قيصر أن يدرس عن قرب شجر اللبان (الكندر) ما لم يكن قد وصل وصل فعلاً إلي سهول حضرموت حيث يقع ميناء عدن، وهي منطقة لم يسبق لأحد من الرومان الوصول إليها وهذا يؤكد أن جايوس قيصر حفيد أغسطس، هو الذي نفذ أوامر جده الامبراطور اغسطس بتدمير ميناء عدن ومرافقه لأنه كان يشكل خطراً على مصالح الامبراطورية الرومانية في البحر الأحمر، وان الثراء المتزايد لدى سكان عدن قد يدفعهم إلي توحيد صفوفهم ومقاومة الرومان في منطقة اشتهرت بأعمال المقاومة على طول التاريخ[48]، وهذا الدليل ينقض الرأي الذي ذهب إليه ديسو Dessaud واتفق معه اندريسون Anderson إلي أن الحملة كانت موجهة إلي بلاد العرب الصخرية أو الحجرية Arabia Petraea(الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية)،وليس إلي العربية السعيدة Arabia Felix (الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية) حيث موارد الطيوب واللبان والبخور.[49]

وهكذا نجد أن هناك أكثر من دليل قدمه العلماء والباحثون على أن الامبراطور أغسطس قد كلف حفيده وابنه بالتبني والوريث المرتقب لعرش الامبرطورية الرومانية بقيادة حملة عسكرية عاجلة وخاطفة لتدمير ميناء عدن، وذلك في العام الأول الميلادي أي في عصر ملوك سبأ وذي ريدان وربما كان على زمن الملك آل شرح يحمل ابن بازل بين (15ق.م. - 5م) على رأي[50]، أو على زمن الملك نشأكرب يهأ من يهرحب ابن آل شرح يحضب (15ق.م. – 5م) على رأي آخر[51]، وقد تميزت هذه الفترة بالصراع والنزاع بسبب التنافس الشديد بين الهمدانيين والريدانيين على عرش مملكة سبأ[52]، وقد أصاب

---

[47] Pliny, op.cit. BK.XII,31.56.

يذكر بلينيوس هنا أن الملك جوبا في مجلداته التي أهداها إلي جايوس قيصر، حفيد أغسطس،تحدث عن وصف لشجرة اللبان، بينما يذكر بلينيوس في مكان آخر (BK. XII,30.51-52) أن اللبان بالذات لا يوجد إلا في الجزيرة العربية، وبالتحديد في حضر موت، إحدى مناطق السبئيين في مكان على بعد ثمانية أيام من سابوتا Sabota (شبوة) حيث توجد منطقة اسمها سربيه Sariba تشتهر بإنتاج اللبان.

[48] لطفي عبد الوهاب يحيي: المرجع السابق، ص 71 (53).

سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق، ص 30.قارن

Pliny,op.cit.BK.XII,30.51-52.

[49] Dessaud,R.Geschichte der Romischen Kaiserzeit, Part I, pp. 379 ff.

Anderson,J.G.C.op. cit.p 254.

لطفي عبد الوهاب يحيي: المرجع السابق.

[50] جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت 1979م، ص167.

[51] أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، الرياض 1406هـ/1986م، ص94.

[52] عن تاريخ الصراع على العرش في عصر مملكة سبأ وذي ريدان بالتفصيل أنظر: جواد علي: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 416 - 472.

هذا الصراع والنزاع جنوب الجزيرة العربية بأسوأ النتائج وجعل حكومة مملكة سبأ وذي ريدان ضعيفة وغير متماسكة وربما استغل الامبراطور اغسطس هذا الوضع وأرسل هذه الحملة العسكرية الرومانية الثانية لتدمير ميناء عدن، ولعل فشل العرب في صد الرومان وحماية عدن يعود إلي إنشغالهم بالصراعات والنزاعات الداخلية.

ولم نستدل من المصادر التاريخية المكان الذي انطلقت منه هذه الحملة الرومانية، غير أن بلينيوس ذكر أن جايوس قيصر قاد حملة ضد البارثيين والعرب انطلاقاً من أرمينيا[53]، ونستدل من المصادر التاريخية ان العلاقات الرومانية ـ البارثية في عهد الامبراطور اغسطس كانت تتميز بالهدوء والاستقرار نتيجة سياسة السلام وعدم التوسع التي اتبعها أغسطس في هذه الفترة[54]، وأن أغسطس أقام علاقة صداقة مع ملك البارثيين فرهاد الرابع، والذي سماه المؤرخون الرومان فراتس Phraates IV (حكم ما بين 37ق.م. وحتى 2ق.م.) وعندما تولى الحكم من بعده ابنه فرهاد الخامس فراتس PhraatesV (حكم ما بين 2ق.م. حتى 4 ميلادية)، شهدت العلاقات مع الامبراطورية الرومانية بعض التوتر على أرمينيا حتى وصلت لدرجة الاستعداد للحرب، حيث أرسل اغسطس حفيده جايوس قيصر لمحاربة البارثيين، ولكن تم التوصل إلي تسوية ودية لهذه الأزمة بعد الاجتماع الذي عقد بين فرهاد الخامس وجايوس قيصر على ضفاف نهر الفرات والذي دونه وكتب وصفاً لهذا اللقاء المؤرخ الروماني فلليوس باتراكولوس على أرمينيا حتى وصلت لدرجة الاستعداد للحرب، حيث أرسل اغسطس حفيده جايوس قيصر لمحاربة البارثيين، ولكن تم التوصل إلي تسوية ودية لهذه الأزمة بعد الاجتماع الذي عقد بين فرهاد الخامس وجايوس قيصر على ضفاف نهر الفرات والذي دونه وكتب وصفاً لهذا اللقاء المؤرخ الروماني فلليوس باتراكولوس Velleius Paterculus(20ق.م. – 30م)، وتم التوقيع على معاهدة صلح مع الامبراطورية الرومانية في نهاية العام الأول قبل الميلاد أو مع مطلع العام الأول الميلادي.[55]

---

[53] Pliny, op.cit.BK.II,101.1.

[54] Stark,F. Rome on the Euphrates, London 1967,pp.160-162

[55] حول العلاقات الرومانية البارثية في عهد أغسطس بالتفصيل أنظر:

Velleius Paterculus, BK.II,101.1.
Stark. F.op.cit.p.161.
Earl, D.op.cit.p.162.
E.B.vol.VII.p.972.

حسين بيرنيا: تاريخ إيران القديم، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1979م.

طه باقر وآخرون: تاريخ إيران القديم، جامعة بغداد، بغداد 1979م، ص 99 - 100.

وحول المؤرخ الروماني فلليوس باتركولوس أنظر:

عبد اللطيف أحمد علي: مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت 1970م،ص24.

ومن الحيثيات السابقة، وفي ضوء العلاقات المميزة بين الرومان والبارثيين، وربما بالتفاهم مع البارثيين، تبدو فرضية انطلاق هذه الحملة ـ من وجهة نظر الباحث ـ من جنوب الرافدين مقبولة، ومن المنطق أن يستخدم الرومان السفن الحربية عبر نهر الفرات للخليج ومنها لبحر العرب حتى وصلوا إلي ميناء عدن وهناك نفذ جايوس قيصر مهمته بعملية عسكرية خاطفة انتهت بتدمير عدن في العام الأول الميلادي، لأن هدف هذه الحملة هو رغبة الامبراطورية الرومانية السيطرة على طرق التجارة بين مصر والشرق، والتخلص من الاعتماد على التجار العرب الجنوبيين، وضمان الأمن والسلامة للسفن في البحر الأحمر وحمايتها عند اجتيازها مضيق باب المندب[56]، حيث أن الشواهد تدل على أن هذه الحملة حققت اهدافها واصبح للآمبراطورية الرومانية بعد هذه الحملة نفوذاً مباشراً على البحر الأحمر والسيادة الكاملة عليه حتى انها فرضت المكوس على الموانى التجارية الهامة فيه كدخل جديد لخزانة الامبراطورية[57]، ودليل ذلك ما ذكره بلينيوس عن حكاية أحد عتقاء ثري شهير اسمه انيوس بلوكاموس Annus Plocammus الذي كان موكلاً إليه جمع المكوس من موانى البحر الأحمر لحساب الامبراطورية الرومانية[58]، ولكم بلينيوس لم يذكر اسم ذلك المعتق الذي روى أن اعصاراً حمله وألقى به وبسفينته إلي جزيرة سيلان، غير أن هذا يبين إلي أي حد ذهب هذا المعتق لطلب المكوس من الموانى الواقعة على البحر الأحمر[59]، وعندما تم العثور على نقش يحمل اسم هذا المعتق[60] تبين أن حملة جايوس قيصر كانت في العام الأول الميلادي وتاريخ

Theaتذكر المصادر التاريخية أن الامبراطور أغسطس أهدى محطية إيطالية اسمها موزا أورانيا إلي فراتس الرابع ملك البارثيين توطيداً للعلاقات بين البلدين، وقد تزوج منها فراتس Musa Urania الرابع، كما أرسل فراتس الرابع أربعة من أبنائه بتحريض وإيحاء من زوجته الإيطالية موزا، ليقيموا عند أغسطس في روما، وكان هدفها إبعاد أبناء فراتس الرابع من غيرها لكي تمهد لإبنها فراتس الخامس ولاية العهد والذي فعلاً تولاه بعد مقتل والده مسموماً على يد والدته موزا عام 2 ق.م. أنظر:
Earl,D,op.cit.p.162.
E.B.vol.VII.p.972.

حسين بيرنيا: المرجع السابق، ص196 ـ 197.

[56] حول جهود الرومان لتأمين التجارة في البحر الأحمر بالتفصيل أنظر:

Raschke,M. "New Studies in Roman Commerce with the East", ANRW,2, Berlin, 1978.

[57]Meredith, D. "Two Inscriptions From the Berenike Road", JRS, XLIII,1953,p.38ff.

[58]Pliny, op.cit.BK.VI,24.84.

Schoff,W.H. op.cit.p.8.

سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق، ص 30.

[59] سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق.

60 عثر على اسم المعتق منقوشاً على أحد الصخور في طريق بيرينيكي ـ فقط باللاتينية ومشفوعاً بترجمة يونانية أنظر النص:
سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق.

وصول عامل إينوس بلوكانوس لجمع المكوس كان في شهر يوليو من العام السادس الميلادي، أي بعد مرور خمس سنوات من الحملة، وهذا يدل على أنها حققت فعلياً الوجود الروماني في البحر الأحمر لدرجة فرضهم ـ الرومان ـ المكوس، وهي أحد النتائج الأساسية التي حققها الامبراطور اغسطس قبل وفاته في عام 14م[61].

وهكذا بعد نحو عشرين عاما من حملة إيليوس جاللوس، ظهر الرومان مرة أخرى ودمروا ميناء عدن وأتموا السيطرة الرومانية على موانى البحر الأحمر في عهد أغسطس حتى أن نصف العملة الرومانية التي وجدت في الهند ترجع إلي عهد كل من أغسطس وتيبريوس، مما يدل على زيادة حجم النشاط التجاري للإمبراطورية في عهد أغسطس وما بعده وبدهي أن نقطة الوسط في طريق التجارة بين الرومان والهند تشغلها سواحل الجزيرة العربية وموانئها الساحلية.[62]

Miller, J.I. op.cit.p16.N:2.
Meredith, D op. Cit.p.38.

[61] سيد أحمد علي الناصري: المرجع السابق، ص 30 ـ 30.

أحمد طعمة يوسف الشقاح:"انتعاش الملاحة في البحر الأحمر في القرنين الأول والثاني الميلاديين"، مجلة اليمن، السنة العاشرة، العدد 9، مايو 1999م، ص 138 _139.

62 لطفي عبد الوهاب يحيي: المرجع السابق، ص 64.

Cary, M. History of Rome, London 1965,p.591.(18).
Anderson, J.G.C.op cit.252ff, 883(6).

عمارة المسجد الحرام فى عهد الملك عبد العزيز ال سعود

د. ضيف الله الزهراني•

اهتم الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بعمارة الحرمين الشريفين والاماكن المقدسة وقد اولاها جل عنايته ورعايته ، ومن الأعمال التى تمت فى المسجد الحرام نذكر ما يلى:

أولا :فى سنة ١٣٤٤ هـ ، اصدر الملك عبد العزيز امره بعماره المسجد الحرام وتم انجاز الاعمال التالية: ترخيم عموم المسجد الحرام ، ترميم التشققات الجدارية ، واصلاح مكان المصلى، واصلاح المماشى ومدار المطاف، وجميع الابواب، وطلاء مقام ابراهيم بالدهان الاخضر، وكذا الاساطين النحاسية الواقعة حول المطاف[١].

ثانيا: فى سنة ١٣٤٦هـ ، اصدر امره بعمارة المسجد الحرام، وتم انجاز الاعمال التالية: ترميم فرش اروقه المسجد الحرام من جهاته الاربع ، وكذا بلاط الابواب ، والفرش الحجرى الذى عليه المقامات الاربعة ، وكذا ترخيم جدران المسجد داخلا وخارجا، وكذا تنظيف القباب من الباطن والخارج، وكذا اصلاح شعث الابواب الخشبية، وتم طلاء عقود واعمدة وجدار المسجد فى الدور العلوى، بحسب لونه الاصلى من (اسود واصفر برتقالى ، واحمر عنابى ، ورمادى). وكذا تنظيف الاسطوانات الرخامية من الاتربة ، حتى عادت الى لونها الابيض الناصع.

وكذا تم اصلاح بعض المظلات داخل المسجد الحرام منها: مظلة المقام الحنفى، وغير بعض اخشابها وكسى سقفها المعدن الابيض ، وكذا تم اصلاح مظلة مقام ابراهيم ، وطلاها باللون الاخضر، وطلا الاعمدة التى تعلق فيها المصابيح باللون الاخضر، ورؤوسها باللون الذهبى، وفرش حصاوى المسجد الحرام بالحصباء الجيدة، وكذا تم طلاء الاعمدة الثخينة المبنية بالحجر الصوان، وكذا ابواب المسجد ، ودار الندوة، وفتحت باب ابراهيم.

وقد استمر العمل سنة كاملة انتهت فى ربيع ثانى ١٣٤٧ هـ ، وكان جملة ما انفق على تلك العمارة مبلغ (٢٠٠٠) جنيه ذهب[٢] تبرع به الملك عبد العزيز جعله الله فى موازين اعماله.

ثالثا: فى سنه ١٣٥٤هـ ، امر نائب الملك عبد العزيز على الحجاز صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن عبد العزيز بتشكيل لجنة لدراسة عمارة المسجد الحرام وتوصلت اللجنة الى القرار الاتى:

١- اصلاح الارضية المفروشة بالحجر الصوان الواقع حول مدار المطاف.

٢- اصلاح ارضية أروقة المسجد الحرام.

• د. ضيف الله بن يحيي الزهراني، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

[١] حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٨٢، وصى الله عباس: المسجد الحرام،ص ١٤٠.

[٢] المرجع السابق،ص ٢٨٤،٢٨٣، المرجع السابق، ص ١٤١.

٣- نقض جص جميع الجدار المسبخة واصلاحها بتجصيصها بالاسمنت والنوره، مع اصلاح العقد الموالى لباب الصفا.
٤- ترخيم عموم المسجد الحرام من الداخل، وخارج الابواب وبيت زمزم ، وترميم الشقوق الواقعة فى بعض القباب.
٥- تجديد ترخيم المسجد من الخارج، وكذا صبغ الابواب، وكذا دهان الاروقة الداخلية بالالوان السابقة نفسها، وكذا دهن اعمدة المصابيح باللون نفسه، وكذا المقامات الاربعة، ودهن باب بنى شيبه، وبئر زمزم باللون نفسه.
٦- اصلاح ابواب المسجد من الخشب الجاوى القوى.
٧- ازالة الاتربة من الحصاوى وفرشها بالحصباء النقية ، بقدر ربع ذراع معمارى[٣].

وابتدأ العمل بتاريخ ١٩ رمضان ١٣٥٤هـ ، وكذا فى ٤ شوال من السنة نفسها.
وقد صرف على تلك العمارة مبلغ (١٢.٤٨٠) ريال عربيا سعوديا، دفع الملك عبد العزيز نصف هذا المبلغ من حسابه الخاص والباقى من مديرية الاوقاف[٤].
كما انشا الملك عبد العزيز فى سنة ١٣٤٥ هـ ، مظلات للحجاج ووضع سرادقات فى حصاوى المسجد الحرام، يتقون بظلها من حرارة الشمس.
وفى سنة ١٣٤٦هـ تم عمل مظلات قوية وثابتة على دائرة الحصوة مما يلى الأروقة من الجهات الاربعة، وكانت من الخشب الجاوى وقماش القلع وهو (نوع من القطن الابيض قوى وثخين) ويبدو انها كانت توضع فقط وقت موسم الحج ثم ترفع بعد ذلك[٥].
ومن الاعمال الجليلة التى تمت فى المسجد الحرام ، ما قام به الملك عبد العزيز فى سنة ١٣٤٥هـ من تسوية مدار الصفا والمروة، فكان ممتلئ بالاحجار والغبار، ويصعب على الناس السعى منه، فامر الملك برصفه بحجر الصوان الاملس الناعم وان يبنى بالنورة لتقويته " فصار بعد ذلك فى غاية الاستقامة وحسن المنظر ، وصار المتطوفون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم بكمال الراحة والسلامة من وحل الشارع والغبار".[٦]

ثانيا: عمارة المسجد الحرام فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز ال سعود

كانت توسعة وعمارة المسجد الحرام امنية عزيزة على الملك عبد العزيز ، فقد اصدر امره فى سنة ١٣٧٣هـ ، بعمل دراسة للمشروع ووضع التصاميم والمخططات اللازمة،

---

[٣] الذراع المعمارية، مقياس طولي يؤخذ لحساب المساحة، كان مقداره في العصور الوسطى٥/٨ ذراع اليد (٤٥٩.٨٧٥سم)، وفي العصر الحديث قدرت الذراع المعمارية ب(٧٥سم)، انظر: فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الاسلامية، ص٩٠.
[٤] حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام،ص ٢٨٦/٢٨٧.
محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام ص٨٢.
[٥] حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام،ص ٢٨٩/٢٩٠.
محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام ص٨٣.
[٦] حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام،ص ٢٩٥/٢٩٦.

الا انه انتقل الى الرفيق الاعلى قبل بداية وضع حجر الاساس فقام الملك سعود بعمل تلك العمارة السعودية، وكانت اهدافها تنحصر فيما يلى:

١- اضافة كبيرة لسعه المسجد.
٢- توسعة المطاف حول الكعبة.
٣- دمج المسعى داخل مبانى الحرم.
٤- تامين تسهيلات طرق المواصلات حول المسجد الحرام.
٥- تقليل اخطار مياه السيول على الحرم.
٦- تحويل مجرى مصرف مياه الامطار بين هضبة الصفا والمبنى العثمانى.
٧- تحسين الخدمات الداخلية مثل : توفير المياه والصرف والاضاءة[٧].

وفى ٢٣ شعبان ١٣٧٦هـ ، وضع الملك سعود- يرحمه الله ـ حجر الاساس فى بناء التوسعة باحتفال كبير، وبدأ العمل الفعلى للمرحلة الاولى فى اوائل سنة ١٣٧٧ هـ.[٨]

وقد قسم العمل الى مناطق مختلفة وهى:

١- منطقة السعى (بين الصفا والمروة).
٢- منطقة اجياد (بين الصفا وباب الملك).
٣- منطقة باب الملك (تشمل السبيلين على جانبى باب الملك ومبنى باب الملك).
٤- المنطقة التى تمتد بين باب الملك وباب العمرة.
٥- منطقة باب العمرة وتشمل (السبيلين على جانبى باب العمرة ومبنى باب العمرة).
٦- المنطقة التى بين باب العمرة وباب السلام.
٧- منطقة باب السلام (من السبيل بالجانب الايمن حتى باب السلام الصغير).
٨- منطقة المثلث تقع بين (باب السلام والمسعى).[٩]

وقد جعلت بنود العمل على مراحل اربعة هى:

١- الهدم ونقل المخلفات.
٢- الحفر والردم ونقل المخلفات.
٣- الخرسانة اللازمة للقواعد العادية والهيكل الخرسانى.
٤- التركيبات والتشطيب.[١٠]

وتم نقل جميع المعدات والالات التى عملت فى عمارة وتوسعة المسجد النبوى الى مكه المكرمة لكى تتم الاستفادة منها فى اعمال التوسعة.

---

[٧] محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام، ص٨٥/٨٦.
[٨] أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية(عهد سعود بن عبد العزيز) ج٣،ص٤٢.
الأزرقي: أخبار مكة، ملحق رقم (٥) ص ٣٣٢.

[٩] محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام،ص٨٧.
[١٠] المرجع السابق،ص ٨٧.

وكانت المرحلة الاولى التى امتدت ما بين عامى (١٣٧٥- ١٣٨١هـ) ، قد شملت بناء المسعى بطابقيه، وكذا هدم المبانى التى فى منطقة اجياد، وتم بناء درج داخلى دائرى للصفا واخر للمروة، وكذا تم بناء طبقة من الاقبية (البدرومات) يبلغ ارتفاعها (٣.٥ م).[١١]

وكان من الاحصائيات عن التوسعة فى مرحلتها الاولى ما ذكر فى ملحق خاص الحق بكتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام لحسين باسلامه نذكر منها:

- بلغ مجموع التعويضات حتى تاريخ ١٣٨٢ هـ مبلغ (٢٣٩.٦١٥.٣٠٠) ريال.
- مجموع ما صرف على تلك المرحلة (٨٠.٠٠٠.٠٠٠) ريال.
- بلغ عدد المهندسين والموظفين والعمال فى اعمال تلك المرحلة عدد (٦٦٠) مهندسا وموظفا وعاملا.

ثالثا: عمارة المسجد الحرام فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز ال سعود

تقع المرحلتان الثانية والثالثة من العمارة السعودية فى عهد الملك فيصل، لانها بدات من اواخر عهد الملك سعود وانتهت فى حدود عام ١٣٩٣هـ، اما المرحلة الرابعة فقد استمرت الى اوائل حكم الملك خالد بن عبد العزيز وبالتحديد الى سنة ١٣٩٦هـ.

وتم فى المرحلة الثانية، حفر اساسات قواعد البناء ، وبناء وتسقيف الرواق الجنوبى بطوابقه الثلاثة، وكذا بناء ثلاث ماذن، واحدة بجانب الصفا، واثنتان بجانبى باب الملك. وكذا تم عمل سلالم لبئر زمزم، وتسوية مدار المطاف.[١٢]

اما المرحلة الثالثة فقد تم فيها انجاز بناء المكبرية، وشق الطرق حول الحرم، وكذا بناء ما بين باب الوداع وباب العمرة وعمل الجناحان الاضافيان، وثبتت النوافذ، وتم تغطية واجهات الحرم بالرخام الملون ، واعيد بناء الاجزاء التى تهدمت من العمارة القديمة ، وتم الانتهاء من مئذنتى باب العمرة، ومئذنتى باب السلام.[١٣]

وقد شملت عمارة المرحلة الرابعة، ضم المسعى الى المسجد الحرام فى عمارة واحدة، وكذا تم تجديد الحرم القديم، وكذا تم زيادة باب الملك واصبح للحرم ثلاثة مداخل رئيسية هى : باب الملك ، وباب العمرة، وباب السلام ، اضافة الى سبعة عشر مدخلا صغيرا ، وكذا اثنا عشر سلما تؤدى الى القبو من الداخل والخارج.

كما ان عدد الماذن ظل كما هو سبع ماذن ، اضيف اليها مسحه من الطراز المعمارى الاسلامى لكى تنسجم مع واقع العمارة السعودية فى ثوبها الجديد.

---

[١١] الأزرقي: أخبار مكة، ملحق رقم (٥)، ص ٣٣٤.
محمد المليباري: المنتقى في أخبار أم القرى، ص ٢٣٨.
[١٢] وصى الله عباس: المسجد الحرام،ص ١٤٣.
محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام،ص٨٨.
[١٣] المرجع السابق، ص ٨٨. محمد المليباري: المنتقى في أخبار أم القرى، ص ٢٣٨/٢٣٩.

وقد كسيت جدران المسجد الحرام من الداخل والخارج ببلاط المرمر الجميل وكسيت سقوفه وعقوده بالحجر الصناعى.[١٤]

نتائج التوسعة السعودية:

لقد تحقق من تلك العمارة والتوسعة الشئ الكثير الذى اراح المسلمين من جميع بقاع المعمورة، واضفى على مكة بهاء وجمالا، وكان من تلك النتائج ما يلى:

١- ازالة ما كان يحيط بالحرم ويلتصق به فى اكثر جهاته من منازل سكنية ومدارس ودكاكين.
٢- فسحة فى المساحة تتسع لاكبر عدد من المصلين اثناء المواسم.
٣- تعبر تلك العمارة عن هندسة جميلة وقدرة فائقة تليق بمكانة بيت الله الحرام.
٤- اضافة المسعى الى المسجد الحرام وذلك فى عمارة واحدة.
٥- احاطة العمارة الجديدة بطرق فسيحة من جميع جهاتها.
٦- اصبح للحرم ثمانية اضلاع.
٧- ربط مبانى التوسعة مع مبنى الحرم القديم.
٨- تم استبدال اركان المبنى القديم الاربعة بانحدارات قصيرة لينسجم مع المبنى الجديد.[١٥]

وبعد التوسعة اصبحت مساحة المسجد الحرام (١٦٠١٦٨)م٢

وبيانها كالتالى:

١- المساحة قبل التوسعة (٢٩١٢٧م٢).
٢- مساحة التوسعة من المرحلة الاولى الطابق الاول والثانى (٣١٣٠٩م٢)
٣- مساحة المسعى بعد ضمه الى المسجد الحرام(١٠١٧٢)م٢
٤- مساحة الدور الثانى (٦٠٥٦٠م٢)
٥- مساحة البدرومات (٢٩٠٠٠م٢)

وهذا يعنى ان المساحة اضافت الى الحرم سعة قدرها (١٣١.٠٤١م٢) وهى مساحة تتسع لاكثر من (٣٠٠) الف مصلي فى وقت واحد.[١٦]

ويعتبر المسعى اطول رواق فى العالم فقد قدر طوله بـ(٣٩٤م) وعرضه (٢٠) م والاحصائية التالية تبين طاقة المسجد الحرام من المصلين بعد تنفيذ جميع اعمال العمارة والزيادة والترميمات والاصلاحات، فقد قدر للمسجد الحرام ان يستوعب بعد هذه التوسعه فى الظروف العادية، حيث لا تستخدم غير اماكن الصلاة، وجميع الممرات الخالية (١٣٦.٠٠٠) فى المبنى الجديد(١٠٠.٠٠٠) ، وفى المبنى القديم والاماكن المجددة به(١٢.٠٠٠)، وفى صحن المسجد(٢٤.٠٠٠). اما فى المناسبات الدينية غير

[١٤] محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام، ص ٨٩/٨٨.
[١٥] حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص٢٤٣/٢٤٢.
[١٦] الأزرقي: أخبار مكة، ملحق رقم (٥)، ص ٣٣٨/٣٣٧.

الحج، مثل موسم رمضان، فيقدر ان يستخدم نصف الممرات وبالتالى يستوعب (٢٠٤.٠٠٠)وفى المبنى الجديد (١٥٠.٠٠٠) ، وفى المبنى القديم والاماكن المجددة (١٨.٠٠٠) ، وفى صحن المسجد (٣٦.٠٠٠) . اما فى موسم الحج فيفترض ان جميع الفراغات داخل الحرم وخارجه يمكن استخدامها وبالتالى يصبح استيعاب الحرم (٤٠٠.٠٠٠): فى المبنى الجديد (٢٢٥.٠٠٠)، والساحات الخارجية (١٠٠.٠٠٠)، والمبنى والمناطق المجددة (٢٥.٠٠٠)، والصحن (٥٠.٠٠٠) ، بل ربما وصلت سعة الحرم فى ذروة الزحام الى (٥٠٠.٠٠٠) مصلى.[١٧]

اما مقدار التكلفة الاجمالية لتلك التوسعة فقد بلغت مليار ريال سعودى، توزعت على النحو التالى:

- (٣١٦.٠٠٠) ريال اشغال مدنية.
- (١٠٤.٠٠٠) ريال اشغال كهربائية.
- (١٥٥.٠٠٠)ريال تكاليف توسعة المطاف، وتصريف مياه الحرم.
- (٤٢٥.٠٠٠) ريال مبالغ التعويضات.[١٨]

رابعا: عمارة وتوسعة المسجد الحرام فى عهد خادم الحرمين الشريفين "التوسعة الكبرى"

لماذا التوسعة؟ :-

ان الدوافع الايمانية البحتة كانت وراء عمارة وتوسعة الحرم المكى الشريف ولان المملكة العربية السعودية تعتبر قاعدة الاسلام الاولى منذ البعثة النبوية والى الان والى ما شاء الله ، لقد هيا الله سبحانه وتعالى لهذه الدولة السنية حكاما التزموا بالعقيدة الاسلامية شرعا ومنهجا وغدت خدمة الاماكن المقدسة شرف يعتزون به، وخاصة من عهد الملك عبد العزيز ، ثم من بعده اولاده الذين توارثوا شرف خدمة الاماكن المقدسة، "ومن يبصر جلالة الملك فهد وهو يبذل العناية الفائقة فى خدمة الحرمين الشريفين ، وهو يغدو الى مكة بين فترة واخرى مستلما الحجر ، وطائفا بالكعبة، ومصليا فى المسجد الحرام، واماما للحجيج، من يبصر ذلك فانما يبصر عمل الملك عبد العزيز من خلال عمل الملك فهد". [١٩]

ولقد اكد تلك المبادئ خادم الحرمين الشريفين من خلال تلقبه بلقب خادم الحرمين الشريفين منذ عام ١٤٠٧هـ . وكذا من خلال اقواله وخطبه فقد قال فى كلمة له ما نصه

[١٧] محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام، ص ٩١ ، نقلا عن مشروع جلالة الملك عبد العزيز ص٦٠.
[١٨] المرجع السابق، ص ٩١.
[١٩] سيد سابق ، دعوة الاسلام، ٩٢.

"لقد كرمنا الله بما خصنا به من شرف خدمة الحرمين الشريفين، ووفقنا واعاننا ان مكننا من تجنيد كل امكاناتنا المادية والبشرية في خدمة ضيوف الله العتيق".[٢٠]

ولعلنا نلخص أهم الدوافع الدينية لعمارة المسجد الحرام بما يلي:-

١. أن هناك دينا ودنيا، ومن واجب الإنسان أن يعمل لكليهما بنفس القدر من اليقين والأخلاص.
٢. العمل لآخرة الإنسان يتطلب تضحية كبرى، لأن النتيجة قد لا تكون عاجلة ومرئية، وإنما هي تحسب عند الله الذي لا يغفل ولا ينام.
٣. إن المملكة العربية السعودية ليست في حاجة لتستغل الحجيج، فهي لا تفرض عليهم رسوماً، وما يدفعونه ما هو إلا لخدمات السكن والمواصلات.
٤. إن الإيمان بالعقيدة متغلغل في نفوس حكام هذه الدولة، وهم على استعداد للتضحية بأي شيء مهما غلا ثمنه.
٥. إن المملكة تعتبر مسؤ لة روحياً عن المسلمين بحكم رعايتها للأماكن المقدسة، فمنها شع نور الإسلام ، فتعتبر المملكة ذلك واجباً وتشريفاً أن يقوم به تجاه الأماكن المقدسة أولا ثم تجاه العالم الإسلامي ثانياً.[٢١]

مبادئ التوسعة:

حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين على أن تكون توسعة المسجد الحرام ضمن قواعد عملية ومبادئ راسخة وواضحة، ومن هذه المبادئ:

١. وضع الدراسات حول التربة، والأحمال، والمواد المستخدمة، لضمان تنفيذ المشروع على أفضل الطرق الهندسية.
٢. الأخذ بنظر الاعتبار التجانس بين العمارتين القديمة والحديثة حتى يكون التداخل طبيعياً ومتآلفاً.
٣. استخدام أفضل ما وصلت إليه التقنية الحديثة في تنفيذ المشروع.

وهذه المبادئ توضح لنا أهداف التوسعة وهي:

١. إضافة مبنى للحرم يساعد على استيعاب أكبر عدد من المصلين.
٢. الاستفادة من المساحات المحيطة بالحرم، وكذا الاستفادة من سطح الحرم.
٣. تطوير وتنسيق المنطقة المركزية المحيطة بالحرم، من حيث استقبال المصلين وخروجهم، وتهيئة الخدمات المساندة، مع الاخذ بنظر الاعتبار في إيجاد مرونة للحركة الدائبة حول الحرم.
٤. إيجاد أنظمة سلامة وأمن متطورة، تشمل(الدائرة التليفزيونية المغلقة، والنداء للصلوات والطاقة الكهربائية، وإطفاء الحريق، والتهوية الطبيعية، وتلطيف الهواء)
٥. إيجاد شبكة مياه وصرف صحي مناسبة لحجم الحرم.

---

[٢٠] صحيفة عكاظ، العدد (٩٤٤٠) غرة ذي الحجة ١٤١٢هـ.
[٢١] حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣١٧.

٦. تأمين مواقف للسيارات، مع سهولة الحركة والمرور لضمان راحة المصلين.[٢٢]

"وهذه الأهداف الرئيسية، وغيرها من الأهداف احتاجت طوال فترة التنفيذ إلي جهود شاقة، وعمليات معقدة، وسلاسل متواصلة من الأعمال، والاجتماعات، والاختبارات والمراقبة، والمراجعة".[٢٣]

ومن يعرف منطقة الحرم المركزية التي تم فيها عمل التوسعة الكبرى يدرك أن هناك صعاب ومشكلات كان لابد من التغلب عليها ومن هذه الصعاب نذكر ما يلي:-

١. إن المكان الذي خص بالتوسعة يعج بالحركة الدائبة والنشاط المستمر فهو يمثل قلب مكة النابض.
٢. كثرة الخدمات وتشابكها وتشعبها مثل الكهرباء والماء والهاتف، وهذا يعني تحويل مسار هذه الخدمات، بحيث لا تتأثر المنطقة المحيطة بالتوسعة بانقطاع تلك الخدمات.
٣. استمرارية العمل في التوسعة حسب ما رسم له من مخططات والمواصفات في التنفيذ وبسرعة في الإنجاز دون ان يتأثر الحرم بذلك، وكذا المنطقة المركزية وخدماتها.[٢٤]

بداية تنفيذ المشروع:

في شهر صفر من سنة ١٤٠٩،قام خادم الحرمين الشريفين بوضع حجر الأساس لتوسعة وعمارة المسجد الحرام، وبدأ العمل الفعلي في شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها من قبل مؤسسة بن لادن، وقد انتهى العمل بفضل الله سبحانه وتعالى في أوائل عام ١٤١٣هـ.

شمولية التوسعة:

قسم مبنى التوسعة إلي خمس عشر مستقلة، وذلك لإيجاد توافق بين متطلبات العمل الإنشائي، وبين المنشآت المعمارية، فتكون المشروع من:

١. البدروم بمساحة(١٨.٠٠٠م^{٢}).
٢. الطابق الأرضي(٢٠.٠٠٠م^{٢}).
٣. الطابق الأول(١٩.٠٠٠م^{٢}).
٤. تهيئة السطح للصلاة ليستوعب تسعين ألف مصلي.

ويضم مبنى التوسعة مدخلاً رئيسياً جديد أطلق عليه باب الملك فهد، اضافة إلي ١٨ باباً عادياً، وكذا إنشاء مدخلين جديدين للبدروم.[٢٥]

---

[٢٢] المرجع السابق، ص٣٣/٣٣٧.
[٢٣] المرجع السابق،ص ٣٣٨.
[٢٤] المرجع السابق، ص ٣٤١/٣٤٠.
[٢٥] خالد الشريهي: لمحات من انجازات خادم الحرمين الشريفين، ص ٥٠.

وقد زين سطح الدور العلوي بثلاث قباب جميلة جدا قائمة على أربعة أعمدة، كل عمود متوج بمقرنصات[٢٦]، وكذا فتحات علوية من الخشب الساج الجميل.
ولتسهيل حركة انتقال المصلين إلي الدور الأول، وإلي السطح فقد تم إنشاء مبنيين للسلالم المتحركة، أحدهما شمال التوسعة، والآخر في جنوبه، إضافة إلي مجموعتين من السلالم المتحركة داخل حدود المدخل الرئيسي.
وكذا تم إنشاء ثمانية سلالم ثابتة تساعد في تسهيل مرور المصلين داخل الحرم[٢٧]، وكذا تم إنشاء مئذنتين جديدتين بإرتفاع ٨٩م، تشبهان المآذن الأخرى.
أما ساحات الحرم فقد جهزت من جهة المسعى بمساحة قدرها(٤٦.٠٠٠م٢) ومساحة السوق الصغير بمساحة قدرها(٢٠.٠٠٠م٢)، وساحة الشامية بمساحة قدرها(١٤.٠٠٠م٢)، ليكون مجموع مساحة الساحات نحو(٨٨.٠٠٠م٢).
وقد استخدمت المساحة التحتية لهذه الساحات لإنشاء مجموعة من المرافق والخدمات، فقد أنشئ نفق للسيارات ليفصل حركة المصلين تماماً، وتم ايصال ذلك النفق بسلالم متحركة وثابتة، وكذا تم إنشاء(١٤٤٠) مرفقا صحيا،و(١٠٩١) نقطة وضوء، و(١٦٢) نافورة شرب مياه، وهذه المرافق موزعة بين الرجال والنساء مع مراعاة الخصوصية في ذلك.
وكذا تم إنشاء شبكة تمديدات للصرف الصحي على مستوى عالي جدا سواء لتصريف مياه الأمطار، أو لتصريف المياه المستخدمة في الوضوء وخلافه، وهذه كلها جعلت من تحت الحرم، وتتكون من عبارات أطوالها في حدود (١٢٠٠) متر، وبابعاد تصل إلي ٤م، مع نفق شبه دائري قطره حوالي ٣م، وطوله٥٥٠م.[٢٨]
وفي مجال توفير الخدمات الكهربائية، تم إنشاء محطتي تحويل على جانبي التوسعة تحتوي كل منهما على ثلاثة محولات قدرة كل منها ١.٦ ميغافولت، صممت لتوفر طاقة احتياطية يبلغ ١٠٠% من الأجمالي.
وقد تم إنارة التوسعة بثريات كهربائية جميلة تتناسب مع الشكل المعماري للتوسعة، وكذا تم تركيب شبكة إذاعية متطورة جداً، موزعة على مساحة الحرم بالتساوي ومدمجة مع الشبكة القديمة، امتازت بنقاوة الصوت وقوته وسلامته من المؤثرات الكهربائية أو التليفونية، وكذا وزع في أروقة الحرم وأعمدته وجدرانه أعداد كبيرة من الساعات الكهربائية باللغتين العربية واللاتينية.[٢٩]

---

[٢٦] المقرنصات هي: عملية معمارية انشائية، أو تستخدم كحلية زخرفية، على شكل دلايات بعضها فوق بعض، وكثيراً ما توجد في عمارة المساجد والمآذن،أو في تيجان الأعمدة. انظر أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص ١٣٩/١٤٠.
[٢٧] خالد الشريهي: لمحات من انجازات خادم الحرمين الشريفين، ص ٥٠.
[٢٨] حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٤٢/٣٤٣، وزارة الاعلام: الحرمان الشريفان،ص ٥٠.
[٢٩] خالد الشريهي: لمحات من انجازات خادم الحرمين الشريفين، ص ٥١.

وهذا يعني أنه تمت العناية بالوحدات الميكانيكية والكهربائية لعمارة المسجد الحرام من حيث (تلطيف الهواء، تبريد مياه الشرب، ونظام تصريف المياه، ونظام مكافحة الحريق، والإنارة والصوت والهاتف، نظام الانذار المبكر، الشبكة التليفزيونية المغلقة، وكذا نظام التحكم الآلي).

أما في مجال الزخرفة، فقد راعي المصممون أن تكون أعمال الزخرفة مماثلة لنظيرتها في التوسعة السعودية الأولى، كما روعي في التشطيبات العامة أن تكون الجدران بالحجر الصناعي، وتكسية الأعمدة الدائرية بالموازييك، والمربعة بالرخام، وتقدر الكمية ب(٦٠٠٠)م٢، كما أن تيجان الأعمدة من الرخام المطعم بالنحاس، وتم تبليط الأرضيات برخام أبيض مصفوف بشكل دائري، تبلغ مساحتها(٨٢.٠٠٠م٢)، إضافة إلي رخام الساحات الخارجية.[٣٠]

والناظر إلي عمارة المسجد الحرام يرى أن زخارفه مستوحاة من الزخارف الإسلامية، فقد استخدمت أفضل أنواع الزخرفة، وكذا الخامات، ونفذت بأيدي ماهرة ومتقنة، مع استخدام الأجهزة الحديثة في تنفيذ ذلك، وقد شملت فنون الزخرفة العناصر المعمارية التالية: المآذن والقباب، الأروقة، الأعمدة، الجدران، الأسقف والأرضيات، السلالم، الأقواس، النوافذ، والأبواب كما تم استخدام أفضل أنواع الخامات سواء الصناعات النحاسية في الثريات وغيرها وأعمال الزجاج، تيجان الأعمدة، القناديل والمشربيات، الكرانيش، استخدام الذهب والنحاس والزجاج والكريستال، الخشب الساج، خشب الأرز المغربي، الألمنيوم الأصفر، الحجر الصناعي المزخرف، الرخام بأنواعه، الجرانيت بألوانه، السيراميك والجص، وخلاف ذلك.[٣١]

وكمثال على ذلك نجد أن الخط العربي شغل مساحة واضحة في تلك العمارة، فقد كتب بالخط الكوفي في دوائر أرضيتها بيضاء وكتابتها مذهبة جملة"بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّ الله الرحمن الرحيم" وكذا لفظ الجلالة"الله" و"لا إله إلا الله محمد رسول الله"

التوسعة بالأرقام:

- تقع التوسعة في الناحية الغربية للمسجد الحرام بين باب العمرة وباب الملك على مساحة(٧٦.٠٠٠م٢)، ويقدر لها أن تستوعب(١٩٠.٠٠٠) مصلي.
- قدرت مساحة المسجد الحرام بعد التوسعة بما في ذلك السطح، والساحات الخارجية(٣٦١.٠٠٠م٢)، تستوعب (٧٣٠.٠٠٠)مصل، وقد يصل إلي مليون في وقت المواسم.

[٣٠] محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام، ص ١٠٠.
[٣١] حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى، ص ٣٨٣، وزارة الاعلام: الحرمان الشريفان، ص ٦٧.

- قدر إرتفاع القاعدة الخرسانية ١٠٠سم، روعي في تصميها أن تكون مقاومة للزلازل، وأن تتحمل طابقاً ثالثاً.
- تراوح سمك جدران المسجد الحرام بمقاسات مختلفة منها:

(١٠٠) ملم وكمية الطوب (١٦١٥٦) متراً مربعاً.
(١٥٠) ملم وكمية الطوب (٥٥٧٦) متراً طولياً.
(٢٠٠) ملم وكمية الطوب (٢٩٥٩) متراً طولياً.
(٢٥٠) ملم وكمية الطوب(١٨٨) متراً طولياً.
(٣٠٠) ملم وكمية الطوب (٣٩) متراً طولياً.

- كمية الخرسانة المسلحة(١١١.٧٥٠)م^{٣}.
- كمية حديد التسليح(١٦٢٠٤) طن
- يبلغ عدد المآذن مئذنتان، ارتفاع المئذنة الواحدة(٨٩) متراً وبذلك يصبح للمسجد الحرام تسع مآذن.
- يبلغ ارتفاع القبة الواحدة (١٣) متراً، ومساحة كل قبة(٢٢٥) متراً.
- يبلغ ارتفاع الواجهات الخارجية للمبنى (٢٢.٥٧) متراً
- قدرت كمية الرخام، الحجر الصناعي ب(٦٠٠٠) م^{٢}.
- بلغ عدد الأعمدة في التوسعة(٤٩٢) عموداً مستديراً ومربعاً، بقطر (٨١) سم للأعمدة المستديرة، وطول(٩٣) سم للأعمدة المربعة، وارتفاع (٤.٧٠) متر لأعمدة الطابق الأول، و(٤.٣٠) متر لأعمدة البدروم، وقواعد الأعمدة المربعة(١٠٢×١٠٢×٥٤ سم) أما قواعد الأعمدة المستديرة فهي سداسية الشكل بعرض (٩٧)سم وارتفاع(٥٤)سم، وتبلغ المسافة بين كل عمود وآخر خمسة أمتار للممرات، وخمسةعشر متراً لأماكن الصلاة.
- بلغ أرتفاع كل طابق (١٠) متر
- قدرت الكميات المستخدمة من الموانع والعوازل المائية بما يزيد عن ١٦٠.٠٠٠ متر طولي ومربع.
- قدر عدد الوسائد الحاملة تحت الكمرات ٤٠٧ وسادة.
- قدر كميات التلييس للأسقف والجدران وبأسماك مختلفة بما يزيد عن ١٥٥.٠٠٠ متراً مربعاً.
- قدر مساحة المبنيين للسلالم ٣٧٥ متراً مربعاً، طاقة كل منها ١٥.٠٠٠ شخص في الساعة.
- قدر عدد السلالم ٥٦ سلماً كهربائياً بطاقة ١٠٥.٠٠٠ في الساعة.
- قدر عدد السلالم الثابتة بستة سلالم أضيفت إلي السلالم السابقة ليصبح عددها ١٣ سلماً ثابتاً

- قدرت مساحة الساحة الشرقية من جهة المسعى ٤٦.٠٠٠ م٢، ومساحة الساحة من جهة السوق الصغير ٢٨.٠٠٠م٢ ، مساحة جهة الشامية ١٤.٠٠٠م٢، ليكون مجموع الساحات نحو ٨٨.٠٠٠م٢.
- يبلغ عدد مرواح تلطيف الهواء السقفية والجدارية ١٢٩٢ مروحة.
- أنشئ عدد ٣٢ وحدة تبريد، يصل معدل طاقتها أكثر من ١٣.٠٠٠ طن من الهواء المبرد، حيث يمر الهواء عبر انابيب معزولة من خلال نفق قطره ١١٠٠ملم.
- قدر عدد وحدات معالجة الهواء في المحطة المركزية(١٤٢) وحدة، يقدر انتاجها (١٧٥٥) كم في الثانية الواحدة من خلال فلاتر وماكينات سحب الهواء وضخها إلي الطابقين السفلي والأول.
- يضم مبنى التوسعة مدخلاً رئيسياً جديداً و١٨ باب عادي إضافة إلي المداخل الثلاثة الرئيسية و٢٧ باباً عادياً، وبذلك يصبح عدد المداخل ٤٥ مدخلاً عادياً، وكذا بلغ عدد أبواب الحرم في التوسعة١٤ باباً، وبذلك يصبح العدد الاجمالي ٤١ باباً.
- يبلغ طول نفق السوق الصغير الذي يمر من امام باب الملك عبد العزيز ومستشفى جياد ب(١٥٠٠)م، والجزء المغطى منه(٦٦١)م، ويتألف من مسارين منفصلين، وقد زود هذا النفق بسلالم كهربائية تساعد في الدخول إلي الحرم من بابي الملك عبد العزيز، وباب الملك فهد، ويبلغ ارتفاع النفق ٥.٥م، وانشيء٦٩٠ مرفقاً صحياً، و٤٤٩ نقطة وضوء، ١١٤ نقطة مياه للشرب، وبذلك يصبح عدد دورات المياه وأماكن الوضوء ونقاط توزيع المياه، والمرافق الصحية٩٠٠٠ وحدة.
- قدر طول مجاري السيول ٧كم من ميدان العل إلي الحرم، وتتكون من عبارات أطوالها ١٢٠٠م، وبابعاد تصل إلي حوالي ٤م، مع نفق شبه دائري قطره حوالي٣م، وطوله٥٥٠م.
- قدر طول الجدران الاستنادية والأسوار٢٠٠٠م، وارتفاع بعضها قد يصل إلي ٤٠ متراً من جهة الصفا، ويتخلل هذه الأسوار خمسة أبواب معدنية.[٣٢]

" لقد كانت توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للمسجد الحرام توسعة عظيمة، ولم تقتصر على العمارة فقط، بل تعدتها إلي توفير كافة

[٣٢] عن هذه الأرقام انظر المراجع التالية:
حامد عباس: قصة التوسعة الكبرى
محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام
خالد الشريهي: لمحات من انجازات خادم الحرمين الشريفين
توسعة وعمارة الحرمين(رؤية حضارية)
وزارة الاعلام: الحرمان الشريفان.

الخدمات والمرافق، بل وتوفير الأمن والطمأنينة، حتى يؤدي الحاج والمعتمر حجه أو عمرته بيسر وسهولة، وكان خادم الحرمين الشريفين كثيراً ما يشرف على هذه التوسعة بنفسه، يقف على سير العمل، ويذلل ما يعترضه من صعوبات، ويبدي ملاحظاته وتوجيهاته التي تكفل لهذا المشروع العظيم أن يظهر بأعلى مستوى من البناء والتشييد".[٣٣]

وماذا بعد:

إن لعمارة وتوسعة المسجد الحرام الاثر الكبير في نفوس المسلمين في جميع بقاع المعمورة، لقد سخرت حكومة المملكة العربية السعودية كل أمكاناتها وطاقاتها في خدمة الأماكن المقدسة سواء في مكة أو المدينة، وشيدت مشاريع عملاقة في ميادين شتى، ولعل توسعة وعمارة الحرمين الشريفين يقفان على قمة تلك الانجازات، وما قام به خادم الحرمين الشريفين من عمارة وتوسعة للمسجد الحرام، تسطر في صحائف أعماله المقبولة عند الله ـ إن شاء الله ـ، وهذا ليس بمستغرب على خادم الحرمين، فكان جل اهتمامه منذ توليه مقاليد الحكم في هذه البلاد هو العمل على رعاية الأماكن المقدسة، وكان مما أنجزه في المسجد الحرام سنة ١٤٠٣هـ، يعد البداية الحقيقية لتلك التوسعة الكبرى، فقد امر بازالة المباني والمحلات التجارية في السوق الصغير، وتخصيص مكانها توسعة للصلاة وعدت مساحتها ليستوعب أكبر عدد ممكن من المصلين الذي قدر ٩٠.٠٠٠ مصلى، وكذا إضافة مساحة أخرى لساحات الحرم من جهة الشبيكة وسوق الذهب والشامية، وتهيئتها بما يلزم من المرافق والخدمات.

وهذا يعني أن التوسعة الكبرى لم تأت من فراغ، وإنما كان عمق الإيمان والشعور بالمسؤولية تجاه الحرمين الشريفين جعل الملك فهد يتخذ قرار التوسعة، مع علمه المسبق بأن تكاليف هذا المشروع تعد بعشرات المليارات موزعة على تكاليف العمارة، ونزع الملكيات، ولكن لم يكن المال عقبة في سبيل تنفيذ ذلك المشروع العملاق، فكان يصرف عليه بلا حساب، ولا قيود خدمة وتشريفاً للبيت الحرام، وللأماكن المقدسة بصفة عامة.

وقال خادم الحرمين الشريفين في جلسة مجلس الوزراء بالمدينة المنورة في جمادي الآخرة ١٤١٢هـ، وما نصه" وأود أن أوكد لكم أيها الأخوة أن كل شيء أستطيع تقديمه للحرمين الشريفين ومكة مهبط الوحي، والمدينة مشع نور الرسالة، لن أتردد لحظة في المبادرة إلي تقديمه، وسوف لا أدخر وسعاً بالجهد والمال في سبيل استكمال هذا العمل الإسلامي الحضاري التاريخي، الذي وهبت نفسي في سبيل تحقيقه، وأحمد الله أن شرفني وأخواني وأهل هذا البلد بهذا الفضل العظيم.[٣٤]

---

[٣٣] محمد العوفي: تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام، ص ١٠١.

[٣٤] توسعة وعمارة الحرمين الشريفين(رؤية حضارية)، ص ٦١.

إن إقامة هذه التوسعة التي تعد بحق أكبر توسعة عرفها التاريخ على وجه الأطلاق كانت لها آثار إيجابية كبيرة جداً، آثار عقدية أثرت في نفوس المسلمين واقبالهم على الصلاة في المسجد الحرام بكل يسر وسهولة، وكذا آثار اقتصادية، حيث تهيأ اقامة منجزات اقتصادية عملاقة بالقرب من الحرم مثل شركة مكة للإنشاء والتعمير.

وفي الختام ندعو لخادم الحرمين الشريفين بأن يتقبل الله منه ذلك العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

جدول (١) قائمة بالمصطلحات ذات العلاقة بالبحث

المصطلح	شرحـــــه
الاسطوانة / الاسطواني	الشكل الذي على هيئة اسطوانة ملفوفة ، وهو الذي يتناقص قطره تدريجياً كما في بعض ابراج المآذن وغيرها .
بلاط	الأرضيات المرصوفة بالحجر ، والبلاطة هي المكان المحصور بين صفين من الأعمدة ، وتطلق بشكل خاص على أروقة الصلاة .
تذهيب	طلاء ذهبي للعناصر المعمارية بغرض الزخرفة بماء الذهب .
ترخيم	أعمال الرخام في البلاط أو كسوة الجدران .
جص	مادة مستخرجة من الحجارة الكلسية ، تشوى وتطفأ بالماء ، تستخدم ملاطا للجدران بعد مزجها بالرمل والأسمنت . وعليه تنقش بعض الزخارف .
دعامة	عنصر ووسيلة لتحميل السقف في المباني ، تقوم بوظيفة العمود .
رخام	نوع من الحجر الأبيض والملون المكون من بلورات ناعمة .
ساج	نوع جيد من الخشب يستخدم في أعمال البناء .
صحن	مكان غير مسقوف أو سماوي يتوسط المبنى
طراز	يعبر عن الأسلوب الفني مثل الأشرطة الكتابية ، أو النصوص أو نوع الزخرفة .
عقد	عنصر معماري مقوس أو محني وله أشكال عديدة منها (عقد دائري ، عقد حدوة الفرس ، مدبب ، مخموس ، مفصص ، ثلاثي الفصوص ، بيضي ، وسائدي ، مسن ، مصمت ، عائق ... الخ) .

تابع لجدول (١)

المصطلح	شرحـــــــه
عمود	دعامة للحمل الثقيل ، غالباً يكون من عدة قطع ، ونادراً ما يكون من قطعة واحدة وعليه تحمل الأسقف وتربط العقود .
تاج العمود	حلية تتوج العمود ، غالباً ما تكون مزخرفة .
قاشاني	ألواح الخزف التي تكسى بها الجدران مزودة بالرسوم والألوان الجميلة تحت طبقة زجاجية .
قبة	المبنى ذو السقف الكروي ، ولها أنواع مثل (القبة المحززه ، والمخروطية والبصلية ، والهرمية) .
مشربية	ستارة من خشب الخرط أو الساج تستر بها النوافذ .
مقرنص	حلية معمارية زخرفية تتكون من مجموعة من الدلايات الصغيرة المتراكبة بأشكال مختلفة ، شاع استخدامها في العمارة الإسلامية .
وسادة	بلاطة حجرية توضع بين تاج العمود ، ورجل العقد* .

يبين هذا الجدول وقد رتبناها اعداد الحجاج قدرناها بمراحل التوسعة السعودية

عدد	العام	عدد الحجاج	من حج بالناس	مساحة الحرم المكي	النسبة ٪
١	١٣٤٥ هـ	٩٠٦٦٢	الملك عبدالعزيز رحمه الله	٢٠٠٥٧.١٦ م٢	--
٢	١٣٤٦ هـ	٩٦٣١٢	" " " "	٢٠٠٥٧.١٦ م٢	+ ٦.٢٣
٣	١٣٤٧ هـ	٩٠٧٦٤	" " " "	نفس المساحة	- ٥.٧٦
٤	١٣٤٨ هـ	٨١١٦٦	" " " "	" "	- ١٠.٥٧
٥	١٣٤٩ هـ	٣٩٠٤٥	" " " "	" "	- ٥١.٨٩
٦	١٣٥٠ هـ	٢٩٠٦٥	" " " "	" "	- ٢٥.٥٦
٧	١٣٥١ هـ	٢٠١٨١	" " " "	" "	- ٣٠.٥٦
٨	١٣٥٢ هـ	٢٥٢٩١	" " " "	" "	+ ٢٥.٣٢
٩	١٣٥٣ هـ	٣٣٨٩٨	" " " "	" "	+ ٣٤.٠٣
١٠	١٣٥٤ هـ	٣٣٨٢٠	" " " "	" "	- ٠.٢٠
١١	١٣٥٥ هـ	٤٩٥١٧	" " " "	" "	+ ٤٦.٤١
١٢	١٣٥٦ هـ	٧٦٣٣٤	" " " "	" "	+ ٥٤.١٥
١٣	١٣٥٧ هـ	٥٩٥٧٧	" " " "	" "	- ٢١.٩٥
١٤	١٣٥٨ هـ	٣٢١٥٣	" " " "	" "	- ٤٦.٠٣
١٥	١٣٥٩ هـ	٠٩٠٢٤	" " " "	" "	- ٧١.٩٣
١٦	١٣٦٠ هـ	٢٣٨٦٣	الأمير فيصل نيابة عن الملك عبدالعزيز رحمهما الله	" "	+ ١٦٤.٤٣
١٧	١٣٦١ هـ	٢٤٧٤٣	الملك عبدالعزيز رحمه الله	" "	+ ٣.٦٨
١٨	١٣٦٢ هـ	٦٣٥٩٠	" " " "	" "	+ ١٥٧.٠٠
١٩	١٣٦٣ هـ	٢٧٨٥٧	الأمير فيصل نيابة عن الملك عبدالعزيز رحمهما الله	" "	- ٥٦.١٩
٢٠	١٣٦٤ هـ	٣٣٦٣٠	الملك عبدالعزيز رحمه الله	" "	+ ٢٠.٧٢
٢١	١٣٦٥ هـ	٦١٢٨٦	" " " "	" "	+ ٨٢.٢٣
٢٢	١٣٦٦ هـ	٥٥٣٤٤	الأمير سعود نيابة عن الملك عبدالعزيز رحمهما الله	" "	- ٩.٦٩
٢٣	١٣٦٧ هـ	٧٥٦١٤	الملك عبدالعزيز رحمه الله	" "	+ ٣٦.٦٢
٢٤	١٣٦٨ هـ	٩٩٠٦٩	" " " "	" "	+ ٣١.٠١
٢٥	١٣٦٩ هـ	١٠٧٦٥٣	الأمير سعود نيابة عن الملك عبدالعزيز رحمهما الله	" "	+ ٨.٦٦
٢٦	١٣٧٠ هـ	١٠٠٥٧٨	الملك عبدالعزيز رحمه الله	" "	- ٦.٥٧
٢٧	١٣٧١ هـ	١٤٨٥١٥	الأمير سعود نيابة عن الملك عبدالعزيز رحمهما الله	" "	+ ٤٧.٦٦
٢٨	١٣٧٢ هـ	١٤٩٨٤١	" " " " " " " "	" "	+ ٠.٨٩
٢٩	١٣٧٣ هـ	١٤٦٠٧٢	الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله	" "	- ٢.٥١
٣٠	١٣٧٤ هـ	٢٣٢٩٧١	" " " " " "	" "	+ ٥٩.٤٩
٣١	١٣٧٥ هـ	٢٢٠٧٣٣	" " " " " "	البدء في تنفيذ المسعى	- ٥.٢٥
٣٢	١٣٧٦ هـ	٢١٥٥٧٥	" " " " " "	البدء في تنفيذ المسعى	- ٢.٣٣
٣٣	١٣٧٧ هـ	٢٠٩١٩٧	" " " " " "	الانتهاء من بعض مراحله	- ٢.٩٥
٣٤	١٣٧٨ هـ	٢٠٧١٧١	" " " " " "	الانتهاء من بعض مراحله	- ٠.٩٦
٣٥	١٣٧٩ هـ	٢٥٣٣٦٩	" " " " " "	الانتهاء من مراحل أخرى	+ ٢٢.٢٩
٣٦	١٣٨٠ هـ	٢٨٥٩٤٨	" " " " " "	المسعى وقد أوشك على الانتهاء	+ ١٢.٨٥
٣٧	١٣٨١ هـ	٢١٦٤٥٥	" " " " " "	افتتاح المسعى	- ٢٤.٣٠

تابع الجدول (ملحق رقم ٣)

عدد	العـــام	عدد الحجاج	مَن حـــج بالنـــاس	مساحة الحرم المكي	النســـبة ٪
٣٨	١٣٨٢ هـ	١٩٩٠٣٨	الأمير فيصل نيابة عن الملك سعود رحمهما الله	بدء المرحلة الثانية من مشروع التوسعة	− ٨.٠٤
٣٩	١٣٨٣ هـ	٢٦٦٥٥٥	الأمير فيصل نيابة عن الملك سعود رحمهما الله	الجزء الخارجي من المبنى الجديد. توسعة المطاف	+ ٣٣.٩٢
٤٠	١٣٨٤ هـ	٢٨٣٣١٩	الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله	استكمال مشروع التوسعة	+ ٦.٢٨
٤١	١٣٨٥ هـ	٢٩٤١١٨	،، ،، ،، ،، ،، ،،	استكمال مشروع التوسعة	+ ٣.٨١
٤٢	١٣٨٦ هـ	٣١٦٢٢٦	،، ،، ،، ،، ،، ،،	استكمال جوانب التوسعة الجديدة	+ ٧.٥١
٤٣	١٣٨٧ هـ	٣١٨٥٠٧	،، ،، ،، ،، ،، ،،	استكمال جوانب التوسعة الجديدة	+ ٠.٧٢
٤٤	١٣٨٨ هـ	٣٧٤٧٨٢	،، ،، ،، ،، ،، ،،	العام قبل الأخير من المرحلة الثانية	+ ١٧.٦٦
٤٥	١٣٨٩ هـ	٤٠٦٢٩٥	،، ،، ،، ،، ،، ،،	انتهاء المرحلة الثانية، ودخول المرحلة الثالثة	+ ٨.٤٠
٤٦	١٣٩٠ هـ	٤٣١٢٧٠	،، ،، ،، ،، ،، ،،	الاستمرار في اتجاه هذه المرحلة	+ ٦.١٤
٤٧	١٣٩١ هـ	٤٧٩٣٩٩	،، ،، ،، ،، ،، ،،	بناء المكبرية، شق الطرق، انشاء الميادين	+ ١١.١٥
٤٨	١٣٩٢ هـ	٦٤٥١٨٣	،، ،، ،، ،، ،، ،،	الانتهاء من المرحلة الثالثة	+ ٣٤.٥٨
٤٩	١٣٩٣ هـ	٦٠٧٧٥٥	،، ،، ،، ،، ،، ،،	البدء في المرحلة الرابعة والأخيرة	− ٥.٨٠
٥٠	١٣٩٤ هـ	٩١٨٧٧٧	الأمير فواز نيابة عن الملك فيصل	تجديد الحرم القديم، وتجديد أركانه	+ ٥١.١٧
٥١	١٣٩٥ هـ	٨٩٤٥٧٣	الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله	السنة قبل الأخيرة من أعمال التوسعة	− ٢.٦٣
٥٢	١٣٩٦ هـ	٧١٩٠٤٠	،، ،، ،، ،، ،، ،،	الانتهاء وأصبحت سعة الحرم (١٦٠١٦٨ م)	− ١٩.٦٢
٥٣	١٣٩٧ هـ	٧٣٩٣١٩	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	+ ٢.٨٢
٥٤	١٣٩٨ هـ	٨٣٠٢٢٦	الأمير فهد نيابة عن الملك خالد	(١٦٠١٦٨) م	+ ١٢/٢٩
٥٥	١٣٩٩ هـ	٨٦٦٥٢٠	الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله	(١٦٠١٦٨) م	+ ٣.٨٨
٥٦	١٤٠٠ هـ	٨١٢٨٩٢	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	− ٥.٧٥
٥٧	١٤٠١ هـ	٨٧٩٣٦٨	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	+ ٨.١٧
٥٨	١٤٠٢ هـ	٩١١١٨٥٣٥٥٥	الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله	(١٦٠١٦٨) م	− ٢.٩٣
٥٩	١٤٠٣ هـ	١٠٠٣	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	+ ١٧.٦١
٦٠	١٤٠٤ هـ	٠٩٦٩٦٧١	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	− ٣.٤١
٦١	١٤٠٥ هـ	٨٤٦٠٩٧	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	− ١٢.٧٤
٦٢	١٤٠٦ هـ	٨٥٦٧١٨	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	+ ١.٢٥
٦٣	١٤٠٧ هـ	٩٦٠٣٨٦	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	+ ١٢.١٠
٦٤	١٤٠٨ هـ	٧٦٢٧٥٥	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	− ٢٠.٥٧
٦٥	١٤٠٩ هـ	٧٧٤٥٦٠	،، ،، ،، ،، ،، ،،	(١٦٠١٦٨) م	+ ١.٥٤
٦٦	١٤١٠ هـ	٨٢٧٢٣٦	،، ،، ،، ،، ،، ،،	بدء مشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين	+ ٦.٨٠
٦٧	١٤١١ هـ	٧٢٠١٠٢	،، ،، ،، ،، ،، ،،	الاستمرار في مشروع التوسعة الضخمة	− ١٢.٩٥
٦٨	١٤١٢ هـ	١٠١٢١٤٠	،، ،، ،، ،، ،، ،،	الاستمرار في مشروع التوسعة	+ ٤٠.٥٥
٦٩	١٤١٣ هـ	٩٩٢٨١٣	،، ،، ،، ،، ،، ،،	مشروع خادم الحرمين في مراحله الأخيرة	− ١.٩٠
٧٠	١٤١٤ هـ	٩٩٥٦١١	،، ،، ،، ،، ،، ،،		+ ٠.٢٨
				الانتهاء من المشروع والمساحة (١٣٦٦١٦٨)	

يبين هذا الجدول (خريطة) المراحل التاريخية لعمارة المسجد الحرام

عدد	العمـــارة ، أو التوســعـة	معـالـــم ، وأولـيـــات ، ومـلاحظـــات
١	توسعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	أول توسعة ، وأول من أقام جداراً حول الكعبة، فحدد بذلك حرم المسجد الشريف .
٢	توسعة عثمان بن عفان رضي الله عنه	أقام أروقة في المسجد الحرام .
٣	توسعة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما	قام بتسقيف الكعبة ، وأجرى أكبر توسعة في الحرم المكي في عصره .
٤	عمارة عبد الملك بن مروان	نقل الأساطين الرخام الى المسجد الحرام، وسقفه بالساج المزخرف، وجعل على رؤوس الأساطين الذهب، وغطى أرضية المسجد بالرخام .
٥	توسعة أبي جعفر المنصور	ضاعف مساحة المسجد ، وغطى الجدران والأرضية والأساطين بالرخام.
٦	توسعة محمد المهدي	استعان بالأساطين التي جلبت من الشام، وزاد خمسة أبواب، وجعل الكعبة المعظمة تتوسط المسجد .
٧	عمارة المعتمد العباسي	جدد جزءاً كبيراً من سقف المسجد ، وزينه بالنقوش .
٨	توسعة المعتضد العباسي	زاد دار الندوة ، وأدخلها في المسجد الحرام .
٩	توسعة المعتضد العباسي	أضاف باب ابراهيم، وجعل دار زبيدة مسجداً أوصله بالحرم الشريف .
١٠	عمارة الظاهر برقوق	عمارة ما تهدم من المسجد الحرام .
١١	عمارة قايتباي	عمارة للمسجد الحرام، وانشاء مدرسة قربه لتدريس المذاهب الأربعة .
١٢	عمارة السلطان سليم	عمارة المسجد الحرام، وجعل بدل السقف قبباً دائرة بأروقة المسجد .
١٣	عمارة السلطان مراد	استكمل ما بدأه السلطان سليم .
١٤	عمارة الملك عبدالعزيز رحمه الله	أول من أقام مظلات، وأضاء المسجد الحرام كاملاً بالكهرباء، وأعمال ترميم ودهانات لكامل المسجد، ورصف المسعى .
١٥	التوسعة بأمر الملك عبدالعزيز	زيادة كبرى في مساحة المسجد الحرام، وفصل المسعى عن حركة الحياة الاعتيادية، وجعل المسعى من طابقين، واقامة سبعة أبواب للمسعى في الواجهة الشرقية، وواحد وعشرين باباً تطل على المسجد الحرام، ومائة وثمان وأربعين نافذة . وقبة فوق الصفا، وتجديد الحرم القديم .
١٦	توسعة الملك فهد بن عبدالعزيز	أكبر توسعة من نوعها في المسجد الحرام حتى تاريخه بلغت ٢٠٦٠٠٠ أمتار، زادت مساحة المسجد الحرام الى (٣٦٦،١٦٨) متراً مربعاً، وزادت القدرة الاستيعابية الى (٨٢٠٠٠٠) مصل ، يصل في الذروة الى أكثر من مليون مصل .

يبين هذا الجدول المراحل بتاريخ عمارة المسجد الحرام .

أ – التوسعات والعمارات : جدول (٤)

	توسعة وعمارة المسجد الحرام	التاريخ هـ	التاريخ م		توسعة وعمارة المسجد الحرام	التاريخ هـ	التاريخ م
١	توسعة وعمارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	١٧	٦٣٨	٦	توسعة وعمارة الخليفة محمد المهدي	١٦٠ ١٦٤	٧٧٦ ٧٨٠
٢	توسعة وعمارة أمير المؤمنين عثمان بن عفان	٢٦	٦٤٦	٧	توسعة وعمارة المعتضد (زيادة دار الندوة)	٢٨١	٨٩٤
٣	توسعة وعمارة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير	٦٥	٦٨٤	٨	توسعة وعمارة المقتدر (زيادة باب ابراهيم)	٣٠٦	٩١٨
٤	توسعة وعمارة الوليد بن عبدالملك	٩١	٧٠٩	٩	توسعة وعمارة الملك عبدالعزيز آل سعود	١٣٧٥	١٩٥٥
٥	توسعة وعمارة أبي جعفر المنصور	١٣٧	٧٥٤	١٠	توسعة وعمارة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز	١٤٠٩	١٩٨٩

ب – العمـــارات : جدول (٥)

	العمـــارة فقـط	التاريخ هـ	التاريخ م		العمـــارة فقـط	التاريخ هـ	التاريخ م
١	عمارة الخليفة عبدالملك بن مروان	٧٥	٦٩٤	٧	عمارة السلطان سليم الثاني	٩٨٤	١٥٧٦
٢	عمارة المعتمد على الله العباسي .	٢٧١	٨٨٤	٨	عمارة السلطان مرادخان		
٣	عمارة الأمير بيسق الظاهري	٨٠٣	١٤٠٠	٩	عمارة الشريف الحسين بن علي	١٣٣٨	١٩٢٢
٤	عمارة فرج برقوق ابن قانصوه	٨٠٧	١٤٠٤	١٠	عمارة الملك عبدالعزيز آل سعود	١٣٤٤	١٩٢٨
٥	عمارة السلطان قايتباي	٨٨٢	١٤٧٧	١١	عمارة الملك عبدالعزيز آل سعود	١٣٤٦	١٩٣٠
٦	عمارة السلطان سليمان القانوني	٩٧٢	١٥٦٤	١٢	عمارة الملك عبدالعزيز آل سعود	١٣٥٤	١٩٣٨

جـ – الترميمات والاصلاحات : جدول (٦)

		التاريخ هـ	التاريخ م			التاريخ هـ	التاريخ م
١	مرمة قاضي مكة جمال الدين محمد بن عبدالله	٨١٥	١٤١٢	١٣	مرمة ناظر الحرم احمد جلبي	٩٦١	١٥٥٨
٢	مرمة السلطان أشرف برسباي	٨٢٥	١٤٢٢	١٤	مرمة السلطان محمد بن مراد	١٠٠٣	١٦٠٠
٣	مرمة ابن المراءة المصري	٨٣٠	١٤٢٧	١٥	مرمة السلطان محمد خان	١٠٠٥	١٦٠٢
٤	مرمة الأمير سودون المحمدي	٨٣٨	١٤٣٥	١٦	مرمة السلطان احمد بن محمد	١٠١٥	١٦١٢
٥	مرمة الظاهر سيف الدين جقمق	٨٤٣	١٤٤٠	١٧	مرمة السلطان محمد بن ابراهيم	١٠٧٢	١٦٦٩
٦	مرمة الأمير قشم	٨٤٦	١٤٤٣	١٨	مرمة ابراهيم بك	١١١٢	١٧٠٩
٧	مرمة ناظر الحرم بيرم بك	٨٥٢	١٤٤٩	١٩	مرمة المعمار محمد أفندي	١١٣٤	١٧٣١
٨	مرمة ناظر الحرم برد بك	٨٥٤	١٤٥١	٢٠	مرمة السلطان عبدالحميد خان	١٢٥٧	١٨٥٤
٩	مرمة الناظر قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة	٨٨٥	١٤٨٢	٢١	مرمة السلطان عبدالمجيد خان	١٢٦٦	١٨٦٣
١٠	مرمة الناظر قاضي القضاة جمال الدين	٨٩٤	١٤٩١	٢٢	مرمة السلطان عبدالحميد خان	١٢٧٩	١٨٧٦
١١	مرمة الخواجة محمد بن عباد الرومي	٩١٥	١٥١٢	٢٣	مرمة السلطان عبدالحميد خان الثاني	١٣١٤	١٨٩٨
١٢	مرمة السلطان الأشرف قانصوه	٩١٧	١٥١٤	٢٤	رصف المسعى بأمر الملك عبدالعزيز	١٣٤٥	١٩٢٩
				٢٥	المظلات التي انشأها الملك عبدالعزيز	١٣٤٦	١٩٣٠

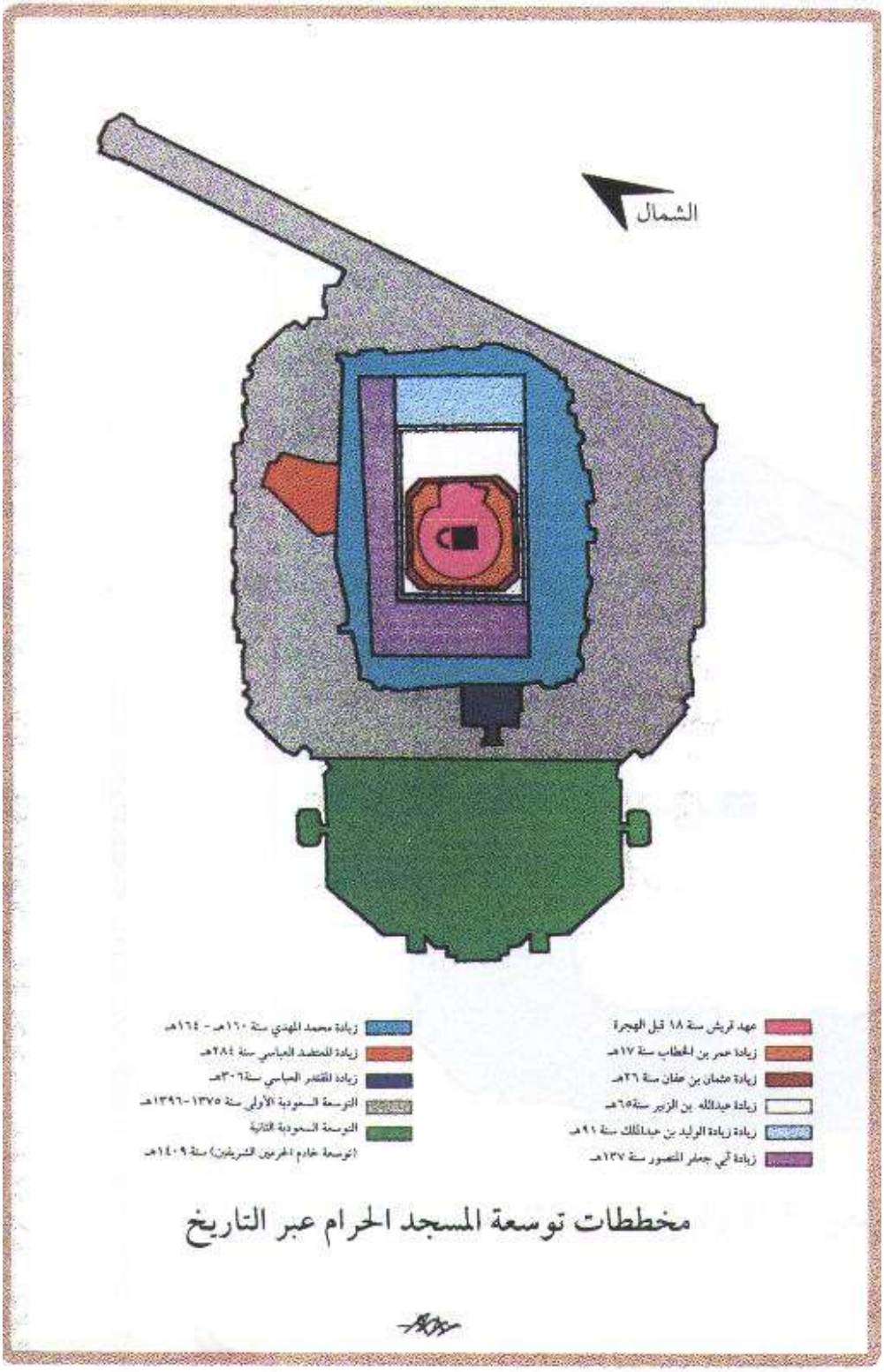
الشمال
عهد قريش سنة ١٨ قبل الهجرة
زيادة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ
زيادة عثمان بن عفان سنة ٢٦هـ
زيادة عبدالله بن الزبير سنة٦٥هـ
زيادة زيادة الوليد بن عبدالملك سنة ٩١هـ
زيادة أبي جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ
زيادة محمد المهدي سنة ١٦٠هـ - ١٦٤هـ
زيادة المعتضد العباسي سنة ٢٨٤هـ
زيادة المقتدر العباسي سنة٣٠٦هـ
التوسعة السعودية الأولى سنة ١٣٧٥-١٣٩٦هـ
التوسعة السعودية الثانية
(توسعة خادم الحرمين الشريفين) سنة ١٤٠٩هـ
مخططات توسعة المسجد الحرام عبر التاريخ

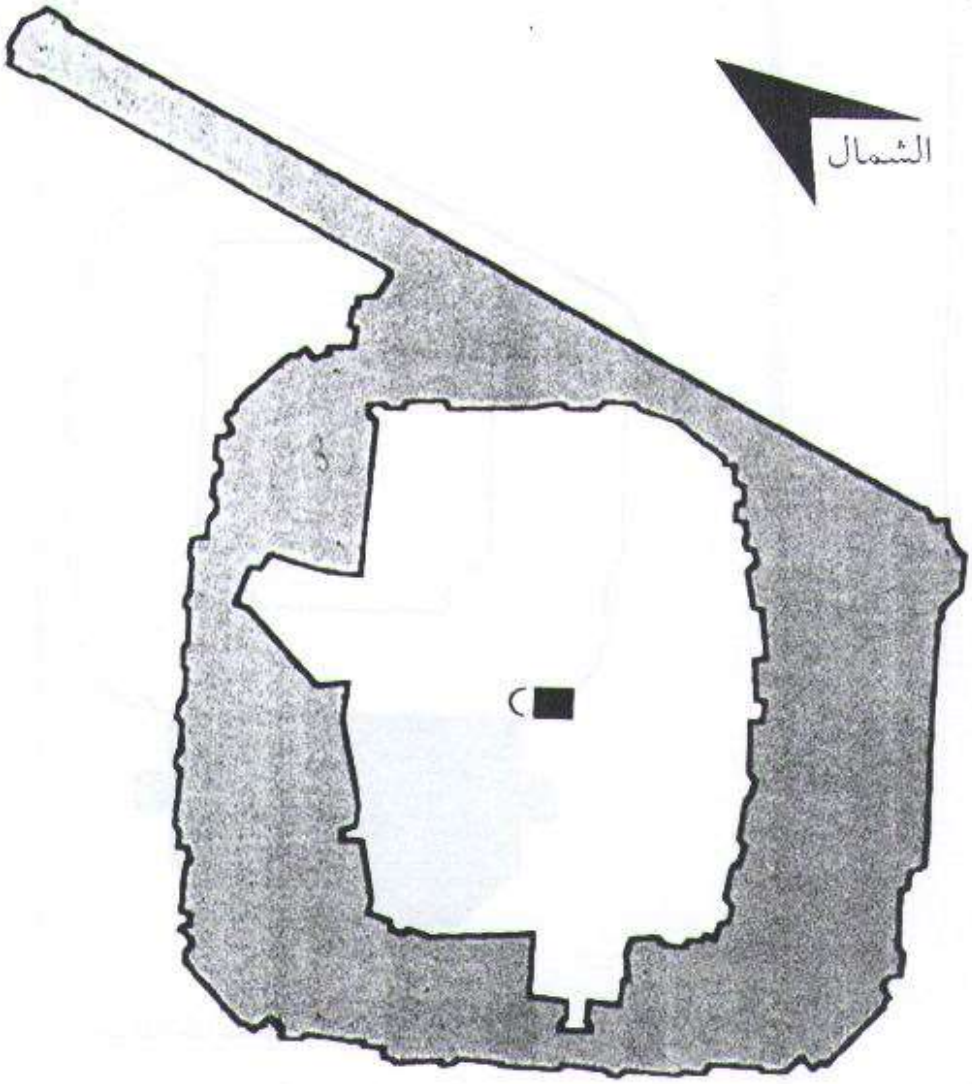

١٠- التوسعة السعودية الأولى سنة ١٣٧٥هـ - ١٣٩٦هـ

شكل (٥)

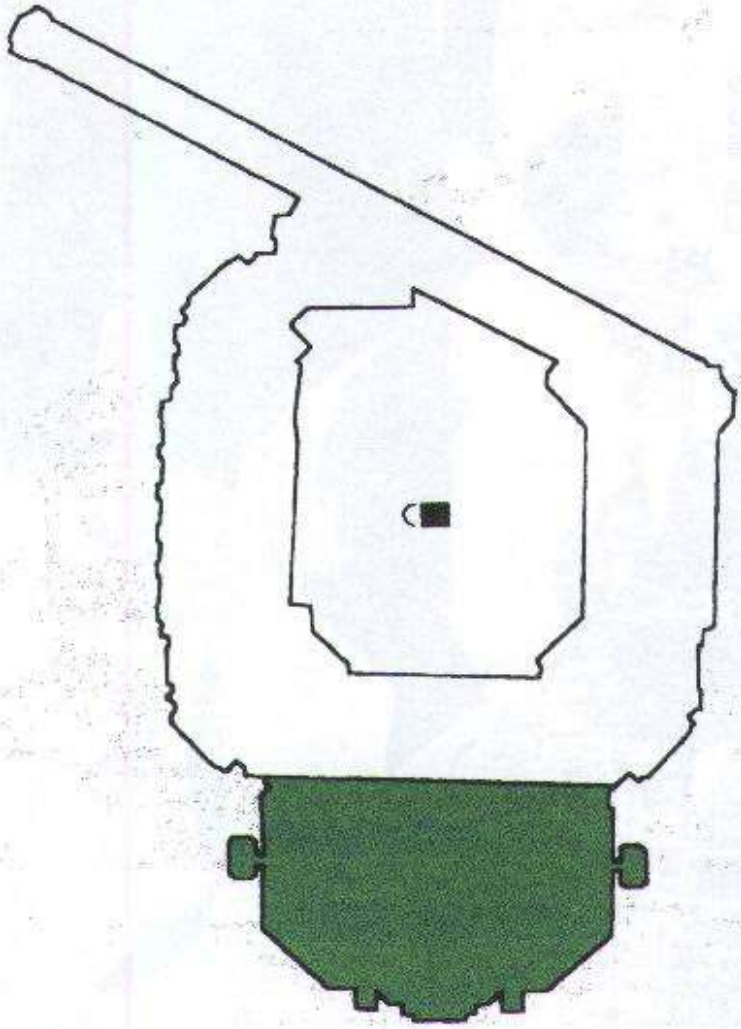

١١- التوسعة السعودية الثانية

(توسعة خادم الحرمين الشريفين سنة ١٤٠٩هـ)

-٨٧/١-

شكل (٣)

يظهر في هذا الرسم السرادقات التي نصبت داخل المسجد الحرام في حج سنة ١٣٤٥ هجرية لوقاية المصلين من حر الظهيرة

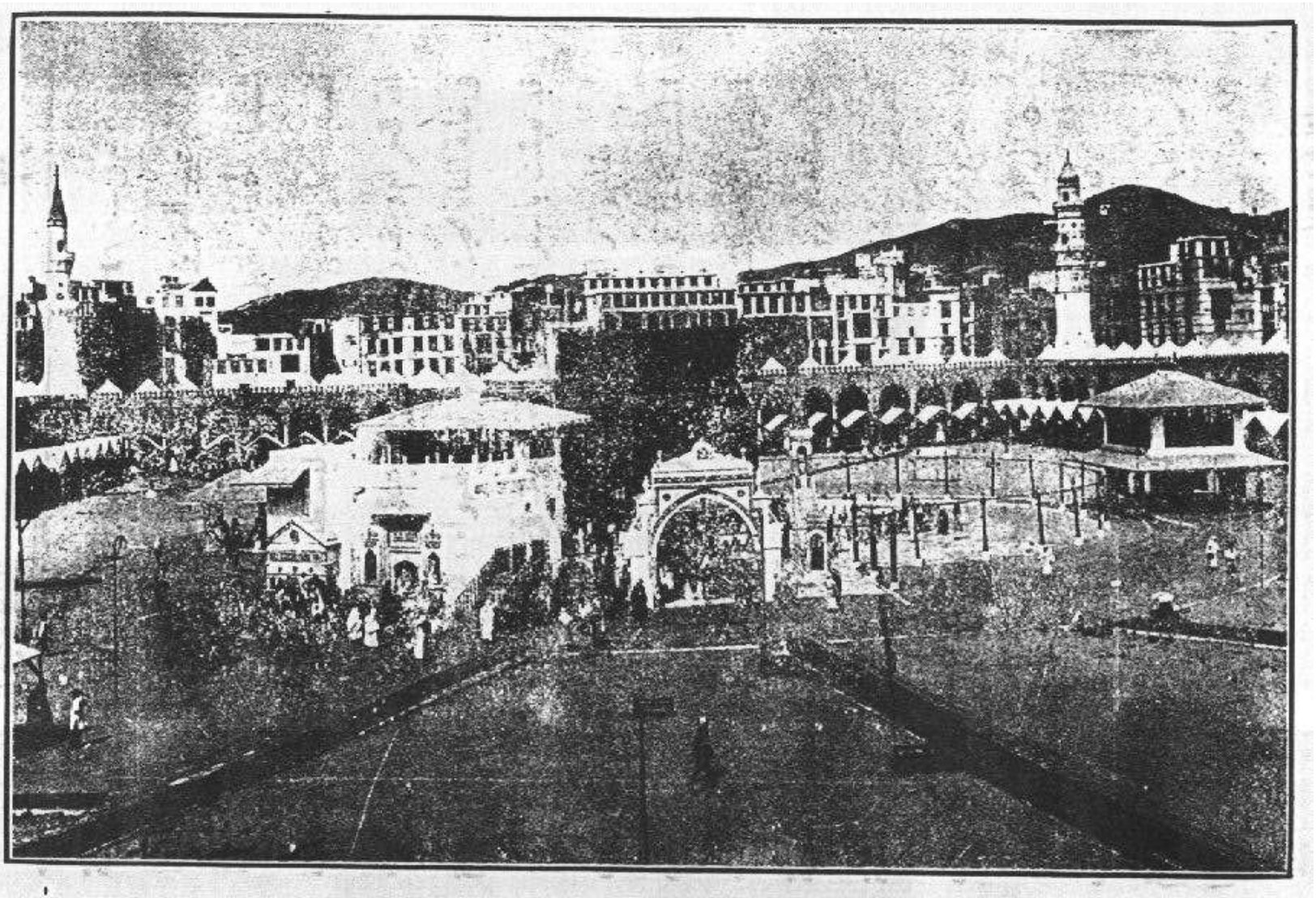

يظهر في هذا الرسم المظلات التي عملها جلالة الملك عبد العزيز المعظم بداخل المسجد الحرام لوقاية المصلين من حر الظهيرة أيام الموسم والسبيل الذي عمله جلالته في واجهة بئر زمزم

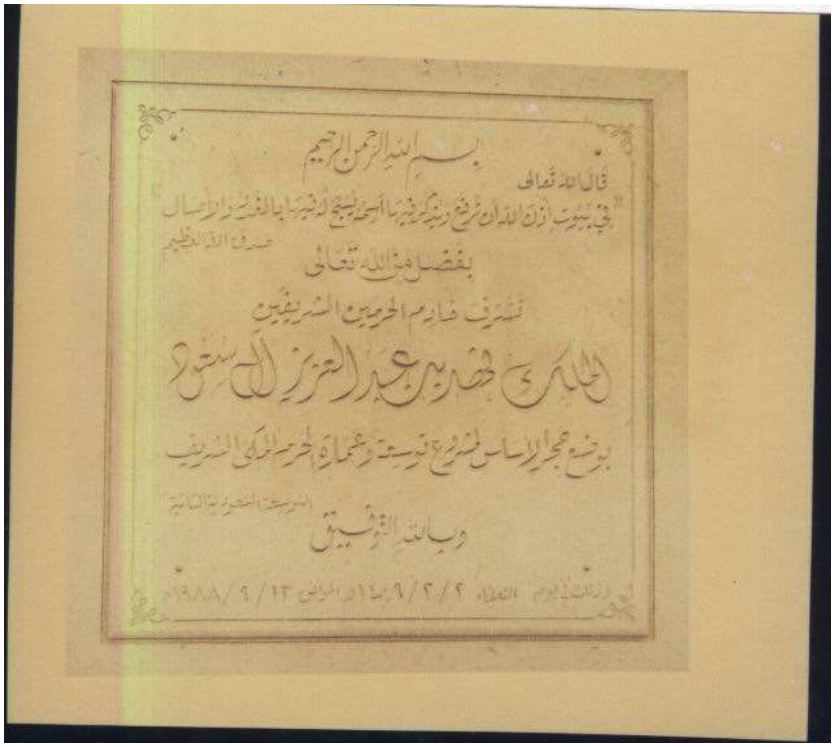

لوحة(3) اللوحة التأسيسية التذكارية لمشروع التوسعة الكبرى

لوحة(4) تبين هاتان اللوحتان مجسم كامل للحرم المكي الشريف وفي اللوحة العليا يري خادم الحرمين الشريفين وهو يشاهد المجسم العملاق

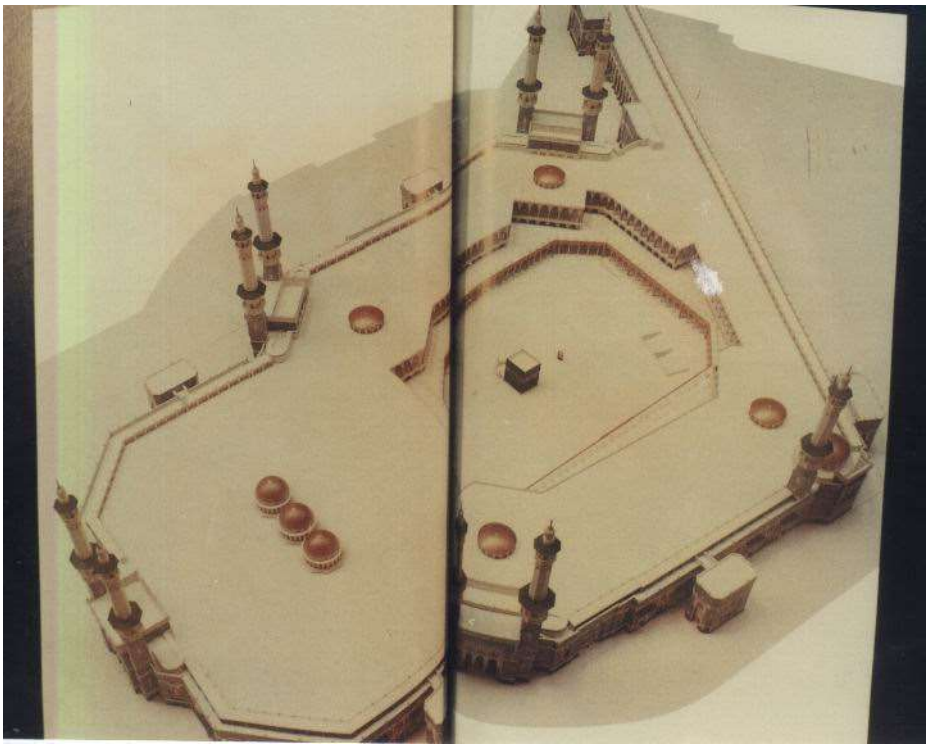

لوحة(5) المرجع السابق

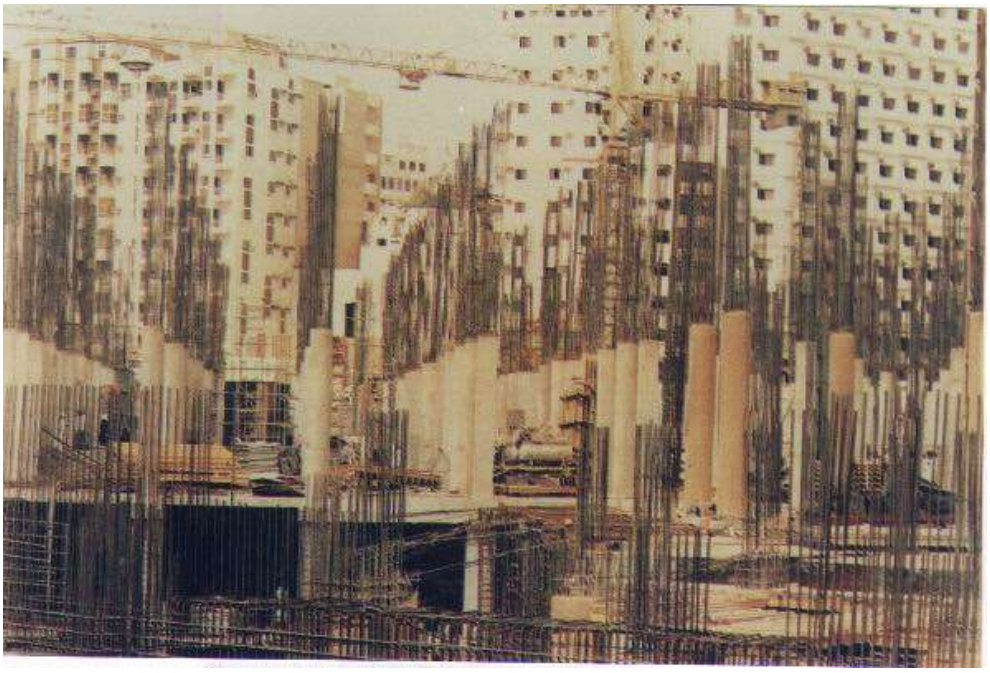

منظر يبين مرحلة من المراحل المعمارية الإنشائية

لوحة(7) منظر يبين مرحلة من المراحل المعمارية الإنشائية ويري في الصورة المآذن الجديدة في التوسعة الكبري

لوحة(8) عمارة التوسعة الكبرى وهي في الدور الأول

لوحة(9) منظر يبين التوسعة الكبرى بعد إكتمال جميع عناصرها المعمارية

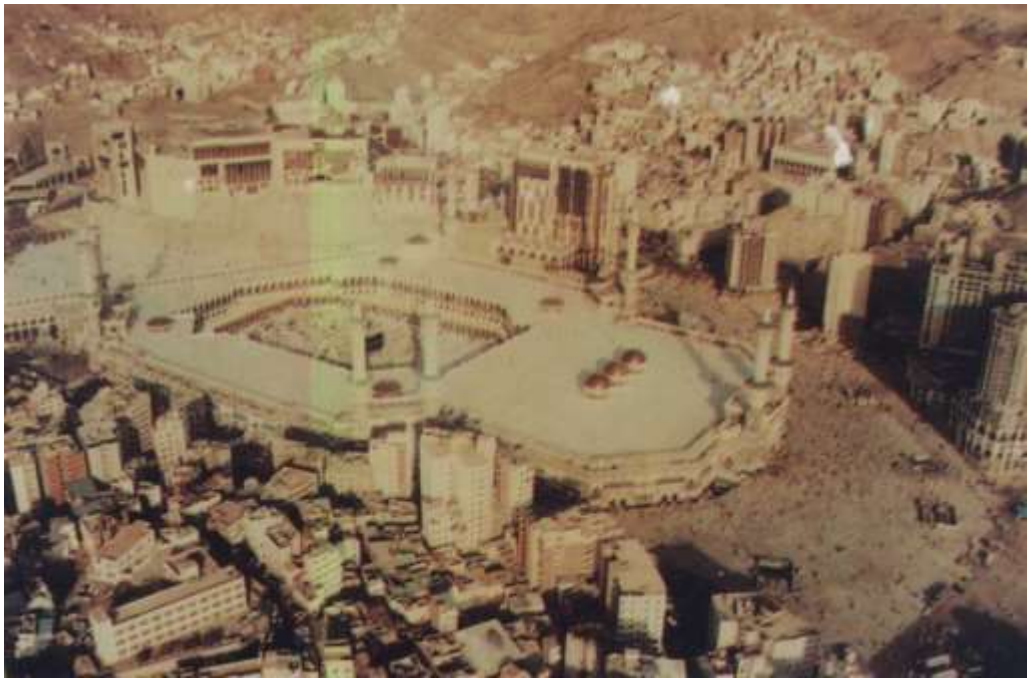

لوحة(10) منظر عام للحرم المكي ويري في الصورة الساحة الجديدة المقابلة للتوسعة الكبري

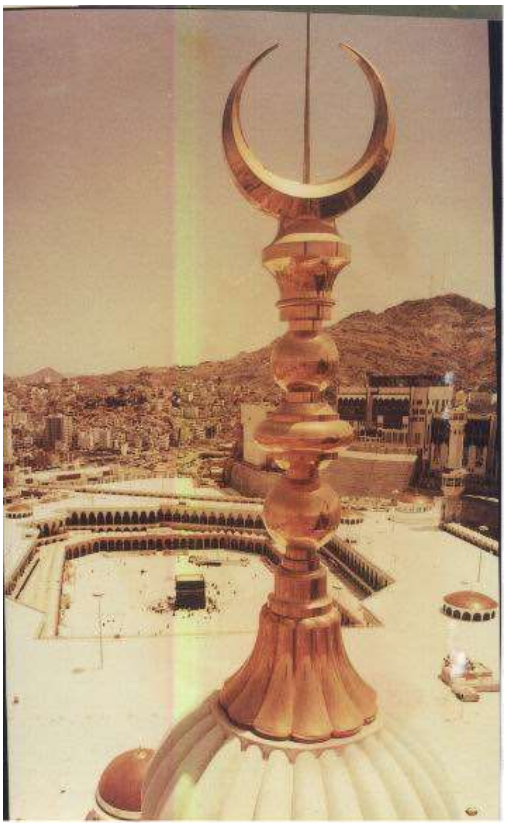

لوحة(11) الطراز الهندسي والمعماري لهلال إحدي مآذن التوسعة الكبري

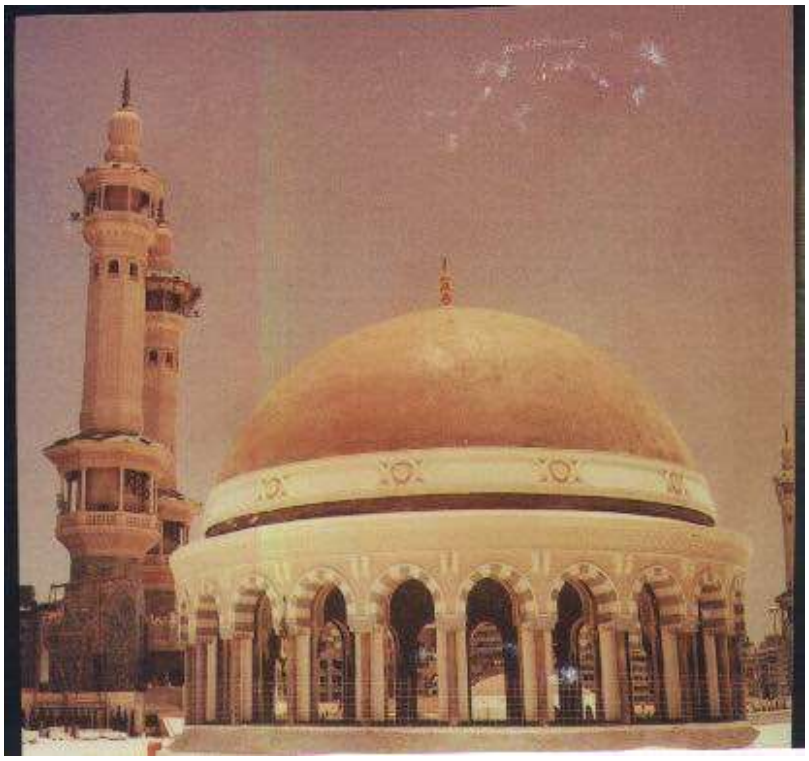

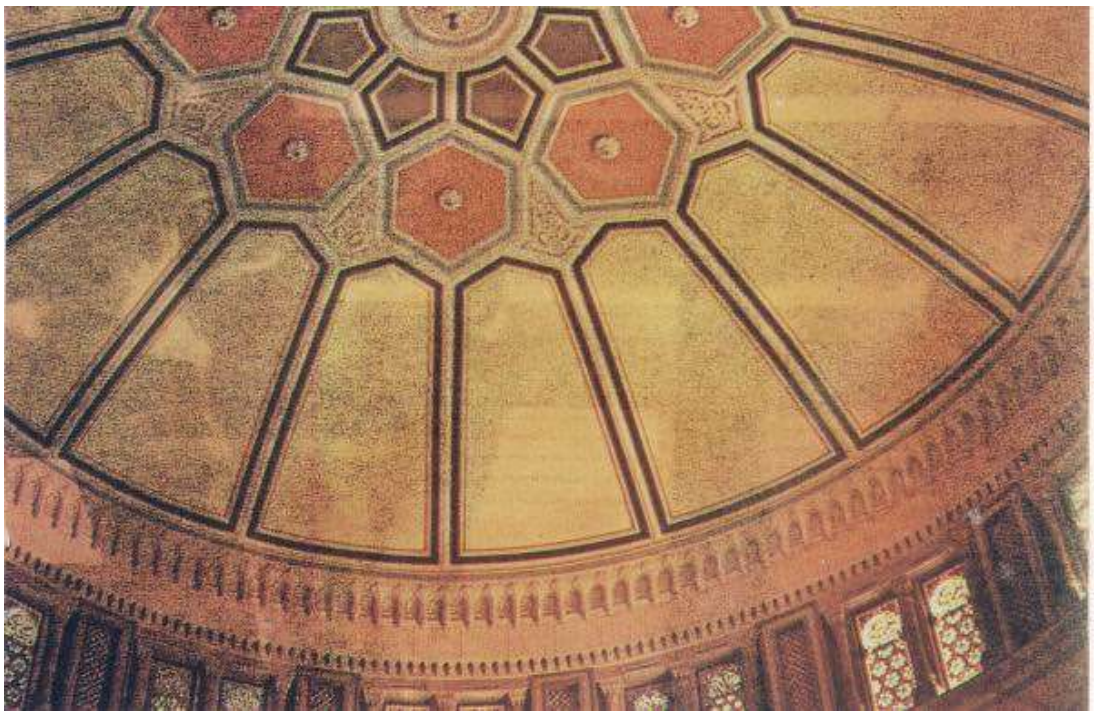

لوحة(12 و 13) الطراز المعماري والفني لاحدي قباب التوسعة الكبرى المستوحاة من الطرز المعمارية الإسلامية

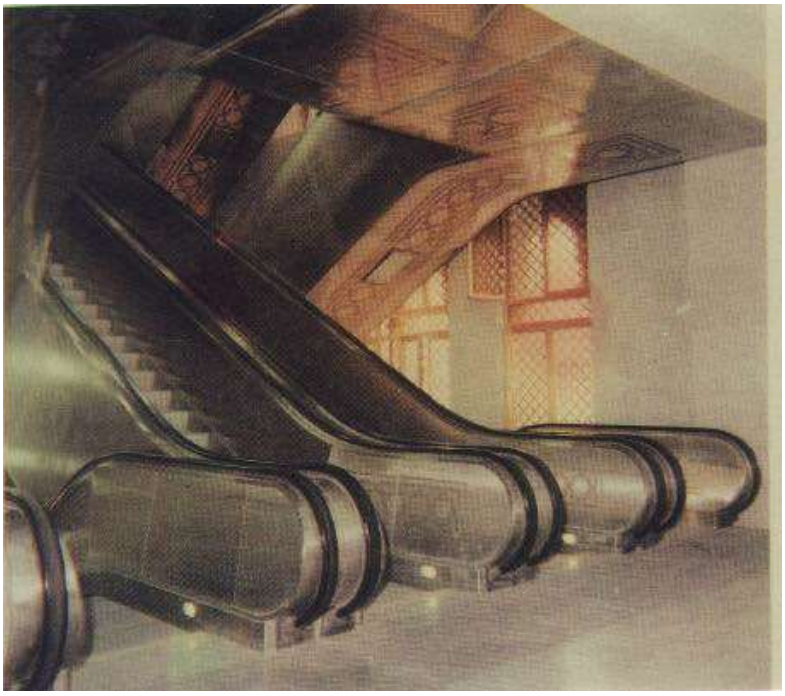

لوحة(14،15) السلالم الكهربية المتحركة كطراز معماري فني جديد

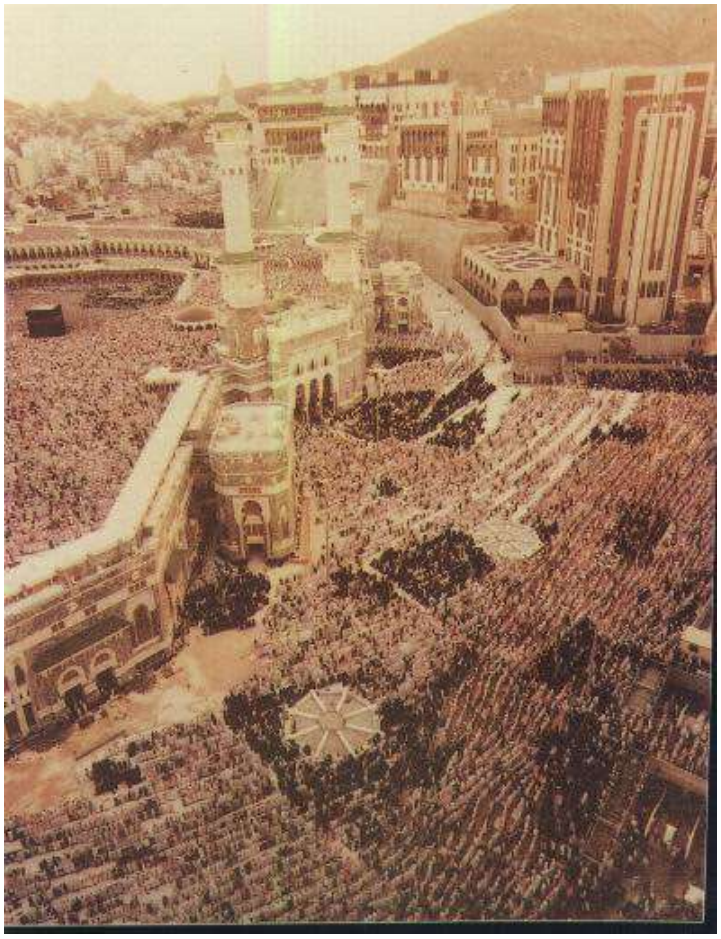

لوحة(16) الاستغلال الأمثل لساحات الحرم بعد التوسعة الكبرى

لوحة(17) تبين جانب من ساحات الحرم وأسواره الجديدة

حقيقة الهيكل المزعوم
بحث يفند مزاعم اليهود عن حقيقة الهيكل المزعوم

أ. عبد الرحيم ريحان•

أسطورة الهيكل المزعوم هى أكبر جريمة تزوير للتاريخ فما هى حقيقة الهيكل المزعوم ؟ وما علاقة نبى الله سليمان بهذا الهيكل ؟ ما هو تابوت العهد ؟ ما هى قصة بناء الهيكل ؟ ما هى علاقة نبى الله سليمان باليهود ؟ أين المسجد الأقصى والصخرة المقدسة الذى أسرى برسول الله (ﷺ) إليهما؟

الغرض من بناء هيكل

يذكر اليهود أن نبى الله سليمان بنى هيكل مقصود به مكان لحفظ تابوت العهد وأن هذا الهيكل يزخر بالرموز الوثنية والأساطير الخاصة بعبادة الآلهة الكنعانية مثل بعل وغيره[1] ، وأن نبى الله سليمان بنى الهيكل لإله اليهود يهوه أو ياهو وهذا يعنى أن الهيكل بنى لحفظ تابوت العهد ، فإذا أثبتنا أن تابوت العهد لا وجود له فى عهد نبى الله سليمان ، إذاً فلا حاجة لبناء الهيكل من الأصل .

ويدّعى اليهود أن نبى الله سليمان كان يعبد إله غير الذى كان يعبده باقى الأنبياء وهو ياهو إله بنى إسرائيل ، وأنه كان من عبدة الأوثان لأنه بنى معبد يزخر بالرموز الوثنية [2] وفى سفر الملوك الأول أن سليمان بنى معابد لآلهة زوجاته الأجنبيات وأنه من عبدة الأوثان وكان يعبد آلهة جيرانه مثل ملكوم إله العمونيين وكموش إله المؤابيين (الملوك الأول5/11) فإذا أثبتنا أن نبى الله سليمان لم يكن من عبدة الأوثان وكان يعبد الله رب العالمين كسائر الأنبياء فهذا يعنى أنه لا حاجة لبناء هيكل ضخم كما وصفه اليهود لإله اليهود يهوه .

تابوت العهد

تابوت العهد هو صندوق مصنوع من خشب السنط أودع به لوحى الشهادة اللذان نقشت عليهما الشريعة وتلقاها نبى الله موسى عليه السلام بسيناء[3]، وكان بنى إسرائيل يحملونه معهم أينما ذهبوا وكان دليلاً على وجود الإله يهوه إله بنى إسرائيل كما يعتقدوا وكان يحمله أفراد قبيلة لاوى وهى الطائفة الإسرائيلية المكلفة بالشئون الكهنوتية[4] وذكر تابوت العهد فى التوراة 200 مرة لكنه لم يذكر فى الكتب التالية على التوراة وأيضاً لم يكن فى قائمة الممتلكات التى أخذتها جيوش نبوخذ نصر عند انقضاضه على أورشليم 586 ق م

• أ. عبد الرحيم ريحان ـ مدير منطقة آثار دهب بجنوب سيناء.

[1] كارين أرمسترونج : القدس ، القاهرة ، 1998 ، ص 98 .

[2] المرجع نفسه ، ص 105 .

[3] سيد فرج راشد : القدس عربية إسلامية ، القاهرة ، 2000 ، ص 61

[4] كارين أرمسترونج : المرجع السابق ، 86 .

، ولم يذكر عند بناء الهيكل ثانية كما يدّعى اليهود على يد ملك الفرس كورش 538 ق م ، ولقد نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية فى عدد 7 فبراير 1997 أن منليك بن سيدنا سليمان من بلقيس ملكة سبأ سرق تابوت العهد من أبيه أثناء بناء الهيكل وهرب به إلى الحبشة و أن الهيكل لا يعنى أى شئ بدون تابوت العهد وأن الحفائر تحت المسجد الأقصى للتوصل للهيكل ستبوء بالفشل وستهدم المسجد ، وأضافت الصحيفة إن هذه القصة موجودة فى كتاب (ترنيمة الملوك) وهو كتاب أثيوبى كتبه الحاخام الأثيوبى (نيبوز جيز اسحق) فى القرن 14م [5] وفى سفر صموئيل أن تابوت العهد قد أقيم فى الهيكل أى قاعة العبادة بأحد المعابد التقليدية فى شيلوه[6] أو سيلون وهى الآن خربة سيلون [7] وفى سفر يشوع أن هذا التابوت أخذه منهم الفلسطينيون ثم أعادوه إليهم وأخذه بنو إسرائيل ووضعوه فى منزل أحد الأفراد فى قرية يعاريم (يشوع 17/9) [8] ولقد ذكر تابوت العهد فى القرآن الكريم أيام أول ملك لبنى إسرائيل وهو طالوت (الذى تذكره التوراة باسم شاؤل) سورة البقرة من أية 246 إلى 248 وكانت حدود مملكة طالوت (طبقاً للخريطة المرفقة) خارج مدينة القدس حيث أقاموا أول معبد لهم فى مدينة جبعون[9] وكان اليبوسيون العرب ما يزالون يحكموا مدينة القدس [10] إذاً فلا وجود لتابوت العهد

---

[5] محمد بيومى : اليهود وأسطورة البقرة الحمراء ، القاهرة ، 1997 ، ص 17: 18 .
[6] كارين أرمسترونج : المرجع السابق ص 72 .
[7] سيد فرج راشد : المرجع السابق ، ص 61 .
[8] كارين أرمسترونج : المرجع السابق ص 74 .
[9] المرجع نفسه ، ص 75 .
[10] ذكرت أول إشارة لمدينة القدس فى النصوص المصرية القديمة منذ القرنين 19 ، 18 ق . م . وكان اسمها على الأرجح ينطق روشاليمم Rushalimum ووردت بعد ذلك فى رسائل تل العمارنة القرن 14 ق. م . باسم (أوروسالم) كما جاء فى رسالة وجهها (عبد يخيبا) حاكمها من قبل فرعون مصر أمينوفيس الثالث (1411- 1375 ق.م .) يطلب فيها العون العسكرى لصد هجمات أهل البادية (الحبيرو) .

وقد سميت يبوس نسبة لليبوسيين وهم فرع من الكنعانيين سكنوا القدس وما حولها (يشوع 15 : 8 ، 63 – قضاة 1 : 21 ، 19 : 10) وكانوا قد نزحوا إليها من الجزيرة العربية حوالى 3000 ق . م . ، وكان المصريون يطلقون عليها اسمها اليبوسى (يابيتى) و (يابتى) وأحياناً يستخدمون اسمها الكنعانى أوروسالم ومن المحتمل أن أن صيغة هذه الكلمة آرامية تتركب من مقطعين الأول (أور) بمعنى موضع أو مدينة ، والثانى (سالم) بمعنى السلام وهو غالباً اسم لإله وثنى لسكان فلسطين الأصليين وهو إله سلامة القوافل ، وعلى ذلك فكلمة أورو سالم تعنى مدينة السلام .

ونجد اسم القدس وارداً فى نقوش الإمبراطور الآشورى سنحاريب 700 ق .م . تحت اسم (أوروسليمو) وفى عهد الإسكندر الأكبر سماها اليونان (هيروسوليما) ثم صار اسمها (إيليا كابيتولينا) فى عصر الإمبراطور الرومانى (إيليوس هدريان) بعد أن قضى على الكيان الدينى لليهود أصدر= =مرسوماً

بعد ذلك التاريخ ، والاحتمال الأكبر أنه فقد منهم فى أحد الحروب لأنهم لم يحافظوا على ما جاء فى لوحى الشهادة ، وبالتالى فلا وجود لتابوت العهد فى عهد نبى الله سليمان ولو افترضنا جدلاً أن تابوت العهد كان موجوداً أثناء البناء ثم سرق منه فلماذا يكمل البناء ؟ولأى غرض سيبنيه بهذه الفخامة؟

ملك نبى الله سليمان فى القرآن الكريم

ولقد ذكر فى القرآن الكريم ملك نبى الله سليمان وليس من بينه هيكل وثنى ، بل كان له قصر عظيم من الزجاج الصافى شاهدته بلقيس ملكة سبأ وعندما تأكدت أنه نبى الله أتاه الملك والعلم والنبوة وليس فقط كسائر الملوك آمنت وأسلمت لله رب العالمين وليس لياهو إله بنى إسرائيل والذى يدّعى اليهود أن نبى الله سليمان كان يعبده (سورة النمل أية 44) . فإذا كان نبى الله سليمان يعبد الله الواحد كسائر الأنبياء فلماذا يبنى هيكل وثنى لإله بنى إسرائيل ياهو كما يدّعى اليهود ؟

قصة بناء الهيكل

من خلال قصة بناء الهيكل كما يذكرها كتبة التوراة (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) سورة البقرة أية 79 ، نجد كم من التناقضات فهم يحركوا رغبة إلههم يهوه وفقاً لرغبتهم ليتحقق لهم ما يريدون . فيذكروا أولاً عن بناء الهيكل أن رغبة يهوه الذى عاش حياة التجوال فى الخيام فى سيناء وفلسطين أنه لا يريد بيتاً مبنياً لنفسه[11]، ومعنى هذا أن من يفكر فى بناء بيت أو هيكل للإله يهوه فإنه يسير ضد رغبة الرب ، لذلك يجب ألا يفكر أحد فى بناء هيكل .

وعندما فكر نبى الله داود عليه السلام عام 1000ق م [12] فى نقل تابوت العهد من قرية يعاريم (على الحدود الغربية لمملكته) إلى أورشليم لم يستطع[13]، وذلك لأنه لم يكن من

يتضمن أمراً بقتل كل من يدخل القدس من اليهود وظلت تعرف بهذا الاسم (إيليا) حتى أوائل الفتح الإسلامى وسميت كذلك فى العهدة العمرية .

أما بيت المقدس فقد أطلق على المدينة بدءاً من العصر الإسلامى .

أنظر سيد فرج راشد : القدس عربية إسلامية ، القاهرة 2000 ، ص 31 : 32 .

[11] كارين أرمسترونج : المرجع السابق ص ص 87 .

[12] المرجع نفسه ، ص 80 .

[13] أقام نبى الله داود لنفسه مملكة فى التلال الجنوبية القليلة السكان وجعل عاصمتها فى مدينة الخليل ولا يزال اليبوسيون يحكموا القدس محاطين بمملكة الشمال ومملكة يهوذا التى يحكمها نبى الله داود فى الجنوب ثم أصبح نبى الله داود ملكاً لكل إسرائيل تاركاً القدس مدينة يبوسية .

أنظر كارين أرمسترونج : القدس ، ص 77 .

وفى سفر صموئيل أن نبى الله داود عندما أراد بناء هيكل للرب قام بشراء البيدر الذى يملكه رجل يبوسى يدعى أرونا (2 صموئيل 24 : 24 –25)

حق بشر أن ينقل تابوت العهد بل من تنزيل إلهى[14] وهذا يعنى أنه لا يوجد تنزيل إلهى حتى يبنى نبى الله داود هيكل لحفظ تابوت العهد .

ولكن لأنهم يحركوا رغبة الرب وفقاً لرغبتهم للحصول على تفويض إلهى ليبارك الرب ما يدور فى أذهانهم ويخططون له وهذا يجسد فكرة احتلال أرض الميعاد كما يعتقدوا بمؤازرة إلهية ، لذلك سمح الرب بنقل تابوت العهد من يعاريم إلى أورشليم بعد ثلاثة أشهر عندما حاول نبى الله داود مرة ثانية[15] فاشترى نبى الله داود الموقع الذى سيبنى عليه المعبد أو الهيكل المزعوم من الملك أرونة (أرنان) أحد ملوك اليبوسيين العرب ، ورغم أن الرب قد وافق على نقل التابوت كما يدّعوا عاد فغضب مرة أخرى وأرسل الطاعون على المملكة فقتل 70 ألف شخص فى ثلاثة أيام ورغم غضب الرب عاد فوافق على البناء لذلك أشار أحد المقربين لنبى الله داود بأن يبنى معبد للرب يهوه فى الموقع الذى اشتراه نبى الله داود من الملك أرونة (أرنان)[16]، وعندما بدأ حكم نبى الله سليمان 970ق. م بنى معبد للرب يهوه فى هذا الموقع[17] وهو الهيكل المزعوم .

موقع المسجد الأقصى والصخرة المقدسة

عندما فتح عمر بن الخطاب القدس 15 هجرية – 636م فإن أول ما فعله هو البحث عن مكان المسجد الأقصى والصخرة المقدسة واضعاً نصب عينيه الرواية التى سمعها من رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ، وسأل الصحابة وكعب الأحبار (وهو من اليهود الذين أسلموا) والبطريرك صفرنيوس بطريرك القدس

وكان عمر بن الخطاب يراجع المرافقين له حين يدلونه على مكان لا يجد أوصافه تنطبق على ما لديه قائلاً (لقد وصف لى رسول الله ﷺ المسجد بصفة ما هى عليه هذه) - والمقصود هنا البقعة المباركة التى أسرى برسول الله ﷺ إليها وصلى فيها إماماً بجميع الأنبياء وليس المسجد كبناء والصخرة المقدسة التى عرج منها للسموات العلى- وقد عثر الخليفة عمر بن الخطاب على مكان المسجد الأقصى والصخرة المقدسة وكان المكان مطموراً بالأتربة التى تكاد تخفى معالمه ، وعند رفع الأتربة كان المكان خالى تماماً من بقايا أى مبانى سابقة ورغم أن اليهود يدّعوا أن تيتوس الرومانى دمر الهيكل الثانى عام 69م فعندما رفع عمر بن الخطاب الأتربة لم يكن هناك ولو حجر واحد من مبانى سابقة

أنظر سيد فرج راشد : المرجع السابق ، ص 57 . وهذا يدل على أن القدس ما زالت بأيدى اليبوسيين ولا يوجد أى آثار تؤكد دخول نبى الله داود أورشليم وتذكر كارين أرمسترونج (نحن لا نعرف بدقة كيف استطاع داود ان يفتح أورشليم فالنص فى الكتاب المقدس ناقص وغامض)

أنظر كارين أرمسترونج : المرجع السابق ، ص 79 .

[14] كارين أرمسترونج : المرجع السابق ، ص 85 : 86 .

[15] المرجع نفسه ، ص 86 .

[16] المرجع نفسه ، ص 89 .

[17] المرجع نفسه ، ص 95 .

ولا أى شواهد أثرية تدل عليه وهذا طبيعى فإذ لم يكن هناك هيكل أول فبالتالى لايوجد هيكل ثانى . وأمر عمر بن الخطاب بإقامة مسجد موضع المسجد الأول ، وإقامة ظلة من الخشب فوق الصخرة المقدسة ، وعندما جاء الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان بنى قبة الصخرة فوق الصخرة المقدسة عام 72هجرية – 691م ، ثم بنى الخليفة الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى عام 86هجرية – 709م[18].

والمسجد الأقصى المذكور فى سورة الإسراء أية 1 ليس المقصود به المسجد كبناء معمارى فلم يكن هذا البناء قائماً بالقدس سنة 621م ليلة الإسراء وإنما المقصود بالمسجد الأقصى مدينة القدس كلها وكذلك عبارة المسجد الحرام تعنى كل مدينة مكة ولا تقتصر على الكعبة والمسجد الحرام فقط لأن رسول الله ﷺ عندما أسرى به لم يكن ساكناً أو نائماً فى المسجد الحرام كبناء وإنما كان فى مكة ، فالإسراء تم من المسجد الحرام أى مكة إلى المسجد الأقصى أى القدس وفى ذلك دلالة على اعتبار القرآن كل مكة مسجداً حراماً أى حرماً مكياً وكل القدس مسجداً أقصى أى حرماً قدسياً ، ويشهد على ذلك أن المسلمين ومنذ فجر الإسلام عاملوا القدس كمكة معاملة الحرم الشريف ، ومن مميزات الحرم فى الإسلام تنزيهه بتحريم القتال وسفك الدم فيه ، وعندما فتح المسلمون مكة مع رسول الله ﷺ عام 8 هجرية حرصوا على فتحها سلماً دون قتال وحين فتح القدس 15 هجرية 636م فلقد حاصروها حتى صالحوا أهلها على فتحها سلمياً وتفرّدت مكة والقدس بذلك دون سائر المدن التى فتحها المسلمون ، وكما تسلم رسول الله ﷺ يوم الفتح تفردت القدس بأن استلامها كان من اختصاص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وليس من قبل قائد الجيش الفاتح أبو عبيدة بن الجراح ، دليل على مكانتها العظيمة.[19]

حائط المبكى (البراق)

قامت عالمة الآثار البريطانية كاثلين كينيون بأعمال حفريات بالقدس وطردت من فلسطين بسبب فضحها للأساطير الإسرائيلية حول وجود آثار لهيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى ، ولقد اكتشفت أن ما يسميه الإسرائيليون مبنى إسطبلات سليمان ليس له علاقة بسليمان ولا إسطبلات أصلاً بل هو نموذج معمارى لقصر شائع البناء فى عدة مناطق بفلسطين ولقد نشرت هذا فى كتابها (آثار الأرض المقدسة)[20]، وهذا رغم أن كاثلين كينيون جاءت من قبل جمعية صندوق استكشاف فلسطين لغرض توضيح ما جاء

---

[18] سوسن سليمان يحيى : تجديد العمائر الإسلامية فى بيت المقدس على عهد صلاح الدين الأيوبى توثيق لعروبة القدس وطابعها الإسلامى ، مجلة كلية الآثار – العدد الخامس 1991 ، ص 276 : 277 .

[19] محمد عمارة : القدس بين اليهودية والإسلام ، سلسلة كتب فى التنوير الإسلامى عدد 43 ، القاهرة 1999م، ص 32 : 33 .

[20] جريدة الشعب – مصر عدد 8 أكتوبر 1996 .

فى الروايات التوراتية لأنها أظهرت نشاطاً كبيراً فى بريطانيا فى منتصف القرن 19 حول تاريخ الشرق الأدنى.[21]

أما ما يدعيه اليهود باسم حائط المبكى على أنه من بقايا الهيكل القديم فقد فصل فى هذه القضية عام 1929م حيث جاء فى تقرير لجنة تقصى الحقائق التى أوفدتها عصبة الأمم السابقة على الأمم المتحدة (إن حق ملكية حائط المبكى - البراق – وحق التصرف فيه وفيما جاوره من الأماكن موضع البحث فى هذا التقرير هى للمسلمين لأن الحائط نفسه جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف.[22]

أين كان يعبد نبى الله سليمان رب العالمين ؟

فى سورة سبأ أية 13 (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور) نجد هنا كلمة محاريب وهى جمع محراب ومعناه كما ذكر فى القرآن الكريم مكان صغير للعبادة فقد كان نبى الله ذكريا يتعبد فى محراب صغير (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب) آل عمران39

(فخرج على قومه من المحراب) مريم 11 . وكانت السيدة مريم العذراء تتعبد فى محراب صغير (كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقاً) آل عمران 37 . وكان لنبى الله داود محراب له سور حيث كان يخصص بعض الوقت لتصريف شئون الملك والقضاء بين الناس والبعض الآخر للخلوة والعبادة وترتيل الزبور ، وكان إذا دخل المحراب للعبادة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس لذلك كان للمحراب سوراً حتى أنه فزع ذات يوم عندما دخل عليه شخصان من أعلى سور لمحراب ودون استئذان فى وقت كان مخصصاً لعبادة ، وهما ملكان أرسلهما الله إليه لاختبار حكمته وفصله فى المنازعات بين الناس وألاّ يصدر حكماً دون سماع الطرفين [23](وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط) سورة ص أية 21 ، 22 . إذاً نبى الله سليمان كان له محراب صغير يتعبد فيه ولما كانت مملكته واسعة فكان له عدة محاريب يتعبد فيها أينما وجد لله رب العالمين ولا علاقة له بهيكل يزخر بالرموز الوثنية لإله بنى إسرائيل ، واليهود أنفسهم لم يتّبعوا دين نبى الله سليمان وهو عبادة الله الواحد رب العالمين فهل يعقل أن يبنى لهم هيكل خاص بالإله يهوه ؟

---

[21] حسين عمر حمادة : آثار فلسطين ، دمشق ، 1983 ، ص 89 .

[22] جريدة الوفد – مصر عدد 3 أكتوبر 1996 .

[23] محمد على الصابونى : صفوة التفسير ج 14، حلب – سوريا ن ص 54 .

علاقة نبى الله سليمان باليهود

لم يتّبع اليهود دين نبى الله سليمان بل اتّبعوا طرق السحر التى كانت تحدثهم بها الشياطين فى عهد نبى الله سليمان ولقد برّأ الله نبيه سليمان بأنه لم يكن ساحراً ولا كفر بتعلمه السحر بل الله سخّر له الجن لخدمته ولكن الشياطين بدأت فى تعليم الناس السحر فاتبعهم اليهود (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) البقرة 102

الهيكل الذى يدّعيه اليهود

أما عن الهيكل الذى يدّعيه اليهود والغير مستند إلى أى شواهد تاريخية أو أثرية ولا وجود له إلا فى أذهانهم ، وحتى لو سايرنا ما فى أذهانهم فإن البعض من بنى إسرائيل كانوا يعبدون آلهة أخرى إلى جانب الرب يهوه إذ كانوا يرون أنه إله أجنبى لم يستقر كما ينبغى فى كنعان وكان لا يزال مرتبطاً بالبقاع الجنوبية من سيناء وعسير وباران (تكوين 20/36)[24] وكانوا يعبدون آلهة مثل بعل وغيره ويقيمون فى أعلى الجبال الأنصاب ويطلقون لها البخور[25] وهذا هو إفسادهم الأول وهو الشرك بالله الواحد ، وقد أقاموا عدد من المعابد ربما كان أحدهم أهمهم بالنسبة لهم فربطوا بينه وبين نبى الله سليمان وبين تابوت العهد وذلك لإيهام العالم بأن اغتصابهم للأرض العربية ومؤامرتهم لهدم المسجد الأقصى تنفيذاً للوعد الإلهى وبحثاً عن أوهام وأكاذيب اختلقوها وصدّقها الجميع حتى صارت كالحقيقة فصدّقوها هم أنفسهم .

حفريات أثرية لهدم المسجد الأقصى

هناك مؤامرة ترصد لها الأموال الطائلة تنفذ عن طريق منظمات وجماعات يهودية منذ عام 1967 وحتى الآن تهدف إلى هدم المسجد الأقصى لتفريغ القضية من محتواها وجوهرها وتم ذلك عن طريق أعمال حفريات أثرية مرت بعشر مراحل باءت كلها بالفشل والمحاولات مستمرة ، بدأ فى أعقاب احتلالهم للقسم الثانى من القدس بعد حرب 1967 فى أواخر عام 67 وتم هدم حى المغاربة نهائياً لتكون الأرض جاهزة لأعمال التنقيب واستمرت الحفريات سنة كاملة وصل عمقها 14م[26].

[24] كارين أرمسترونج : المرجع السابق ، 72 : 73 .
[25] نعوم بك شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، دير سانت كاترين 1995، ص 469.
[26] محمد بيومى : المرجع السابق ، ص 31 .

المرحلة الأولى

وتمت عام 1968 على امتداد 70م من أسفل الحائط الجنوبى للحرم القدسى خلف قسم من جنوب المسجد الأقصى وأبنية جامع النساء والمتحف الإسلامى والمئذنة الفخرية الملاصقة له ووصل عمقها إلى 14م بهدف كشف مدافن ملوك إسرائيل فى مدينة داود كما يدّعوا .

المرحلة الثانية

عام 1969 على امتداد 80م آخر من سور الحرم الشريف ابتداء من نهاية المرحلة السابقة ومتجهاً شمالاً حتى أحد أبواب الحرم الشريف (باب المغاربة) ماراً تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية التابعة للزاوية الفخرية وعددها 14 مبنى تصدعت جميعها وأزالتها الجرّافات الإسرائيلية وأجلت سكانها بتاريخ 1969/6/14

وفى نفس العام تم حرق المسجد الأقصى .

المرحلة الثالثة

بدأت عام 1970 حتى 1974 واستؤنفت عام 1975 وامتدت من مكان يقع أسفل عمارة المحكمة الشرعية القديمة وهى أقدم الأبنية التاريخية بالقدس ماراً شمالاً بأسفل خمس أبواب من أبواب الحرم الشريف وهى باب السلسلة – المطهرة – القطانين وباب علاء الدين البصيرى ، وامتدت 180م بعمق مابين 10 إلى 14م وتسببت فى هدم عدد من الآثار الإسلامية منها الجامع العثمانى ورباط الأكراد والمدرسة الجوهرية .

المرحلة الرابعة والخامسة

بدأت عام 1973 حتى 1974 خلف الحائط الجنوبى الممتد من أسفل القسم الجنوبى الشرقى للمسجد الأقصى وسور الحرم الشريف وممتدة 80م إلى الشرق ، وقد اخترقت الحائط الجنوبى للحرم القدسى والدخول منه للأروقة السفلية للمسجد المبارك وللحرم فى أربع مواقع

1 – أسفل محراب المسجد الأقصى بعمق 20م إلى الداخل[27]

2 – أسفل جامع عمر أى الجناح الجنوبى الشرقى للمسجد

3 – تحت الأبواب الثلاثة للأروقة الواقعة أسفل المسجد الأقصى

4 – تحت الأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى

ووصل عمقها إلى 13م وأصبحت تعرض السور والمسجد الأقصى إلى خطر الانهيار آخذين بعين الاعتبار كما يقول مهندسو الأوقاف الإسلامية بالقدس الأمور التالية

قدم البناء - تفريغ التراب الملاصق للحائط من الخارج إلى أعماق كبيرة - ضجيج الطائرات الحربية

[27] حسين عمر حمادة : المرجع السابق ، ص 153 :154 .

المرحلة السادسة

بدأت عام 1975حتى 1976 فى مكان قرب منتصف الحائط الشرقى لسور المدينة ولسور الحرم الشريف والذى يقع بين باب السيدة مريم والزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة ، وأزالوا مقابر للمسلمين تضم رفات الصحابيين الجليلين عبادة بن الصامت وشداد بن أوس رضى الله عنهما .

المرحلة السابعة

وافقت اللجنة الوزارية الإسرائيلية بتاريخ 1977/6/15 على مشروع لتوسيع مساحة البراق الشريف والتى يسمونها ساحة المبكى وهى الملاصقة للحائط الغربى للمسجد الأقصى والحرم الشريف ويقضى المشروع بضم أقسام أخرى من الأراضى العربية المجاورة للساحة وهدم ما عليها وحفرها بعمق 9م وكانت هذه الساحة حتى 1967/6/7 تضم حوالى 200عقار عربى إسلامى تشكل القسم الأكبر من الحى المغربى هدمته الجرّافات الإسرائيلية ما بين سنة 1967 إلى 1977 وشردت جميع أهلها ويقدر عددهم 800 نسمة

المرحلة الثامنة

خلف جدران المسجد الأقصى وجنوبها وهى استئناف للمرحلة الخامسة والسادسة .

المرحلة التاسعة

اخترقت الحائط الغربى للحرم الشريف وأعادت فتح نفق كان قد اكتشفه الكولونيل الإنجليزى تشارلز وارين وسمى باسمه ، وتقع ما بين باب الحرم المسماة باب السلسلة وباب القطانين وتوغلت أسفل ساحة الحرم من الداخل على امتداد 25م شرقاً وعرض 6م ووصلت أسفل سبيل قايتباى ، وأدت هذه الحفريات إلى تصدع فى الأروقة الغربية الواقعة ما بين السلسلة والقطانين[28].

المرحلة العاشرة

فى عام 1988 وهى أخطر مراحل الحفر وكانت تهدف إلى تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة لترك المسجدين قائمين على فراغ ليكونا عرضة للانهيار بفعل أى تقلبات مناخية أو اهتزازات طبيعية أو حتى صوت عالى تسببه طائرة تخترق حاجز الصوت ، ولولا عناية الله لتم هذا المخطط ولكن فطنت دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس للمؤامرة فسارعت إلى إقامة سياج حول الأرض المجاورة للحائط الشرقى لمنع أعمال الحفر29 وفى سبتمبر 1996 تم شق نفق فى عهد نتنياهو ، ولا يزال الحفر مستمراً وأن هناك 120 جماعة يهودية تركز جهودها لحفر المزيد من الأنفاق وكل أعمال الحفريات السابقة تجرى وراء أوهام أثرية عن العثور على أسوار الهيكل الصهيونى المدّعى مهما كانت النتائج من تدمير آثار أى حضارات أخرى وذلك

[28] المرجع نفسه ، ص 32 : 33 .

[29] جريدة المسائى – مصر عدد 2001/1/7

على لسان مدير الحفريات بالقدس نقلاً عن صحيفة دافار الصهيونية بتاريخ 1971/8/2 خبر عن زيارة وزير الدفاع الإسرائيلى الجنرال ديان لمنطقة الحفريات بالقدس وحائط البراق واستقبله مدير الحفائر الأستاذ مازار الذى أجاب على سؤال أحد الصحفيين قائلاً (أنه لا ضرورة للتأخير فى الكشف والعمل للعثور على الآثار القديمة التى تقوم لأيام الهيكل الثانى ويمكن تصوير بقية الآثار الأخرى وتخليدها وإزالتها لأنها تخفى عنا رؤية الصورة كاملة كما كانت فى حينها)

وهذا يعنى ضرورة هدم وتدمير كل الآثار الى تعود للحضارات الأخرى مسيحية كانت أو إسلامية أو غيرها بدعوى اكتشاف سور الهيكل الثانى ويكفى أصحاب تلك الحضارات مجرد صورة فوتوغرافية أو رسومات تخطيطية عن آثارهم30 وكل ذلك تم فى مدينة احتلت بقوة السلاح وضمت بقرار غير شرعى أتخذ من جانب واحد مما لا يجوز معه لسلطة الاحتلال أن تقوم بأى نوع من الحفريات مهما كانت قيمتها أو حسن أدائها31، واعترف مدير الآثار بالجامعة العبرية بأن المسئول عن هذه الحفريات لا يملك الخبرة للحفر تحت الجدران وأن عمله قد يسفر عن تدمير آثار هامة بالإضافة إلى السرقات التى تمت للمكتشفات التى يتم العثور عليها وبيعها إلى تجار العاديات بالقدس وفى العالم الخارجى32.

التوصيات

مع استمرار أعمال التدمير وتزوير تاريخ فلسطين ومواقعها الأثرية ورموزها الدينية لإثبات أوهام توراتية لا وجود لها ولقد أعلن الدكتور حمدان طه رئيس دائرة الآثار الفلسطينية التى تأسست عام 1994 فى جريدة القاهرة عدد 2003/9/2 أن الإحصائيات تشير إلى نهب ما يزيد على 11 ألف موقع أثرى بعد عام 1967 معظمها يعود إلى العصور البرونزية والحديدية والرومانية والبيزنطية ، وبيع 100 ألف قطعة أثرية سنوياً بسبب الاحتلال الإسرائيلى كما جرى نقل آلاف القطع الأثرية من المناطق الفلسطينية عن طريق سلطة الاحتلال ، كما أعلن د. نظمى الجعبة الأستاذ بجامعة بير زيت بفلسطين أن فى الضفة الغربية وحدها 10 آلاف موقع أثرى وعشرات الآلاف من القطع الأثرية وأن السلطة الوطنية بإمكانياتها وإداراتها لا تستطيع التعامل مع هذا التحدى الكبير لذلك أوصى بما يأتى

1-ضرورة التوثيق الأثرى لكل الآثار القائمة بفلسطين والآثار المنقولة ويشمل صور فوتوغرافية لكل هذه المواقع الباقية حتى الآن – رسومات تخطيطية تشمل مساقط أفقية ورأسية لهذه الآثار بمقياس الرسم – جمع المادة العلمية عن هذه الآثار والحجج الخاصة بها – عمل أفلام تسجيلية توثيقاً لهذه الآثار

30 حسين عمر حمادة : المرجع السابق ، ص 151 .
31 المرجع نفسه ، ص 141 .
32 المرجع نفسه ، ص 144

2- بالنسبة للآثار التى تم تدميرها أو تحويلها لفنادق، ضرورة جمع المادة العلمية مما نشر عن هذه الآثار وإلقاء الضوء عليها إعلامياً عربياً ودولياً
3- إشراك المنظمات الدولية المهتمة بالتراث (يونسكو - اليكسو – ايسيسكو) فى إدراج هذه الآثار ضمن قائمة التراث العالمى لحمايتها والمحافظة على ما تبقى منها فى ظل الاحتلال الإسرائيلى
4- الضغط على سلطة الاحتلال الإسرائيلية بمعاونة المنظمات الدولية السابق ذكرها لتسليم دائرة الآثار الفلسطينية خرائط مساحية موقع عليها المواقع الأثرية التى تم اكتشافها بفلسطين منذ عام 1967 والمواقع التى بها شواهد أثرية ولم يكتمل اكتشافها حتى الآن والمواقع ذات الدلالة التاريخية المعينة والتى تحتاج لأعمال مسح أثرى ودراسة علمية لوضعها ضمن خطة العمل الأثرى بفلسطين مستقبل، مع البدء فى عمل هذه الخرائط فى ضوء الإمكانيات الحالية للآثار الباقية أو التى نم تدميرها ونعرف موقعها
5- مطالبة سلطة الاحتلال بتسليم التقارير العلمية التى تم نشرها عن هذه الحفائر منذ عام 1967 مع تقديم ملف كامل بصور توضيحية ورسوم تخطيطية عن آثار فلسطين
6- العمل على عودة القطع الأثرية المنهوبة الموجودة تحت سلطة الاحتلال أو التى تم تهريبها إلى الخارج

استخدام اسلوبي المستوى الحراري الخامد والصهر داخل قالب في ترميم الآثريات الزجاجية الاسلامية المجسمة

أ.د.م / فاطمة الشناوي[1]

ملخص :.

- عرف الزجاج الإسلامي القديم بزجاج السيليكا و القلوي و الجير . Lime .Alkali silicate ، و منذ بداية القرن العاشر الميلادي أصبح استخدام مركبات البوتاسيوم بالاضافة الى نسبة لا تقل عن 10 % من مسحوق الحجر الجيري تزيد من متانة الزجاج و صموده ضد الآجواء الرطبة . لذلك نجد أن التركيب الكيميائي للزجاج له دوراً هاماً في مدى ثباته أو إصابته بمظاهر تلف مختلفة ، و هذا ما جعل عملية ترميم الآثريات الزجاجية المصابة بظاهرة التآكل السطحي أو المفقود منها أجزاء تحتاج لتقميات تكنولوجية دقيقة و مناسبة للتركيب البنائي للزجاج الذي يكون في جميع الحالات هو المسئول عن ظهور مظاهر التلف التي تصيب السطح الزجاجي أو تمتد الى تدمير بنائه الداخلي . و هذا ما جعل بحثنا هذا يهدف الى تقديم طريقة تكنولوجية جديدة لإستكمال و تجميع الأجزاء المفقودة من الآثريات الزجاجية ، تعتمد على المعالجات الحرارية المناسبة للزجاج الاسلامي الذي كان يصهر في أفران بسيطة تتراوح درجات حرارتها ما بين " 900 _ 1000°c " . و اعتمدت هذه التقنية على استخدام اسلوبي المستوى الحراري لصهر الزجاج داخل قالب في درجة حرارة تتراوح ما بين " 900°c - 850 " لاستنساخ الجزء المفقود من الأثر الزجاجي بنفس التركيب الكيميائي للزجاج الإسلامي القديم ، بإستخدام بواتق الصهر و القوالب الحرارية المناسبة لذلك .

ثم تطبيق الزخارف على هذه الاجزاء الزجاجية بعد تمام تصنيعها " تذهيب - تموية بالميناء - إلخ " و استخدام المستوى الحراري الخامد في درجة حرارة تتراوح ما بين " 500 _ 530 °c " لتثبيت الجزء المستنسخ بالجسم الاصلي و نثبيت الزخارف في آن واحد .

مقدمة :.

واصلت صناعة الآنية الزجاجية المذهبة و المموهة بالميناء تقدمها حتى وصلت الى درجة عالية من الدقة و الاتقان في العصر المملوكي بدوليته ، دولة المماليك البحرية "1250 _ 1382 °c " ميلادية ، و دولة المماليك الجراكة ((1382 _1517 °c)) ميلادية و خير

[1] استاذ مساعد بقسم الزجاج - كلية الفنون التطبيقية . جامعة حلوان .
3 ب شارع أحمد فخري . المنطقة السادسة . مدينة نصر . القاهرة . ت : 2715688 ف : 2072828 م 0127839585 Email :- Fatmaelshinawy@hotmail.com

شاهداً على براعة هذا العصر في صناعة الزجاج المذهب و المموه بالميناء مجموعة المشكاوات[2] الزجاجية المحفوظة في معظم متاحف العالم بالاضافة الى ما تبقى منها و ظل معلقاً بأسقف المساجد و الأضرحة و المشاهد و المدارس .
هذا الى جانب ما خلفنه العصور الاسلامية من آثار زجاجية آخرى كالكؤوس و القناني و زجاجات العطور ...الخ .
لهذا كان لابد من الاهتمام بنرميم و صيانة ما أصيب منها بمظاهر تلف التآكل السطحي أو فقدان أجزاء منها ، و ذلك من خلال تناولنا لما يلي :-

1- الخواص الفيزيوكيميائية للزجاج و علاقتها بعمليات الترميم :-

الوقوف على الخواص الفيزيائية للزجاج و كذلك تركيبه و خواصه الكيميائية تساعد الباحثين و القائمين على أعمال ترميم و صيانة الأثار الزجاجية في الوقوف على نوعية الزجاج المراد ترميمه و خواصه المختلفة ، و بالتالي يمكن تحديد الاسلوب الأمثل و الآمن للتعامل مع الأثر الزجاجي .

1-1- أهم الخواص الفيزيائية للزجاج :-

و تتضح من خلال الجدول رقم " 1 "

1-2 أثر التركيب البنائي الكيميائي للزجاج على مظاهر التلف :.

أثبتت الأبحاث أن طبيعة التركيب الكيميائي للزجاج و مدى ثباته هو المسئول الأول عن إصابة الأثار الزجاجية التي تنسب للعصور الاسلامية بمظاهر تلف تختلف بإختلاف البيئة "أ"المتواجد بها الأثر ، و مظاهر التلف هذه لا تصيب الأسطح الزجاجية فقط بل تمتد في كثير من الأحيان الى البنية الداخلية لتركيب المادة الزجاجية فتدمرها .
لذلك لابد من تحديد علاقة مظاهر تلف الزجاج الاسلامي بتركيبة الكيميائي من خلال تناولنا لما يلي :.

1-2-1- التركيب البنائي و تكوين الزجاج :.

الزجاج القديم على مر عصوره ذو تركيب كيميائي معقد للغاية لإحتوائه في تركيبه الاساسي على أيونات فلزية موجبة تعرف بالكاتيونات و ايونات فلزية تعرف بالايونات ، بالاضافة الى وجود أكاسيد أخرى تدخل في تركيبه كشوائب للمواد الخام و أهمها شوائب و أكاسيد الحديد التي درجات لونية للزجاج " غير مرغوبة " تختلف من الاصفر للخضر و الازرق و تعد نظرية زاخر ياذن هي اول نظرية تشرح التركيب و البناء الشبكي للزجاج .

1-2-2- نظرية زاخر ياذن :.Zachariasen' S theory " 1932 " ميلادية

[2] اتفقت تعاريف المعاجم العربية مع تعاريف القرآن الكريم على أنها ما يوضع فيه القنديل أو المصباح و عرفها الإنجليز بأنها وعاء حفظ الطاقة الضوئية

أوضحت هذه النظرية أن بناء زجاج السيليكا عبارة عن بناء من اهرامات رباعية الاوجه من السيليكا الاكسجين المتصلة ببعضها مكونة تركيباً شبكياً منتظماً في الاتجاهات الثلاثة كما يوضحه " شكل رقم 1 ".

و برفع درجة حرارة السيليكا SiO_2 تنكسر الخلية البنائية المكونة للنظام الشبكي و يفك الارتباط بين جزيئات المادة و تتحول الى حالة السيولة و عند تبريدها تنخفض درجة الحرارة بمعدل معلوم تتحول المادة من الحالة السائلة الى الصلبة دون وجود وقتاً كافياً أمام الجزيئات لإعادة ترتيب نفسها وفقاً للنظام الشبكي للمادة قبل رفع درجة حرارتها فتتجمد في مكانها بشكل عشوائي و سميت هذه الحالة بالحالة الزجاجية " او الحالة الرابعة للمادة " كما في شكل رقم" 2 " و باضافة القلوي لانتاج زجاج السيليكا و القلوي تتداخل ذرات القلوي مع ذرات السيليكا بنظام شبكي دقيق ، و برفع درجة الحرارة يتحطم التركيب الشبكي و عند التبريد بالمعدل المعلوم تتجمد الجزئيات في مكانها بصورة عشوائية مكونة زجاج السيليكا و القلوي كما في شكل رقم" 3 " .

1-2-3- العالم بوللارد pollard " 1996 ":.

و جد أن تكوين الزجاج يعتمد على معدل تبريده و على نوعية المكونات الأساسية الداخلة في تركيب خلطته و أوزان هذه المكونات . و هذا ما أوضحه شكل رقم" 4 " .

1-2-4-العالم شيلي shelly :.

فقد قارن بين وزنين مختلفين لمصهور خلطة زجاجية حيث أكد على أن تكوين الزجاج يتطلب معدل تبريد خاص لكل وزن للمصهور و كذلك علاقة نسب الخامات المكونة للزجاج ببعضها .

1-3- أثر اختلاف نسب الخامات المكونة للزجاج على ثباته و متانته :.

النسب المثالية التي يتم الحصول من خلالها على منتجات زجاجية ذات خواص جيدة لمقاومة تأثير الظروف المحيطة المسببة للتلف كما أوضحها " hemilton " 1999 " هي كالتالي :.

70 – 74 % سيليكا 16 – 22 % المادة القلوية " "

5 – 10 % مسحوق جيري

احدى مركبات الصوديوم او البوتاسيوم و في أغلب الاحيان لا تتفق نسب مكونات الزجاج الأثري مع النسب المثالية سابقة الذكر ، نظراً لوقوع الصانع " عن غير قصد " في عدة أخطاء تضر بمواصفات الآنية الزجاجية و ينتج عنها بعض مظاهر التلف على الآثر أثناء عملية تصنيعه و تظل كامنة في في جسم الآنية لحين تعرضها لتأثير ظروف محيطة غير مناسبة فتساعد على ظهور مظاهر التلف على الآثر .

2- مظاهر تلف الآثريات الزجاجية :.

و من أهم مظاهر التلف ما يلي :.

2-1- ظاهرة التآكل السطحي للزجاج :.

و هي السمة الاساسية لمعظم الآثار الزجاجية المعرضة للتلف ، فقد حظيت باهتمام كثير من الباحثين[3] الذين أكدوا على وجود علاقة قوية بين التركيب الكيميائي و نسب المواد و بين متانة الزجاج . و هذا ما يوضحه الجدولين " رقم 2 & 3 " .

2-3- مدى تأثر مادة المينا بمظاهر التلف :.

كل مظاهر التلف سالفة الذكر تتعرض لها أيضا مادة المينا Enamell التي تستخدم في زخرفة الاسطح الزجاجية نظراً لأنها مادة زجاجية التركيب .

و ترجع أسباب التلف التي تتعرض لها مادة المينا الى ما يلي :.

2-3-1- زيادة نسبة السيليكا بها يتطلب درجة حرارة عالية لصهرها حتى تصل لدرجة التزجج المطلوبة . فيؤدي ذلك الى تعرض جسم الاناء الزجاجي للين و التشوه الشكلي Deformation .

2-3-2- زيادة نسبة القلوي بمكونات مادة المينا يؤدي الى اصابة زجاج المينا بظاهرة التآكل السطحي .

2-3-3- ارتفاع درجة الرطوبة في الوسط المحيط يؤدي ال سقوط طبقات نواتج التلف المتكونة على السطح حاملة معها مادة المينا المستخدمة في الزخرفة ، تاركة السطح الزجاجي خالياً تماماً فيما عدا بعض المساحات الصغيرة ، تظل محتفظة بأثار مادة المينا ، يشوه المنظر الجمالي للأثر الزجاجي .

2-4- تركيب المينا و خاماتها :.The materials and composition of Enamel

بعد أن كان الفنان يقوم بنفسه بتحضير مسحوق المينا ، أصبح الآن من السهل الحصول عليها جاهزة للإستخدام المباشر ، سواء في صورة مسحوق جاف " Frit " أو في صورة خيوط طويلة " Tredes " أو كتل كبيرة " Lumpes " و كلها تتميز بألوانها العديدة و تطبق على الأسطح مباشرة .

و المينا المستخدمة في العصر الاسلامي كانت تجهد من الخامات التالية :.

2-4-1- مواد تزجيج :.

أهمها السيليكا و يحصل عليها من الرمال النقية والكوارتز أو الفليت و نسبتها لا تزيد عن 40 % .

2-4-2- المادة القلوية أو المصهرة :.

توجد في أملاح النطرون أوالاعشاب والنباتات البحرية التي تحتوي على نسبة عالية من مركبات الصوديوم.

2-4-3- الجير :. يحصل منه على كربونات الصوديوم .

2-4-4- المواد و الاكاسيد الملونة و المزيلة للون أو المعتمة طبقاً لنوعية المينا المطلوبة و منها أكاسيد معادن الحديد و النحاس و المنجنيز و القصدير و الرصاص و الكوبالت .

---

[3] أمثال Brewster " 1863 " Sandra Davison & " 1992 " Hamilton & " 1999 "

2-5- أنواع المينا :.

منها المينا الصلبة و المتوسطة و اللينة و الناعمة و الخشنة و كذلك المعتمة و الشفافة و اللؤلؤية ، و ترتبط

كل هذه الخواص بدرجة حرارة انصهارها و درجة نعومة و خشونة حبيباتها و أيضا مدى نفاذيتها للضوء .

2-6- استخدام المينا في زخرفة الاسطح الزجاجية :.

يتم تطبيق طبقة المينا على الاسطح الزجاجية بالطرق المعروفة و باستخدام الأدوات المناسبة ثم تثبت بالاسطح عند درجات الحرارة المناسبة لها و لتقليل معامل التمدد الحراري لطبقة المينا يضاف البوراكس أما أكسيد القصدير فيضاف لتحويل الطلاءات الشفافة الى معتمة و اسلوب تطبيقها على الاسطح يسمى " التموية بالمينا " .

2-7- التموية بالذهب :.

و هنا تستخدم اسلوب التزهيب على الساخن و فيه يضاف القلوي في صورة بورات الصوديوم " البوراكس " مع أكسيد الذهب أو أحد مركباته مع إضافة المادة اللاصقة اليهما و يفضل الصمغ العربي ثم تثبت بالحرارة المناسبة لذلك حيث ينصهر القلوي مكوناً طبقة زجاجية تعمل على لصق الذهب مع أسطح الآنية الزجاجية و تكون حلقة الاتصال بينهما و هذا ما ساعد على مقاومة الزخارف المذهبة بهذه الطريقة لفعل الزمن فضلاً عن غيرها المنفذة على البارد .

و في كثير من الأحيان كان يخلط الذهب بأكاسيد المعادن الأخرى للحصول على درجات مختلفة من اللون الأصفر المائل للإخضرار أو الاحمرار أو اللون العسلي و هذا ما جعل البريق المعدني من إبداعات الفن الاسلامي الى جانب الزخرفة بماء الذهب .

- هذا الى جانب الزخارف الأخرى مثل الحفر و القطع و التي يتم تنفيذها على قطعة الزجاج المستنسخه أولاً قبل عملية تثبيتها في مكانها بجسم الإناء .

- اما الزخارف المنفذه بطريقة الختم Stamping فهذه يتم حفرها في قالب التشكيل المستخدم لتنفيذ الجزء المراد استنساخه ثم يشكل الزجاج بداخل هذا القالب و نحصل على الجزء الزجاجي و قد طبع عليه الختم الزخرفي المطلوب .

3- الاساليب المستخدمة في تحليل عينات الأثار الزجاجية :.

يتم تحليل و فحص عينات التلف المتكونة على أسطح الأثار الزجاجية و كذلك تحليل عينات من التربة المستخرج منها .

من خلال عدة طرق منها ما يلي :.

3-1- التحليل بواسطة الميكروسكوب الالكتروني الماسح المزود بوحدة التحليل الدقيق للأشعة السينية " SEM with EDAX unit **"**

و هذه الطريقة من أنسب و ادق طرق التحليل حيث تصل قوة التكبير بالنسبة لوحدة الميكروسكوب الاكتروني الماسح الى 400 000 مرة .

و تعتمد على تشتيت " تفلور " طاقة الاشعة السينية المستخدمة لإثارة ذرات العناصر بالعينة الزجاجية لإعطاء نمط إنعكاس خاص بها عند مستوى الطاقة المحدد " K . L . M . N "

2-3- و من مميزات هذه الطريقة :.

1-2-3- تعطي تحليلاً كيفياً و كمياً دقيقاً للعناصر الموجودة بالعينة .

2-2-3- صغر حجم العينة المطلوبة للقياس .

3-2-3- طريقة غير متلفة للعينة .

4-2-3- يمكن استخدام العينة في صور مختلفة سواء صلبة أو مسحوقة .

5-2-3- الجهاز مزود بوحدة طبع و تصوير بالكمبيوتر .

3-3- التحليل بواسطة الميكروسكوب الميكروفوتوجرافي :.

و هذا الجهاز مزود بوحدة تصوير فيديو و كمبيوتر ملونة للتسجيل و الطبع المباشر .

4- علاج و صيانة الأثار الزجاجية المصابة بظاهرة التآكل السطحي :.

توجد العديد من الأبحاث العلمية الحديثة التي تعرضت لعلاج و صيانة الأثار الزجاجية المصابة بظاهرة التآكل السطحي "أ" . الى جانب الابحاث التي تناولت كيفية العناية بالأثار الزجاجية منذ لحظة الكشف عنها و كيفية تناولها و نقلها الى معامل الترميم المتخصصة و كذلك طرق العرض و الحفظ و قد أكدت هذه الابحاث على ما يلي :.

1-4- العلاج المبدئي للأثار الزجاجية المتآكلة عند عملية الكشف عنها

2-4- تنظيف الأسطح الزجاجية المتآكلة

3-4- تجميع الكسر الزجاجي Joining of frag mented parts

4-4- استكمال الاجزاء المفقودة

5-4- التقوية و العزل Consolidation and Coating

6-4- تهيئة الظروف المناسبة للعرض بعد اتمام عملية الترميم

7-4- التحكم في معدلات الإضاءة داخل قاعات العرض

* و نظراً لتعدد العمليات و المواد الكيميائية و الآلات الحادة المستخدمة لترميم الأثريات الزجاجية و التي يمكن أن تعرضها للإجهادات و قد تؤدي بها و تقضي عليها تماماً . جاءت فكرة بحثنا هذا لإيجاد تقنية بديلة و محكمة لترميم و استكمال الاجزاء المفقودة من الأثريات الزجاجية المجسمة و تمثلت فيما يلي :.

5- تصنيع الجزء المفقود باستخدام اسلوب التشكيل بالصهر داخل قالب :.

يرجع تاريخ تقنية تشكيل الزجاج بالصهر فوق قالب الى الاسلوب الذي استخدمه المصري القديم في صناعة التماثيل المعدنية " طريقة الشمع المفقود " The Lost Wax Process و التي استخدمها المصري القديم أيضاً في صناعة القطع الزجاجية المصمتة ذات التفاصيل المعقدة مثال :.

- تمثال رأس أمنحتب الثالث من الزجاج الازرق و طولها حوالي 3cm و يرجع تاريخها لسنة " 1375 ق . م " و محفوظ بمتحف ميونخ بألمانيا .

- تمثال فينوس من الزجاج الاخضر المائل للاصفرار و يرجع تاريخه للقرن الثاني الميلادي و يبلغ ارتفاعه حوالي " 9.4 cm " و محفوظ بمتحف كورتنج للزجاج بالولايات المتحدة الامريكية .
- و تمثال آخر لرأس أمنحتب الثاني و محفوظ بنفس متحف كورتنج بأمريكا .

و نظراً لجودة هذه المنتجات انطلق فكرنا في استخدام هذه التقنية في استكمال الاجزاء المفقودة من الأثريات الزجاجية و ذلك من خلا ما يلي :.

5-1- استخدام تقنية تشكيل الزجاج بالصهر في قالب لإنتاج الجزء الأثري المفقود :. Techniques of forming by fusing

يبدأ التشكيل بهذه التقنية بتسخين خامات الزجاج و رفع درجة حرارتها حتى تصل الى درجة حرارة الليونة[4] ثم الى درجة حرارة الانصهار[5] التي يبدأ عندها الزجاج في تغيير شكله[6] و يبدأ في التدفق .

و لهذه التقنية عدة أساليب منها ما يلي :.

* التشكيل بالصهر فوق قالب .
* التشكيل بالتصفيح
* التشكيل بالصهر داخل قالب

و لإستكمال الاجزاء المفقودة من الأثريات الزجاجية من خلال بحثنا هذا تم استخدام اسلوب التشكيل بالصهر داخل قالب نظراً لتوافقه مع طبيعة الأثريات الزجاجية المصابة بظاهرة التأكل السطحي .

5-1-1- اسلوب التشكيل بالصهر داخل قالب :. Techniques of forming by fusing in a mould

تنفذ هذه التقنية باستخدام قوالب متعددة الانواع و لكل نوع منها اسلوب تقني خاص به . فمنها القوالب المفتوحة و القوالب ذات التجاريف و القوالب المغلقة و قد استخدمنا في بحثنا اسلوبي التشكيل في القوالب المغلقة و التشكيل في القوالب المفتوحة و استخدمنا لهذه التقنية يتطلب ما يلي :.

* عمل افراد هندسي على الورق لخطوط و شكل " Form " الأثر الزجاجي .
* مطابقة الافراد على الأثر بدقة و حرص شديدين لتحديد مكان و شكل الجزء المفقود على ورق الافراد الهندسي " هذه الخطوة لا تعرض الأثر لأية إجهادات " حيث يتم تنفيذ الافراد الهندسي على الورق باستخدام لوحة الرسم و الادوات الهندسية و بعيداً عن الأثر تماماً معتمداً على قياساته الهندسية " طول _ عرض _ ارتفاع _ قطر " و الشكل الخارجي و ما يحويه من زخارف بالاضافة لتحديد سمك الزجاج " التخانة " .

---

[4] درجة حرارة ليونة الزجاج المتكون من نفس الخامات التي استخدمت في العصور الاسلامية لدرجة تتراوح " 500 – 530 °c "

[5] درجة حرارة انصهار الزجاج المتكون من نفس خامات زجاج العصور الاسلامية و تتراوح " 850 – 900 °c "

[6] درجة حرارة تغيير الشكل للزجاج المصنع من نفس خامات العصور الاسلامية و تتراوح " 900 – 1000 °c "

* تنفذ التقنية التكنولوجية بكل دقة و حسب متطلبات كل اسلوب .

5-1-1-1- التشكيل بالصهر في القوالب المغلقة :.

في هذا الاسلوب تصنع الاشكال الاولية " النموذج " للجزء المفقود من الأثر و الذي تم تحديده على الرسم الهندسي من الطين الاسواني او الشمع او الفوم ، و يفضل الشمع لسهولة ازالته بعد تشكيل القالب الحراري عليه بواسطة بخار الماء و تعتمد هذه التقنية على ملئ القالب الحراري بخامة الزجاج المناسبة للتركيب الكيميائي للزجاج الأثري ثم " يصهر و يشكل ويبرد[7] " باستخدام افران حرارية خاصة من خلال اتباع الخطوات التالية :.

5-1-1-1-1- بعد ملئ قالب التشكيل الحراري " بخلطة الزجاج المجهزة لذلك و وضعه في فرن الصهر يتم ملئ وعاء حراري " بوتقة " بنفس الخلطة الزجاجية و يوضع في فرن الصهر أعلى قالب التشكيل .

5-1-1-1-2- ترفع درجة حرارة الفرن بالتدريج حسب المنحنى الحراري المحدد مع المتابعة الدقيقة لمستوى خلطة الزجاج داخل القالب ، نظراً لهبوط منسوب الزجاج داخل القالب أثناء عملية الصهر نتيجة انعدام الفراغات التي كانت موجودة بين حبيبات الخلطة قبل عملية الصهر .

5-1-1-1-3- يستكمل قالب التشكيل بعد ذلك بكمية مناسبة من مصهور الزجاج الموجود بالاناء " بوتقة " أعلى قالب التشكيل ، بحيث تتناسب الكمية الاضافية مع نسب الهبوط ، و نستمر في عملية الاستكمال أثناء الصهر حتى يتم ملئ جميع أجزاء القالب تماماً بالزجاج المنصهر .

5-1-1-1-4- نستمر في رفع درجة حرارة الفرن الى درجة حرارة الصهر المطلوبة ويتم تثبيتها لفترة معينة حتى يتم تجانس المصهور الزجاجي متخذاً شكل القالب تماماً ثم نبدأ في عملية التبريد الدقيق حسب المنحنى الحراري المحدد

5-1-1-1-5- و لحساب كمية الخلطة الزجاجية المناسبة لحجم و شكل قالب التشكيل يتبع الآتي :.

استخدام المعادلة التالية :.

وزن الشمع أو الطين المستخدم في عمل النموذج الأولي = الحجم × الكثافة " 1 "

بمعلومية وزن الشمع او الطين المستخدم و كثافته يمكن ايجاد الحجم الحقيقي للنموذج المشكل .

$$\therefore \text{الحجم} = \frac{\text{وزن الشمع أو الطين}}{\text{الكثافة}} \quad " 2 "$$

[7] و ذلك بالالتزام بالمنحنى الحراري المصمم حسب شكل و حجم و سمك المنتج " الجزء المفقود من الآثر

وزن الزجاج المطلوب لقالب التشكيل = الحجم × الكثافة .
و بمعلومية الحجم من المعادلة " 2 " و كثافة الزجاج المستخدم يمكن ايجاد وزن الزجاج المطلوب لملئ قالب التشكيل .

5-1-1-2- تقنية تشكيل الزجاج باسلوب الصب البوتقي في قالب مفتوح :. Crucible Pouring

و يتم تنفيذ هذه التقنية باتباع ما يلي :.

5-1-1-2-1- صهر مكونات الزجاج داخل بوتقة صهر خاصة و مناسبة لحجم المنتج و ذلك من خلال فرن الصهر في درجة حرارة لا تقل عن 900 °c.

5-1-1-2-2- بعد حصولنا على مصهور زجاجي تم التجانس نأخذ البويقة و نصب محتواها في قالب التشكيل المطابق للتصميم المطلوب " الجزء المراد استنساخه "

5-1-1-2-3- بعد اتمام عملية التشكيل ينقل المنتج الى فرن التبريد[8] حتى يتم تبريده تدريجياً من درجة حرارة التشكيل الى درجة حرارة الغرفة وفقاً للتدرج الحراري المناسب لحجم و سمك المنتج .

5-1-1-3- لنجاح عملية الصهر يتبع الآتي :.

5-1-1-3-1- تجانس حجم حبيبات الخلطة المكونة للزجاج و خلطها خلطا جيداً حتى يسهل صهرها دون انبعاث غازات تفاعل الخامات التي يتسبب تزايدها و استمرارها في تعرض حراريات قوالب التشكيل و حراريات فرن الصهر للتآكل و النحر .

5-1-1-3-2- ثبات او تقارب معامل التمدد الحراري لخامات الزجاج مع معامل التمدد الحراري للأثر الزجاجي نفسه ، و ذلك لتجنب الشروخ او الكسور على المنتج اثناء تثبيته في مكانه بجسم الأثر .

5-1-1-3-3- وصول مصهور الزجاج لأعلى درجات سيولته حتى يسهل ملئ قالب التشكيل بالمصهور دون حدوث أي فجوات هوائية غير مرغوبة في مظهر السطح الزجاجي .

5-1-1-3-4- تصميم قالب التشكيل من خليط يقاوم فعل درجات الحرارة العالية بالاضافة الى تمييزه بالصلابة وانعدام مساميته ونعومة سطحه ليسهل خروج المنتج منه دون التعرض منه لأية أثار غير مرغوبة.

5-1-2- استخدام تقنية المستوى الحراري الخامد في تثبيت الجزء البديل و المواد الزخرفية :.

تنحصر هذه التقنية في المستوى الحراري بين " 480 – 530 °c " التي يكون عندها الجسم الزجاجي ثابتاً و لكنه في حالة بداية الليونة[9] و عند هذه الدرجة يمكن ما يلي :.

---

[8] على ان يكون فرن التبريد في درجة حرارة مناسبة لاستقبال المنتج في درجة حرارة تشكيله منعاً لحدوث ما هو معروف بالصدمة الحرارية

[9] لا يتأثر شكله و لا يتغير بفعل هذه الحرارة

- التصاق الجسم الزجاجي مع جسم زجاجي آخر يكون في نفس درجة الحرارة دون إحداث أية تغيرات في الشكل و لا الحجم " لحام زجاج بزجاج " .
- استقبال الجسم الزجاجي لأية مواد ملونة[10] على ان تكون درجة حرارة ليونتها اقل من ليونة الزجاج الأصلي المستقبل لها ، و هذا يناسب عملية تثبيت الزخارف المموهة بالمينا و المذهبة على زجاج تركيبه الكيميائي و البنائي مماثل للتركيب الكيميائي و البنائي لزجاج العصور الاسلامية . لذا تم استخدام هذا الاسلوب الحراري في تثبيت الجزء الذي تم تصنيعه باسلوب الصهر داخل قالب في مكانه المحدد للاناء الاصلي مع تثبيت الزخارف على الجزء المستنسخ في آن واحد و دون استخدام أية قوالب :.

5-1-2-1- و تتم هذه التقنية من خلال ما يلي :.

5-1-1-2-1- بعد الحصول على الجزء الزجاجي المنفذ بتقنية الصهر في قالب نقوم بتنفيذ الرسوم الزخرفية عليه حتى يكون في مظهره و تكوينه مماثل تماماً للجزء المفقود من الأثر فلا يحدث خلل في القيمة الجمالية و الوظيفية للأثر .

5-1-2-2-1- إذا كان الأثر يحوي في مظهره الجمالي مجموعة متعددة من الزخارف " حفر ميكانيكي _ حفر كيميائي _ تمويه بالمينا _ تذهيب ..... الخ " فلابد مراعاة ذلك .

5-1-2-3-1- تنفيذ الزخارف بتقنية الحفر أولاً " ميكانيكي أو كيميائي " بالاسلوب التقني المعروف .

5-1-2-4-1- تنفيذ زخارف التمويه بالمينا ثم يأتي التذهيب في آخر أعمال الزخرفة ، بحيث تتم كل عملية على حدة وباستخدام الاساليب التقنية الخاصة بها .

5-1-2-5-1- أن تكون المواد المكونة للمينا و الذهيب من نفس التركيب الموجود على أثريات العصور الاسلامية بحيث تكون درجة حرارة ليونتها أقل من درجة حرارة الزجاج الأصلي الحامل لها "الزجاج الأم ".
و ذلك لعدم تعرض الجزء التعويضي من الزجاج لأية حالة تخل بمظهره الجمالي أو وظيفته المرتبطة بحجمه و سمكه .

5-1-2-6-1- بعد الانتهاء من تطبيق التقنيات الزخرفية على الجزء الزجاجي المستنسخ يتم وضعه في الفرن لاتمام عملية التثبيت .

5-1-2-2- تتم عملية التثبيت النهائي كما يلي :.

5-1-2-1-2- يثبت الجزء الزجاجي المستنسخ في مكانه بالاناء الاصلي ليحل محل الجزء المفقود حيث يثبت تثبيتاً مبدأياً باستخدام المواد اللاصقة كالصمغ العربي[11] .

5-1-2-2-2- يوضع الاناء الزجاجي كاملاً في فرن التثبيت الحراري بعد عزل أرفف الفرن بالاسبداج أو رقائق الالمونيوم لعدم التصاق الآنية الزجاجية بحراريات الفرن .

---

[10] حيث تتغلغل هذه الملونات بالسطح الزجاجي و يصبحان جزءاً واحداً

[11] هو أنسب انواع المواد اللاصقة المؤقتة لأنه لا يحتاج معالجات حرارية أو كيميائية عند استخدامه أو إزالته

5-1-2-2-3- تضبط حرارة الفرن حيث يتم رفعها بالتدريج البطيء حسب المنحنى الحراري الخاص بهذه التقنية حيث يتم رفع درجة حرارة الفرن من درجة حرارة الغرفة الى درجة حرارة تتراوح "480–530 °c" ثم البقاء فترة معينة عند هذه الدرجة لاكتمال التصاق و اندماج الجزء الزجاجي المستنسخ بجسم الاناء الاصلي و كذلك تثبيت الزخارف و اندماجها بالسطح .

5-1-2-2-4- بعد التأكد من تمام الخطوة السابقة و الإنتهاء من فترة البقاء يتم النزول بدرجة حرارة الفرن الى درجة حرارة الغرفة بالتدريج البطيء أيضاً و حسب المنحنى الحراري المحدد .

5-1-2-2-5- نخرج المنتج من الفرن فنجده في أحسن هيئة حيث تم تخليصه من بعض مظاهر التلف[12] بفعل الحرارة ، ثم يتم تغليفه و حفظه لحين نقله للعرض المتحفي .

و من هنا نجد ان عملية الترميم تمت بعناية و حرص شديدين و دون استخدام اية الات حادة او مواد كيميائية يمكن تفاعلها مع الأثر و تغير خصائصه بل نجد أن هذه التقنية ساعدت على التخلص من معظم أثار التلف الموجودة على الآنية الزجاجية .

5-1-3- القوالب المستخدمة في تنفيذ الجزء المفقود من الأثر .

توجد نوعية من القوالب تعرف بالقوالب المعدنية[13] او القوالب الدائمة وهذه يمكن استخدامها مرات عديدة أما في حالة انتاج القطعة الواحدة فنستخدم القوالب الحرارية ، و هي المستخدمة في تطبيقات بحثنا هذا ، و ذلك لقلة تكلفتها عن القوالب المعدنية ، و لسهولة و سرعة تشكيلها ، خاصة و أن المنتج هنا ليس بالانتاج الكمي في شيء بل هو منتج يتميز بالتفرد والى جانب ما يحمله من خصائص فنية و قيم جمالية أثرية غاية في الثراء و لم يتم تصنيع القوالب الا بعد تصنيع النموذج اولاً خاصة و ان مرحلة اعداد النموذج من اهم خطوات تصميم و تنفيذ المنتج فهو يساعد على اظهار القيم الشكلية و الوظيفية للآنية و كذلك دقة ابعادها و احجامها و علاقتها بالوظيفة الى جانب اظهارها للقيم التشكيلية النحتية الموجودة على السطح مثل الزخارف النحتية البارزة و الغائرة " زخارف الاختام " فاتقان صناعة النموذج يترتب عليه نجاح صناعة القالب و بالتالي الحصول على منتج مطابق لمواصفات الجودة المطلوب تحقيقها .

و النماذج تصنع من خامات عديدة مثل " الطين _ والفوم _ الجبس _ الخشب_البولي استر_الشمع ...الخ ".

و يتوقف نوع الخامة المنفذ بها النموذج على ما يلي :-

- مهارة المصمم او صانع النماذج في استخدام خامة عن اخرى .

---

[12] كظاهرة العتامة و الصدأ و الشروخ الدقيقة و الطبقات البيولوجية .....الخ

[13] تصنح من الحديد الزهر أو الحديد الزهر المعالج بالنيكل كروم أو الزهر المرن المعالج بالماغنيسيوم و الفسفور و قوالب الصلب المعالج بالنيكل كروم و يصنع بطريقة السبك

- تناسب الخامة لاجزاء النموذج خاصة في نماذج الاتية ذات الايدي و الساكب او مناطق اختناق " مناطق ضيقة.... الخ ".
- شكل و حجم النموذج .

و في بحثنا هذا يمكن استخدام الشمع او البولي استر او الطين , حتى لا نحصل على ملامس او مسام غير مرغوب فيها , ولكننا نفضل عمل النموذج الاولي من الشمع لسهولة التخلص منه[14] بعد نسخ القالب عليه .

1-3-1-5 قوالب القطعة الواحدة " المفتوحة غير العميقة " :.

يمكن استخدامها اكثر من مرة خاصة اذا صنعت و استخدمت باتقان , ولسهولة استخدامها في عملية صهر الزجاج يراعي خلوها من المسام و يكون ملمسها شديد النعومة لدرجة تساعد على سهولة انفصال الزجاج عن سطح القالب بعد اتمام عملية السهر و التشكيل للمنتج , و هذا ما يوضحه شكل رقم " 6 – 5 " و المكون الاساسي لهذه القوالب سواء كانت مفتوحة او مغلقة هو عنصر الجبس مع اضافة بعض المواد الاخرى كالرمل او الطوب الحراري .

و تتكون هذه النوعية من القوالب من المكونات التالية :.

45 % جبس 45 % رمل فضي أو كريستوباليت 10 %طوب حراري " جروج "[15] .

و يلاحظ أنه كلما زادت نسبة السيليكا في خلطة القالب قلت الشروخ و قلة نسبة الانكماش في درجات الحرارة العالية و هذا ما يوضحه جدول " 4 " ويمكن تصنيع هذه النوعية من القوالب بأحد المكونات الأتية :.

خلفه رقم 1

100 جزء جبس	100 جزء سيليكا
20 جزء طين حراري	20 جزء ألياف ألمونيوم

2 جزء ورق مقوي

و هذه المكونات نسبة وزن يضاف اليها ^{3} cm 170 ماء يخلطها جيداً ثم صبها فوق النموذج المحدد للشكل .

مع مراعاة تبليل النموذج بالماء أولاً و احاطته باطار معدني أو بلاستيك أو زجاج و ذلك لإحتواء الخليط المكون للقالب و تحديد سمكه ثم يترك يجف مدة تتراوح ما بين 5 " " 20 – دقيقة ثم ينزع الاطار الحاوي للحراريات المكونة للقالب و بعد تمام الجفاف ينزع النموذج من داخل القالب و ينظف سطح القالب الداخلي جيداً للتخلص من اية اثار لمادة النموذج ممكن تكون عالقة بالسطح الداخلي للقالب و تتميز القوالب المصنوعة من هذه

[14] باستخدام حلة طغط مزودة بخرطوم حيث يوجه البخار الى نموزج الشمع داخل القالب فيذوب و يتساقط ثم يغسل القالب بالماء المغلي

[15] مسحوق حراريات هالكة سبق استخدامها

المكونات بقلة تشققها و انكماشها نظراً لتناسب نسبة السيليكا مع الجبس بالاضافة لزيادة مقاومتها الحرارية لاستخدام الياف الالومونيا .

خلطة رقم 2 تتكون مما يلي :-

26 % جبس — 10 %رمل مطحون " سيليكا "

22 % كاولين متكلس — 37 % رمل محبب " سيليكا خشنة "

5 % كاولين عادي .

و تصنع هذه النوعية من القوالب بخلط مكوناتها بعد تجهيزها خلطاً جيداً بواسطة الرش و التزرير فوق سطح الماء حتى يتشبع ثم يقلب باليد في حركة دائرية بسيطة حتى نحصل على مكون قوامه يشبه الكريمة .

ثم يصب هذا المكون فوق النموذج الاولي بعد احاطته بمواد عازلة على مسافات تتناسب مع سمك القالب . و يترك ليجف ثم ينزع النموذج من داخل القالب و ينظف مكانه جيداً ثم تجفف القوالب في فرن تجفيف خاص بذلك و تستخدم

خلطة رقم 3 و تتكون مما يلي :.

60 % شامون مطحون ينفذ من " 250 مش " — 20 % جبس

10 % جروج — 10 % نشارة خشب ناعم

تخلط هذه المكونات و تمزج جيداً و يضاف اليها الماء بالتدريج حتى نحصل على مكون متماسك القوام ، ثم نقوم بصبه فوق النموذج كما في النوعية السابقة و نخرج النموذج من داخل القالب و يتم تنظيف أسطحه الداخلية ثم يجفف و يستخدم

5-1-3-2- قوالب متعددة الاجزاء (عميقة) :.

و هذه النوعية من القوالب لابد أن يكون الجبس عنصر أساسي في تكوينها و يمكن تحضيرها بإحدى المكونين التالين:.

المكون الاول :.

33.5 % جبس — 44.5 % طين أسواني

22 % كاولين

و تتميز القوالب المصنعة من هذه المكونات بارتفاع صلادتها و قلة شروخها بعد الحرق و تحملها لدرجات

الحرارة العالية ، و يمكن استخدام هذه القوالب بدون اضافة مادة عازلة لمنع التصاق الزجاج داخلها بعد

تشكيله ، هذا بالاضافة الى أنه يمكن استخدامها أكثر من مرة .

المكون الثاني :.

50 % جبس — 35 % كوارتز

15 %خليط من الجبس و الكوارتز " تم حرقه و طحنه " .

و تتميز هذه القوالب بقوة تحملها للحرارة و تناسبها بانتاج الاشكال حادة الزوايا " Under cut " أو الاشكال التي بها زخارف نحتية " بارذ و غائر " او ذات الايدي .... الخ . و ذلك لسهولة تفتيت القالب بعد استخدامه فيخرج منه المنتج الزجاجي بسهولة و دون أن يتعرض للكسر .

5-1-3-3- عند تصميم القوالب الحرارية يراعي ما يلي :.

- عمل فتحات تهوية على جانبي اجزاء القالب .
- عمل مخارج دقيقة للهواء في المناطق التي تحتوي زخارف نحتية عميقة في القالب و كذلك الاجزاء الضيقة .
- تصميم القالب بحيث يحتوي على دليل " مفاتيح " تساعد على أحكام الغلق بين أجزاؤه .
- عمل ايادي و مفصلات للقالب المتعدد الاجزاء للتحكم في عملية فتحه و غلقه بسهولة عند استخدامه .
- تنفذ القوالب باستخدام عدة مواد حرارية معاً ، لذلك لابد من تميز الحراريات بخواص مناسبة لذلك .

5-1-4-3- خواص المواد الحرارية المستخدمة في تشكيل القوالب :.

- تتباين خواص المواد الحرارية حسب الخامات المستخدمة في تكوينها و نسبها المختلفة بالاضافة لطريقة تكوين الطينة الحرارية و تجفيفها ثم حرقها .

- لذا لابد من توافر عدة خصائص للحراريات المستخدمة منها ما يلي :.

- عدم تأثرها بدرجات الحرارة المعرضة لها . - تتمدد و تنكمش بانتظام و في حدود ضيقة .
- قابليتها للسبك من حيث الليونة و المرونة لفترة معينة . - عدم تأثرها بالجو المحيط بظروف التشغيل .
- الوصول الى درجة الصلابة المطلوبة قبل و بعد الحريق .
- تماثل تمددها و انكماشها مع الزجاج و كذلك معدل انتشار الحرارة بها Thermal diffusuvity .

6- الافران التي استخدمت لهذا البحث :.

توجد انواع متعددة من الافران الخاصة لصهر و تشكيل الزجاج و منها ما يلي :.

- افران غازية GAS FURNACES - افران كهربائية ELECTRIC FURNACES

ولكل منها نوعين من الافران , افران مفتوحة و افران مغلقة .

6 – 1 – و ينحصر الفرق بينهما فيما يلي :

6 – 1 – 1 – الفرن المفتوح :.

يتكون من غرفتين يتم خلالها تبادل قوالب تشكيل الزجاج بين غرفة الصهر وغرفة التبريد الملاصقة لها و ذلك بعد اتمام عملية الصهر .

6 – 1 – 2 – الفرن المغلق :.

يحتوي على غرفة واحدة تستخدم للصهر و التبريد معاً و سواء استخدمنا النوع الغازي او الكهربائي فمبدا التسخين واحد , حيث انه في كل حالة لابد ان يمرالزجاج بنفس مراحل التسخين قبل الصهر ثم التبريد التدريجي بعد ذلك رغم ان عامل الوقت قد يختلف في النوعين .

6 – 2 – الأفران الغازية :.

و منها الانواع التالية

6-2-1- نوع مزود بعدد من مشعلات الغاز موضوع على مسافات جانب غرفة الصهر من اعلى حيث تنعكس الحرارة الى اسفل نحو سطح الزجاج , و هذه النوعية ليست مناسبة تماماً لضمان انتظام التوزيع الحراري بالاضافة الى انها تؤثر على مظهر الزجاج المنتج .

6 – 2 – 2 – نوع مزود بجهاز لدفع خليط الغازو الهواء لاعلى داخل الفرن من خلال انبوبة واحدة ثم يوجه الى اسفل و هذا الجهاز محمول على طوبة حرارية مسامية و هي نفسها تشكل سطح غرفة الصهر و يخرج الغاز في اتجاه السطح السفلي للطوبة الحاملة و يكون في البداية شعلة زرقاء ثم يتحول تدريجياً الى اللون الاحمر كلما ارتفعت درجة الحرارة و الشكل رقم " 7 " يوضح الفرن الغازي .

6 – 2 – 3 – نوع اخر يعتبر تعديل للنوع السابق حيث يوجد به اربعة شعلات من كل جانب وغرفة الصهر تنقسم لاربعة اقسام مما يحسن انتظام التوزيع الحراري للفرن وهذا ما توضحه الاشكال " 8 & 9 &10& 11".

6 – 2 – 4 – و لاستخدام هذه الافران يتبع الاتي :.

6 – 2 – 4 – 1 – بالرغم من ان النوعين الاول و الثاني يعملان بالغاز الا انه من المهم تزويدهما بمصدر كهربائي لادارة الموتور الذي يغذي الفرن بخليط الغاز و الهواء .

6 – 2 – 4 – 2 – استخدام الغاز ساخناً بدرجة تكفي للتخلص من نسبة الماء الموجودة به حتي لا تتكثف على سطح الزجاج عند الاحتراق .

6 – 2 – 4– 3 – تسخين الفرن اولاً لطرد الرطوبة الموجودة بالطوب الحراري .

6 – 2 – 4 – 4 – يشعل الفرن باستخدام عصا طويلة مثبت بنهايتها ولاعة خاصة بذلك مع مراعاة انتظام ضغط الغاز في ضغط متوسط لمدة تتراوح ما بين " 20 – 15" دقيقة و بعدها يدفع تدريجياً بالضغط المطلوب للتشغيل و تتميز الافران الغازية برخص ثمن مكوناتها ووقودها عن الافران الكهربائية .

6-3- الافران الكهربائية :.

و تسمى بالافران المغلقة و تتكون مما يلي :.

6-3-1- جسم الفرن :. و هو من الصلب و به باب من الجانب أو من أعلى حسب تصميم الفرن و به فتحة للمراقبة تغلق أثناء الصهر لمنع التسرب .

6-3-2- غرفة الصهر :. و تبنى على الجسم الصلب للفرن من الداخل بالطوب الحراري و بها اسلاك من النيكل كروم موزعة على جوانب الفرن الأربعة أو من جانبين فقط أو من أعلى و أفضل توزيع هو من الثلاث جوانب و الباب لضمان تساوي و انتظام التوزيع الحراري .

6-3-3 - **مقياس درجة الحرارة :. Pyrometers**

و يتكون من جزئين :.

6-3-3-1- المزدوجة الحرارية :. Thermocouple

و تعتمد على الجهد الكهربائي بين سلكين من مادتين مختلفين " بلاتين _ رديوم " و مغلفان بمادة مقاومة للحرارة " سيليكا " و يتصلان بجلفانومتر .

و عندما ترتفع درجة الحرارة في السلكين يتولد حوالي 1 ميللي فولت لكل 100 °c حسب نوع معدن السلك.

6-3-3-2- المؤشر الحراري :. Thermal indicator

و يتكون من :. تدرج حراري

- مؤشر حراري و يثبيت قبل التشغيل على درجة الحرارة المطلوبة .
- مؤشر يظهر درجة حرارة الفرن .
- مفتاح التحكم في المؤشر الحراري .
- مفتاح لفصل الكهرباء ذاتياً عند الوصول بالفرن للحرارة المطلوبة .

6-3-3-3- المقاومة المتغيرة :. Rheostat

هي جزء ينظم الاداء الحراري للفرن " تشغيل / إيقاف " مما يزيد من عملية التحكم في درجة حرارة الفرن . و ذلك بإمتصاصها للكهرباء ، و إعادة تدفقها بما يناسب حرارة الفرن .

6-3-4- مفاتيح كهربائية :.

للتحكم في القوة الرئيسية للفرن و التشغيل و الإيقاف و الفصل الذاتي عند فتح باب الفرن و يوجد حالياً أفران مزودة بوحدة برمجة و يتم برمجتها حسب المنحنى الحراري المطلوب و تتميز الافران الكهربائية بسهولة تشغيلها و دقة التحكم في درجة حرارتها و خلوها من الدخان و الابخرة الضارة الناتجة عن عملية احتراق الوقود الصلب أو السائل أو الغازي ، هذا بالضافة الى توفر عنصر الامان و جودة منتجاتها .

6-4- و عند استخدام الافران يراعي الآتي :.

6-4-1- التأكد من وضع الفرن في مكانه المناسب لسهولة تشغيله سواء لمستخدمي اليد اليمنى أو اليسرى مع مراعاة أن وضع الفرن في الركن يصعب استخدامه .

6-4-2- التأكد من وضع قطعة الزجاج بحيث تظهر من فتحة المراقبة .

6-4-3- استخدام المساند و الاعمدة الحرارية عند وضع اكثر من قالب تشكيل داخل الفرن .

4-4-6- استخدام الماسك و الواقي لليد و الوجه عند تناول القوالب من غرفة الصهر لغرفة التبريد .

7- التبريد :. Annealing

يتوقف معدل التبريد على سمك الزجاج المراد تبريده و شكله و حجمه و كذلك التركيب الكيميائي للزجاج المستخدم هذا بالاضافة الى تحديد درجة الحرارة اللازمة للتبريد .

7-1- تصميم المنحنى الحراري الخاص بعملية انتاج الجزء البديل و تثبيته لأثر الاصلي :.

اعتمدنا في بحثنا هذا على استخدام المنحنى الحراري المعروف " بمنحنى توماس " و ذلك بعد ادخال بعض التعديلات عليه ليتناسب مع عمليتي الصهر و التبريد اللازمين لعملية ترميم و استكمال الأثر الزجاجي و هذا من خلال اتباع الطرق التالية :.

7-1-1- **تصميم المنحنى الحراري الخاص بانتاج الجزء البديل :.**

و قد اعتمد هذا المنحنى على ما يلي :.

- رفع درجة حرارة الخلطة المكونة للزجاج من درجة حرارة الغرفة الى درجة حرارة انصهار الخلطة و التي تحددت حسب نوعية التركيب الكيميائي للزجاج و هي " 900 °c " .

- تثبيت المصهور عند درجة حرارة " 900 °c " لفترة معينة لتمام تجانسه و الحصول على اللزوجة المناسبة لملأ اجزاء القالب تماماً بهذا المصهور .

- النزول بدرجة الحرارة الى درجة حرارة التشكيل و هي " 850 °c " . و فيها تزداد لزوجة المصهور الزجاجي متخذاً شكل القالب .

- تثبيت درجة حرارة التشكيل لفترة محددة لتمام عملية التشكيل .

- النزول بدرجة حرارة التشكيل الى درجة حرارة التبريد التي يتم تحديدها حسب حجم و سمك المنج .

نستمر في عملية التبريد حسب الخطوات المحددة حتى نصل بالمنتج الى درجة حرارة الغرفة دون أن يتعرض للتبلور أو الشروخ الغير ظاهرية ، مع مراعاة ما يلي :.

- درجة حرارة الغرفة 25 °c - سمك الزجاج 4ملم

- درجة حرارة التبريد 530 °c

7-1-2- و قد تم تصميم المنحنى الحراري باتباع الخطوات التالية :.

- معدل ارتفاع درجة الحرارة = $\frac{4.5}{d^2}$ ← ثابت ← سمك الزجاج

$$\frac{4.5}{0.16} = 28.12 \text{ درجة / الدقيقة}$$

- الزمن اللازم لرفع درجة الحرارة من الغرفة الى الانصهار = $\frac{875}{28.12}$ 12 = دقيقة **"1"**

- الزمن اللازم لبقاء المصهور عند درجة الانصهار = متوسط مجموع " السمك × 2 + السمك × 3

= $\frac{1.2 + 0.8}{2}$ = 1 دقيقة = " 2 "

- معدل نزول درجة حرارة المصهور الى حرارة التشكيل = $\frac{3.6}{d^2}$ ← ثابت = $\frac{3.6}{0.16}$ / الدقيقة .

- الزمن اللازم للوصول الى درجة التشكيل = $\frac{320}{22.5}$ 14.2 دقيقة " 3 "

- الزمن اللازم البقاء عند درجة التشكيل = متوسط مجموع " السمك × 2+ السمك×3

= 1 دقيقة " 4 "

- معدل النزول بدرجة التشكيل الى التبريد = $\frac{1.3}{d^2}$ ← ثابت $\frac{1.3}{0.16}$ 8. درجة / الدقيقة

- الزمن اللازم للنزول من التشكيل الى التبريد = $\frac{50}{8.13}$ = 6.15 دقيقة " 5 "

- الزمن اللازم للبقاء في درجة التبريد = 1 دقيقة " 6 "

- معدل التبريد البطيء : $\frac{1.3}{d^2}$ = 8.13 درجة / الدقيقة

- الزمن اللازم للتبريد البطيء = $\frac{100}{8.13}$ = 12.30 دقيقة " 7 "

- معدل التبريد السريع = $\frac{3.6}{d^2}$ 22.5 درجة / الدقيقة

- الزمن اللازم للتبريد السريع = $\frac{405}{22.5}$: 18.0 دقيقة " 8 "

الزمن الكلي اللازم لانتاج الجزء البديل = مجموع أزمنة خطوات العملية الانتاجية كاملة .:

= 18.0 + 12.30 + 1 + 6.15 + 1 + 14.2 + 1 + 13.12 = 84.77 دقيقة = 85 دقيقة

و بهذا تم انتاج الجزء البديل .

7-1-3- تصميم المنحنى الحراري الخاص البديل مكان الجزء المفقود من الأثر الزجاجي و كذلك تثبيت زخارفه " تمويه بالمينا _ تذهيب " حسب خطوات المنحنى الحراري التالي :.

- مرحلة التدفئة = درجة حرارة التبريد + 20 °c

أي نرفع درجة حرارة الفرن من درجة حرارة الغرفة بمقدار20 °c وبالمعدل المحسوب لفترة البقاء في المنحنى السابق أي بمعدل " 1 " درجة / الدقيقة .

* الزمن اللازم للتدفئة = 20 دقيقة **" 1 "**

- معدل ارتفاع درجة الحرارة حتى التثبيت = $\frac{4.5}{d^2}$ = 28.13 درجة / دقيقة

- الزمن اللازم لإرتفاع الحرارة الى درجة التثبيت = $\frac{535}{28.18}$ 1 دقيقة **" 2"**

- زمن بقاء المنتج عند درجة حرارة التثبيت = 1 دقيقة **" 3 "**

- معدل التبريد البطيء = $\frac{1.3}{d^2}$ 8.13 درجة / الدقيقة

- زمن التبريد البطيء = $\frac{100}{8.13}$ 12.30 **" 4 "**

- معدل التبريد السريع = $\frac{3.6}{d^2}$ 22.5 درجة / دقيقة

زمن التبريد السريع = $\frac{435}{22.5}$ = 19.33 دقيقة **" 5 "**

- المعدل اللازم للتدفئة = $\frac{1.3}{d^2}$ 8.13 درجة / الدقيقة

- زمن التدفئة = $\frac{20}{8.13}$ 2.46 دقيقة **" 6 "**

* الزمن الكلي اللازم لعملية التثبيت = 2.46 + 19.33 + 12.3 + 1 + 19 + 20 = 74.09 دقيقة = 74 دقيقة

7-1-4- معامل التمدد الطولي و تبريد الزجاج :.

- يرتبط معامل التمدد الطولي بنوعيه و تركيب الزجاج المراد تبريده و لنجاح عملية انتاج الزجاج و تبريده لابد من معرفة ما يلي :.

- التركيب الكيميائي للزجاج و نسب كل عنصر - سمك المنتج و شكله و حجمه

- تحديد درجة حرارة التحول " Tg " تقع بين التبريد السريع و البطيء و عندها يزداد معامل التمدد .
- درجة حرارة الليونة " TD " تقع فوق درجة الحرارة العليا و عندها تزداد ليونة الزجاج .
- درجة تغيير الشكل " Mg " تسبق درجة الليونة و عندها يبدأ المنحنى في تغيير شكله .
- درجة حرارة التبريد العلية (السريع) " Tu " تقع أعلى من التحول .
- درجة حرارة التبريد السفلي (البطيء) " TL " تقع قبل التحول .

و هذا ما يوضحه المنحني رقم " 1 "

7-1-5- لنجاح عملية ترميم و استكمال الاجزاء الأثرية حرارياً يراعي الآتي :.

- عدم فتح باب الفرن أثناء مراحل التبريد ، و غلق كل فتحات المراقبة و في الافران الغازية تغلق المدخنة.
- تشغيل و ايقاف الملفات الكهربائية معاً للمحافظة على انتظام حرارة التبريد .
- اذا كان هناك أجزاء من المنتج الزجاجي غائرة داخل القالب فمن الضروري المحافظة على الاجزاء المعرضة[16] لجو الفرن ساخنة أيضاً ، و ذلك بعمل وعاء حراري[17] يوضع أعلى المنتج قبل البدء في عملية الانتاج .
- استخدام جهاز قياس الحرارة Thermocouple ذو كفاء عالية ، حتى لا يحدث فرق في تقدير درجات الحرارة ، و للتغلب على ذلك يمكن استخدام عدة أجهزة قياس حراري عند نقاط مختلفة و أخذ متوسط الحرارة بينهم للوقوف على انتظام التوزيع الحراري من عدمه .
- نختبر جودة تبريد المنتجات بعد اتمام انتاجها عن طريق استخدام جهاز البولاريسكوب[18] Polariscope ، فإذا كان الزجاج به نسبة من الاجهاد المسموح به أو أقل فيكون منتج جيد المواصفات و العكس صحيح .

و الجدول رقم " 5 " يوضح الألوان الدالة على نسبة الاجهاد .

و باستخدام طريقة المعالجات الحرارية هذه في ترميم و استكمال الاجزاء المفقودة للأثريات الزجاجية الاسلامية أمكننا التوصل الى النتائج و التوصيات التالية .

8 - النتائج :.

* أمكننا استنساخ الاجزاء المفقودة من الأثر بنفس التركيب البنائي و الكيميائي .
* أمكننا تطبيق الزخارف على الاسطح الزجاجية لاكتمال مظهرها الجمالي و تأكيده .

---

[16] الأجزاء البارزة على سطح القالب

[17] يحافظ على التوازن الحراري

[18] جهاز يتكون من قرص يستقطب الضوء و قرص آخر يحلل الضوء و يضع المنتج الزجاجي بينهما لقياس جودته فتظهر عليه الألوان الدالة على نسبة الإجهاد الموجود به

* أمكننا تثبيت الجزء المستنسخ في مكانه بالأثر الزجاجي أثناء تثبيت الزخارف عليه دون التعرض للأثر بأية آلة حادة أو مادة كيميائية قد تؤدي به .
* أمكننا تصميم جداول و منحنيات حرارية خاصة بهذه التقنية و مرتبطة بمنحنى توماس أثناء عملية تثبيت الجزء المستنسخ في مكانه بالأثر امكننا معالجة الأسطح الزجاجية المصابة بظاهرة التآكل السطحي "كالتنفير _والتشميس_والشروخ السطحية والرطوبة .. الخ" و ذلك بفعل الحرارة المستخدمة التي عملت على تقوية البناء الاساسي للمنتج و تخلصه مما أصابه من مظاهر التلف .
* عدم استخدام المواد اللاصقة الكيميائية في هذه التقنية ساعد على المحافظة على الاسطح الزجاجية دون التعرض للتلف أو التسبب في فنائها خاصة و أنه هناك بعض الكيماويات التي تتسبب في فناء الأثر الزجاجي نتيجة تفاعلها مع التركيب البنائي للأثر ، هذا الى جانب عدم استخدام الآلات الحادة .

9– التوصيات :.من خلال هذا البحث نوصي بالآتي :.

- التأكيد على دور مصمم الزجاج وفاعليته في حل مشكلات ترميم الآثريات الزجاجية المجسمة منها و
المسطحة .
- استخدام تقنية المعالجات الحرارية كمجال من مجالات معالجة و صيانة الآثريات الزجاجية .
- ادراج هذه التقنية ضمن برامج التدريب في مجال الترميم خاصة لأنها تحتاج لمهارات تكنولوجية و علمية عالية .
- عدم استخام هذه التقنية في حالة الأثريات المتهالكة البنيان .

10- المراجع :.

1- الفريد لوكاس " المواد و الصناعات عند قدماء المصريين . ترجمة ذكي اسكندر و محمد زكريا . 1993
2- جاد ابراهيم اسكارس _ " صناعة الزجاج في مصر القديمة " مجلة رسالة العلم العدد الثالث سبتمبر 1966
3- رمضان عوش " الأثار الزجاجية المزخرفة بالمينا و المموهة بالذهب " رسالة ماجيستير و كلية الأثار جامعة القاهرة 1999
4- سلوى جاد الكريم " استعراض مظاهر تلف الزجاج في العصور الاسلامية المختلفة " بحث منشور كلية الأثار . جامعة القاهرة 2001
5- فاطمة الشناوي " اعتبارات تبريد المنتجات الزجاجية في ضوء ترشيد الطاقة " رسالة دكتوراه كلية الفنون التطبيقية . جامعة حلوان 1995
6- فاطمة الشناوي _ تكنولوجيا أفران صهر الزجاج و تكنولوجيا أفران تبريد الزجاج _ محاضرات لطلبة مرحلة البكالوريوس . كلية الفنون التطبيقية . جامعة حلوان . 1996

7- فاطمة الشناوي _ ترشيد الطاقة و أثرها في أفران صهر الزجاج . بحث منشور : مؤتمر القاهرة الدولي السادس للطاقة و البيئة 1998
8- فاطمة الشناوي _ صهر مخلفات الزجاج المسطح لإنتاج الزجاج النحتي _ بحث منشور المؤتمر العلمي السادس . كلية الفنون التطبيقية . جامعة حلوان 1999
10- Boyce londstrom & Daniel Schwoerer . glass fusing vitreous publication .
11- charles Bary " Dictionary of Glass Material and techmiques A&C Blocf 1995
12 – E'melvaret & D.E. Tohnson " Decorative motilds " Glass technology 1987 .
13 – Frank kulasiewicg . Glass lilouing . pulilicatins / New york . pitman pulilishing London .
14 – " Frederic & lilli sculer . ' glass frming . Glass making for the craftsman " pitman pulilishing 1971 .
15 – Huang . C .& cormack . A. N . the stwcture of Sodium . Silicate glass Jowrned of chemical physics . NO . 93 . 1990
16- internet " Fusing with Spectrum Glass " http://www.Spectrumglass.com/ Fuse/Firing
17- Ryan . J . & Maphail . D . Glass deterioration in the museum invironment Triennial meeting " 11th " Edinburgh . U . K Sep . 1996
18- T . F . Ensor mould materials glass technology . 1990
19- The . corning museum of glass Science technology . resource for glass properties of glass , chemical , corning NY.U.S.A 1997

1-1 أهم الخواص الفيزيائية للزجاج

اللزوجة Viscosity	درجة حرارة الليونة Plastic temprature	التوصيل الحراري Thermal or heat transmission	درجة الانصهار Melting point	المسامية Porosity	الكثافة Density	نقطة التصلد Solid point	الخواص الميكانيكية			الخواص الضوئية Optical properties
							الصلادة Hardness	المتانة Durability	المرونة Flesibilits	
يتميز الزجاج بزيادة لزوجته كلما انخفضت درجة حرارته و هذا يرتبط بالتركيب الكيميائي للزجاج و تصل درجة لزوجة الزجاج الى 10^{-13}بواز	هي نقطة ما بعد تغيير الشكل على منحنى التمدد الحراري و تكون عندها ليونة الزجاج كافية لتشكيله و هي عند درجة حرارة 650°c	الزجاج موصل ردئ للحرارة و زجاج السيلكا هو أكثر أنواع الزجاج توصيلاً للحرارة و تمدده الحراري منتظماً من درجة حرارة Zero الى درجة حرارة 850°cو بعد هذه الدرجة يحدث تغير مفاجئ في معدل التمدد الحراري	تتوقف على التركيب الكيميائي للزجاج فالسيليكا تحتاج ادرجات حرارة عالية حتى تنصهر و بإضلفة نسبة القلوى (صوديوم-بوتاسيوم) فتخفض من درجة حرارة انصهار الزجاج ومتوسط درجة حرارة انصهار الزجاج الأثري الإسلامي -900 1000°c	الزجاج عديم المسام غير منفذ للسوائل والغازات تحت الضغوط العالية في درجات الحرارة المختلفة خاصة الزجاج غير المتبلور وهناك أنواع من الزجاج منفذة لغازي الأيدروجين والهيليوم وزجاج السيليكا جير صوديوم وزجاج البورسليكات أقل انواع الزجاج نفاذية لغازي الايدروجين والهيليوم	ترتبط بالتركيب الكيميائي فزجاج الرصاص تزداد كثافة عن زجاج الصودا جير سيلبيكا و تقدر كثافة الزجاج بحوالي " 1.5-3.5% " أو 2.5 كجم / م ^{2}	درجة الحرارة الفاصلة بين درجة حرارة الصلابة و السيولة دون حدوث تبلور . أي عندما يتحول الزجاج من حالة المصهور الى حالة المبرد و هي عند درجة حرارة " 450°c"	يتميز الزجاج بمقاومته للخدش بجسم آخر و تختلف هذه المقاومة تبعاً للتركيب الكيميائي فالزجاج الرصاصي أقل انواع الزجاج مقاومة للخدش أما زجاج السيليكا جبر صوديوم هو أكثر الانواع مقاومة للخدش و تقاس الصلادة بمقياس موه للصلاده	الزجاج مادة سهلة الكسر نظراً لطبيعة تركيبه الكيميائي فتواجد أية شروخ على سطحه و تحت أية ضغوط تتوغل الشروخ لداخل جسم الزجاج و تزداد متانته بزيادة نسبة السيليكا و الالمنيوم أما زيادة نسبة القلوي فتقلل من متانته . و تصل متانة الزجاج الصوديومي الى9 كجم / البوصة ^{2}	تظهر مرونة الزجاج في حالة المصهور فيسهل تشكيله أو سحبه أما في حالة تبريده فيتحول لمادة غير مرنة و هو يمتص الذبذبات الضعيفة .	الزجاج مادة شفافة منفذه للضوء " أشعة فوق بنفسيجية _ أشعة تحت الحمراء _ الضوء المرئي " و ذلك بسبب التركيب العشوائي لذرات الزجاج التي تساعد على مرور الضوء و تذبذبه في جميع الاتجاهات فالزجاج مادة متشابهة بصرياً نظراً (لفصيلة المكعب) التي تؤدي الى تساوي أطوال المحاور البلورية لذا تكون سرعة الضوء واحدة في جميع الاتجاهات .

جدول رقم " 1 "

2- من مظاهر تلف الأثار الزجاجية

2-1- ظاهرة التآكل السطحي

أسبابها	البيانات المستخرج منها الأثر و مؤثراتها عليه		
	الأثار المطمورة تحت سطح التربة	الأثار المغمورة تحت سطح الماء	الآثار المعرضة لتأثير العوامل الجوية الخارجية
1- الخلل في تسبب المكونات الاساسية للزجاج ، لذا يراعي ما يلي :. * لا تقل نسبة السيليكا " المكون الاساسي للزجاج " عن66%. * الا تزيد نسبة القلوي " خافض حرارة الانصهار " عن 24% . * لا تقل نسبة اكسيد الكالسيوم " عامل الثبات " عن "4%-3 " 2- التأثر بالمحاليل المائية الموجودة في بيئة الدفن " تربة أرضية _ تحت سطح الماء _ الجو العادي " . و ينتج عنها ما يعرف بميكانيكا تآكل الاسطح الزجاجية . و تعتبر الأثار المطمورة تحت سطح التربة هي أكثر الانواع تعرضاً لظاهرة التآكل السطحي . 3- عدم توازن المكونات الاساسية للزجاج .	تحدث عملية التآكل السطحي لهذه الأثار نتيجة لما يلي :. * التبادل الايوني الناتج من " تحرك أيونات الصوديوم الموجبة من الطبقات السطحية للزجاج ليحل محلها أيونات الهيدروجين الموجبة و الناتجة من تأيين الماء الى ايونات مجموعة الهيدروكسيل السالبة . * زيادة نسبة القلوي و الرطوبة النسبية . * نقص نسبة السيليكا و اكسيد الكالسيوم . * نوعية التربة " رملية _ طينية " " جافة _ رطبة " و التربة الرملية الجافة أكثر تناسباً من الطينة الرطبة في حفظ الأثار الزجاجية . * التركيب الكيميائي للتربة :. فالمحاليل القلوية هي أكثر الانواع تأثيراً على الأسطح الزجاجية فيزداد معدل التلف اذا زادت قيمة الاس الهيدروجيني[1] للمحلول المهاجم عن " 9 " فتتعرض الشيكة السيليكية للتحلل و يتفكك التركيب الكيميائي للزجاج و يتحلل الأثر كلياً و حدد " Pollord " 1996 أن :. - السيليكا المقاومة للمحاليل المتعادلة تكون عند " PH=7 " - تآكل الزجاج في المحاليل القلوية يكون عند " PH >7 " - الزجاج يقاوم الاحماض عند " PH <7 " فيما عدا حمض " HF " لان ايون الفلورين " F " يهاجم تركيب السيليكا مثل مجموعة الهيدروكسيل السالبة " OH " . 1 رمز الاس الهيدروجيني الدال على نسبة القلوية في المحلول.	تتعرض الأثار للتلف هنا بصورة أشد من المطمورة تحت سطح التربة خاصة الأثار المغمورة تحت سطح مياه البحر نظراً لما يلي :. - احتوائها على كلوريدات غنية بالقلويات المهاجمة لتركيب السيليكا . - حركة المياه تحدث تآكل ميكانيكي لأسطح الأثر " نحر " . - تحلل المواد البحرية يكون طبقة صلبة من كربونات الكالسيوم على سطح الزجاج. - فقد نسبة كبيرة من أكسيد الكالسيوم " المادة المثبتة " 41 % من كتلة الزجاج متسبباً في تحلل الزجاج و ذوبانه كلية .	العوامل الجوية من أقل المؤثرات السلبية على أسطح الأثار الزجاجية خاصة رطوبة الجو المرتفعة التي تفقد الزجاج بريقه و نقائه فقط .

2-2- مظاهرالتلف المصاحبة لظاهرة التآكل السطحي .

الاعتام و التنفير	الشروخ الدقيقة الناتجة عن الاجهاد	الزجاج الباكي	الطبقات البيضاء	التلف البيولوجي	التحجر	الفقاعات الهوائية	التبلور	التشميس
إن تكون طبقات نواتج التلف ذات اللون الابيض أو الاصفر أو البني المعروفة بالطبقات المتقرّحة يكون سبباً لتلاعب الالوان و تكون الحفر على السطح و بمرور الوقت تنمو حالات التلف و تؤدي الى تآكل الطبقات الحاملة لها تماماً	تنتج من الجفاف المفاجئ لطبقة الزجاج الهيدروجيني المتكونة على السطح بعد هجرة أيونات الصوديوم من الزجاج و نتيجة صغر أيونات الهيدروجين عن أيونات القلوي يحدث انكماش للسطح يزداد بجفاف هذه الطبقة نتيجة لفقدها الماء .	ينتج من تكون طبقة كربونات البوتاسيوم على الاسطح الزجاجية و لها القدرة على امتصاص الماء بشراهة من الجو مكونة قطرات على السطح الزجاجي .	تظهرعلى الاسطح الزجاجية في صورة بقع أو خطوط بيضاء تمتد للداخل و تنحر في جسم الآنية الزجاجية	نمو الكائنات على السطح الزجاجي يهاجم بعض العناصر المكونة للتركيب الكيميائي مثل " البوتاسيوم _ الكالسيوم _ المنجنيز _ الحديد _ الفسفور " فتتحرك و تهاجر من الاسطح الزجاجية بالاضافة لتغيير الاس الهيدروجيني و قد ترفعه الى اكثر من " 10 " فيصبح الوسط المحيط بالزجاج شديد القلوية مسببا تكون طبقات جيلاتينية لذجة و حفر و شروخ بيولوجية على الاسطح الزجاجية.	تتشابه مع ظاهرة الطبقات البيضاء المعتمة فتتكون على هيئة نقط متحجرة على السطح الداخلي للآنية	هي غازات و فقاعات هوائية محبوسة بين طبقات الزجاج الرقيقة المتكونة على جسم الآنية الزجاجية و تتهشم بتعرضها لأية طغوط تاركة خلفها حفر و ثقوب بالسطح و يرجع سبب هذه الظاهرة لزيادة نسبة السيليكا في التركيب الكيميائي للزجاج.	تنتج بتعرض الزجاج لمدة طويلة لعوامل التلف من ظروف البيئة المحيطة "كدرجات الحرارة والرطوبة" فتتحد المكونات الاساية للزجاج في صورة آطوار منفصلة و تحول الزجاج من حالة الشفافية الى النصف شفافية ثم الى الاعتام خاصة الزجاج المحتوي على نسبة عالية من القلوي	ان اضافة نسبة من أكسيد المنجنيز الثنائي كعامل مؤكسد للحديد الموجود بالمكونات الاساسية للزجاج على هيئة شوائب عالقة ينتج عنها تعادل لون أكسيد الحديديك مع لون أكسيد المنجنيز معطياً زجاج عديم اللون الذي عند تعرضه لأشعة الشمس يختزل اكسيد الحديديك الى اكسيد الحديدوز و يتأكسد اكسيد المنجنيز الثنائي الى اكسيد المنجنيز الثلاثي فيتكون الزجاج باللون البنفسجي على هيئة بقع على السطح .

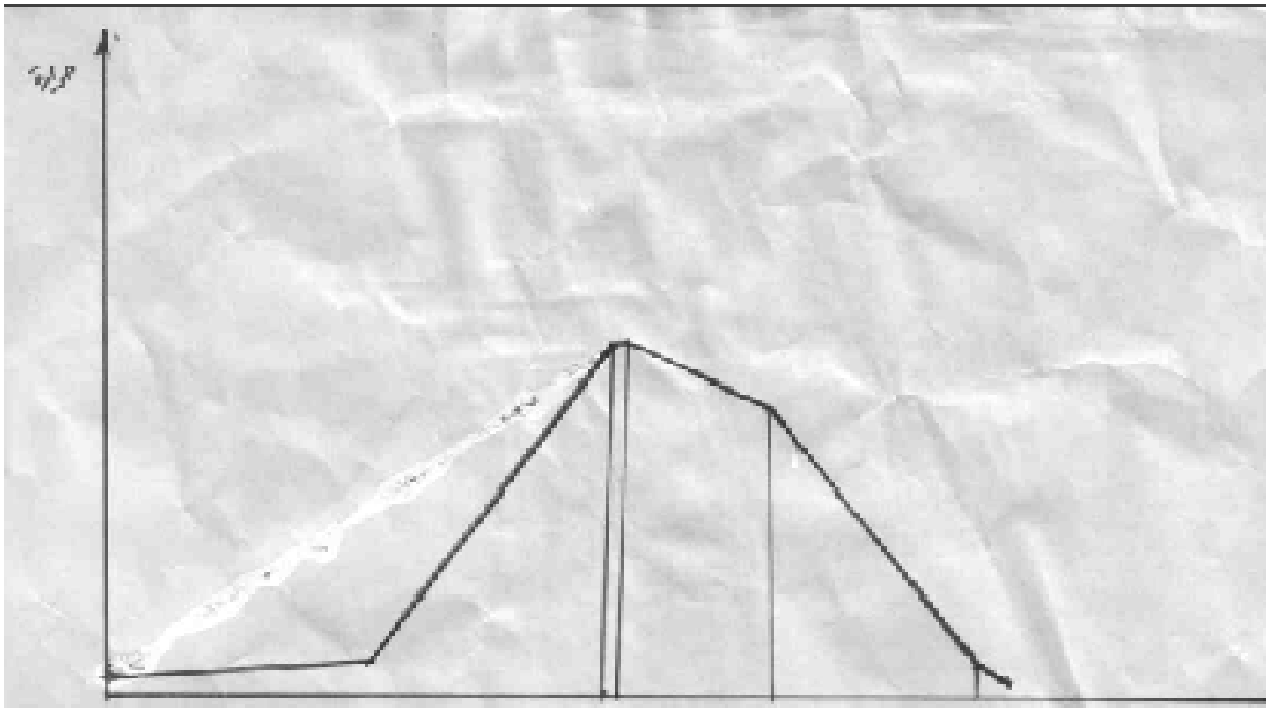

المنحنى الحراري الخاص بعملية
تثبيت الجزء البديل والذخولة

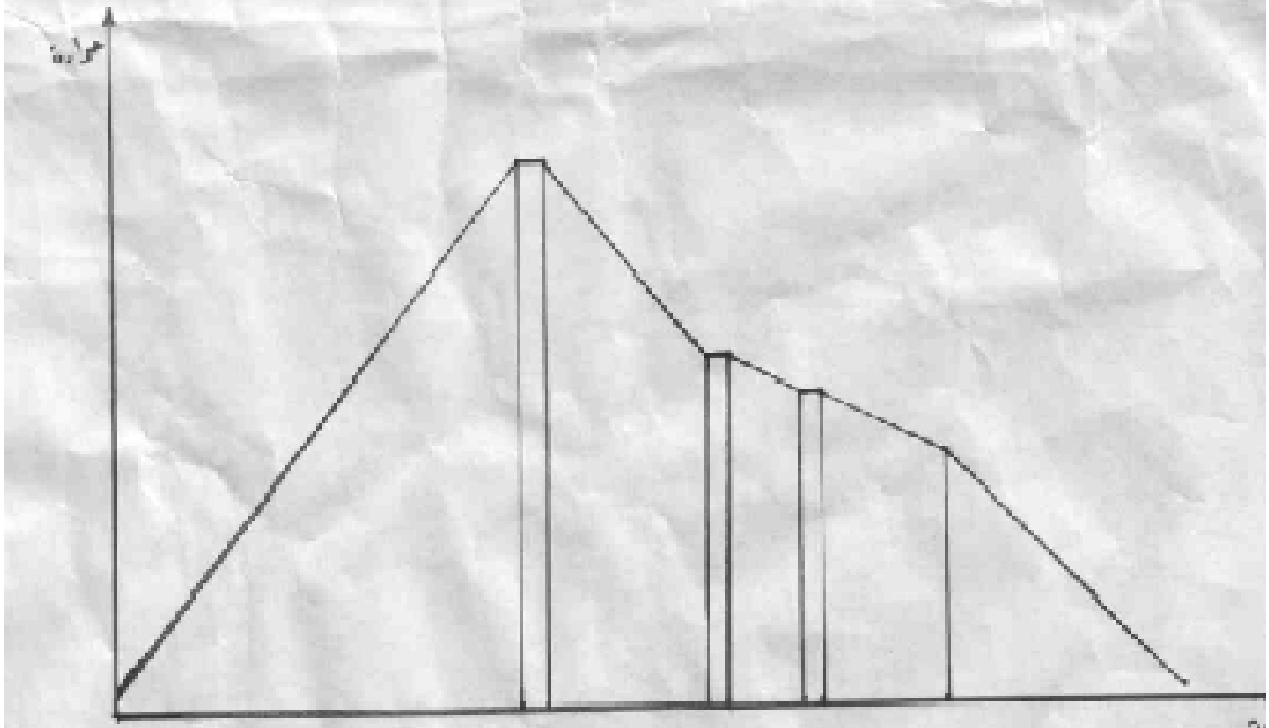

المنحنى الحراري الخاص بعملية
ما تتاح الجزء الداخلي البديل

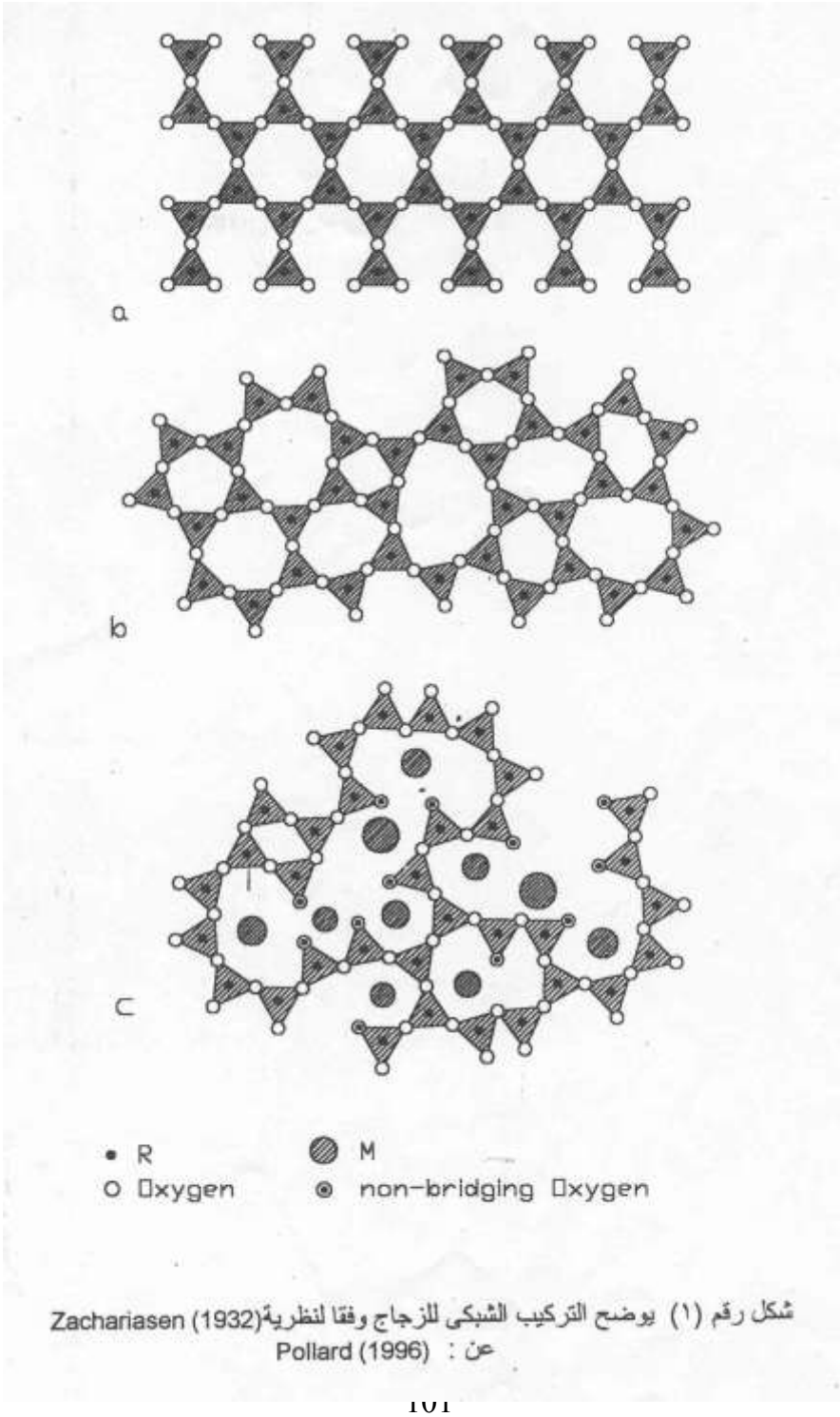

شكل رقم (١) يوضح التركيب الشبكى للزجاج وفقا لنظرية Zachariasen (1932)
عن : Pollard (1996)

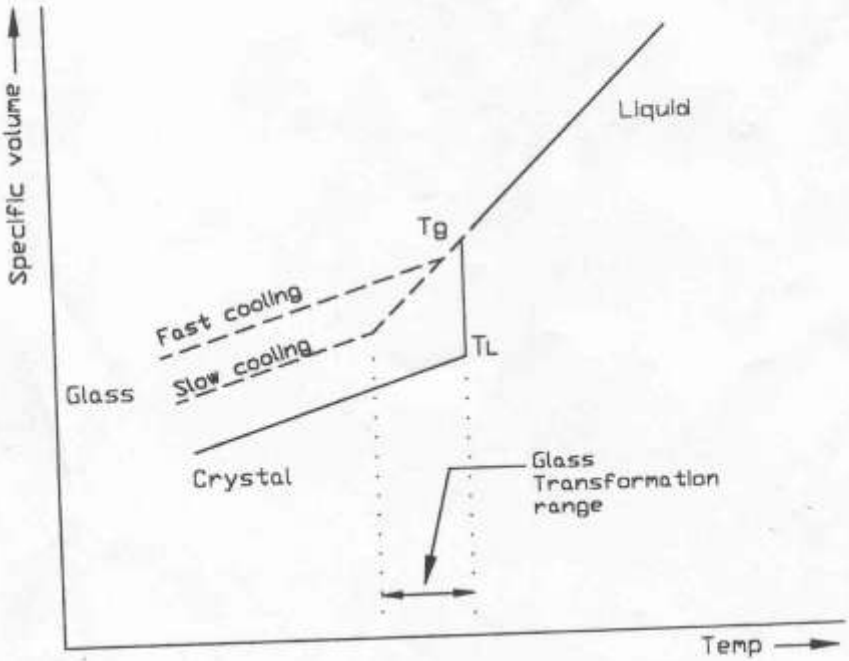

شكل رقم (٢) يوضح معدل التبريد للتحول من الحالة السائلة الى الحالة المتبلورة او الحالة المتزججة.

عن: Pollard (1996)

جدول رقم "٤" يوضح العلاقة بين اللون ونسبة الإجهاد

نسبة الإجهاد بالمللى ميكرون	اللون الناتج فى جهاز البولاريسكوب
٣٧٥	أصفر
٢٧٥	أصفر مخضر
٢٠٠	أخضر ← تغلغل بالشد للخارج
١٤٥	أزرق مخضر
١١٥	أزرق
صفر	بنفسجى
٢٥	أحمر
١٣٠	برتقالى
٢٠٠	أصفر لامع ← تضاغط بالشد للداخل
٢٨٠	أصفر
٣٠٠	أبيض

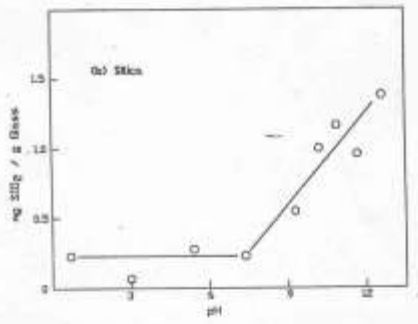

شكل رقم (٣) يوضح كمية السيليكا النازحة خارج جسم الزجاج نتيجة ارتفاع نسبة القلوية فى المحلول المهلهم
عن: Pollard (1996)

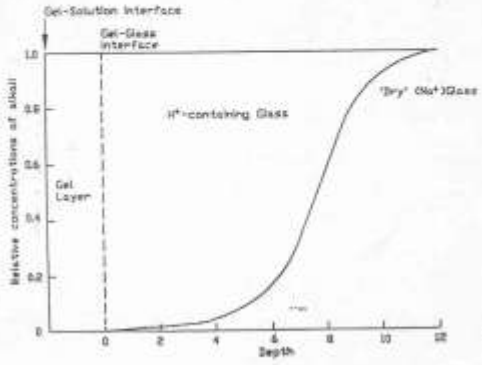

شكل رقم (٤) يوضح فقدان القلوى بالزجاج تدرجا من السطح الخارجى الى اللب الداخلى
عن: Pollard (1996)

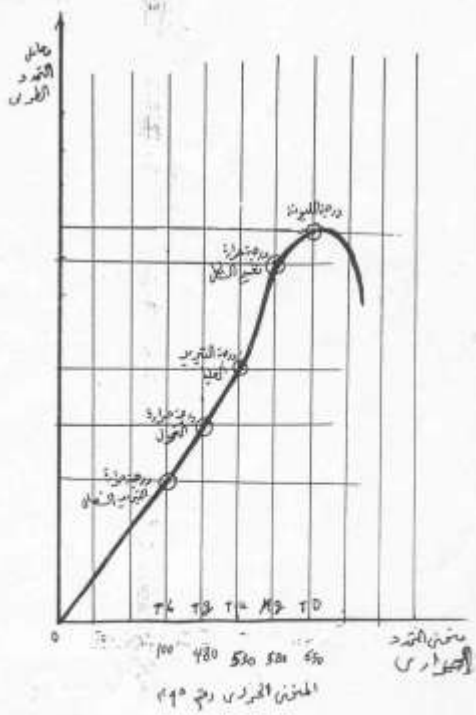

20

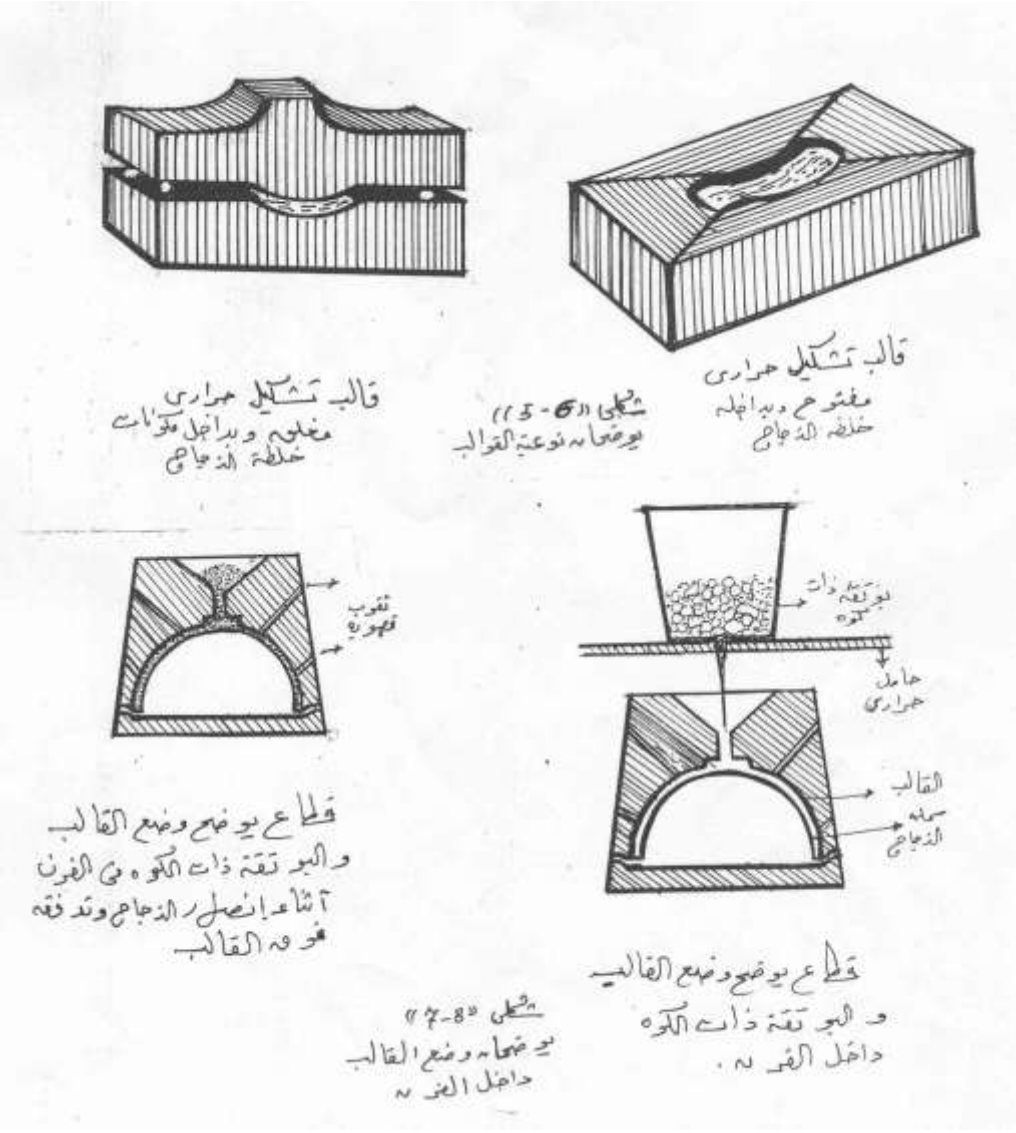
قالب تشكيل حراري
مفتوح وبداخله
خلطة الزجاج
شكل (5-6)
يوضح نوعية القوالب
قالب تشكيل حراري
مغلق وبداخل مكونات
خلطة الزجاج
ثقوب
تهوية
بوتقة ذات
الكوه
حامل
حراري
القالب
سمك
الزجاج
قطاع يوضح وضع القالب
والبوتقة ذات الكوه في الفرن
أثناء انصهار الزجاج وتدفقه
فوق القالب
قطاع يوضح وضع القالب
والبوتقة ذات الكوه
داخل الفرن .
شكل "8-7"
يوضح وضع القالب
داخل الفرن

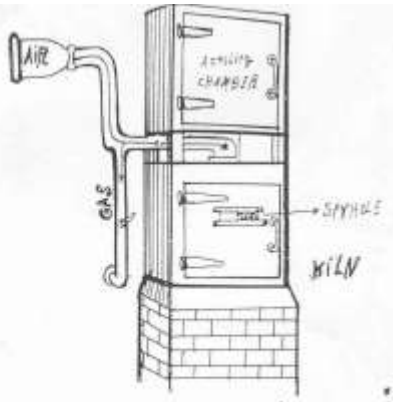

شكل "9"

فرن غازي مفتوح

شكل "10"

قطاع رأسي يوضح وضع الأكوام المحاطة بالصوان الذي يرص حول الزجاج

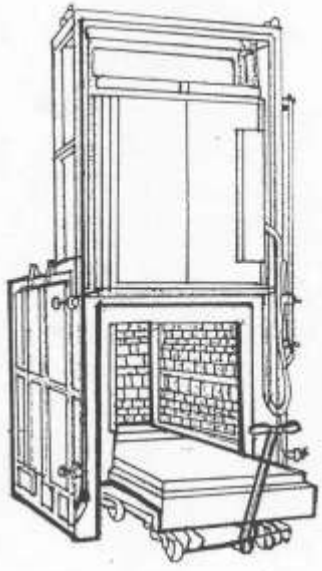

فرن كهربائي مفتوح
بعربة جرار

شكل "11"

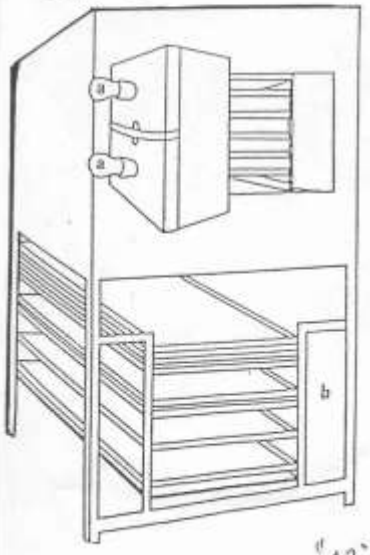

شكل "12"

فرن كهربائي مغلق

22

دراسة ميدانية لتأثير عاملي التلوث البصري والتلوث الجوي علي تمثال رمسيس الثاني بميدان باب الحديد بالقاهرة ..

د ./ محمد أحمد أحمد عوض•

المقدمة : Introduction

الأسرة التاسعة عشر والتي حكمت من (1320 – 1200 ق . م) وتشمل الفراعنة : رمسيس الأول – سيتي الأول – رمسيس الثاني (موضوع البحث) – مرنبتاح – أمنمسسى - سيتي الثاني – سي بتاح – تاوسرت ..

رمسيس الثاني : (1290 – 1223 ق . م) .. والذي لقب :-

(وسر ماعت رع ستب إن رع) رعمسسو الثاني مري أمون

وسمى أيضا : وسر ماعت رع – تيت رع ، وسر ماعت رع – حقاواست ، وسر ماعت رع –اوع رع ..

تولى السلطة مع أبيه الملك سيتي الأول وهو صغير السن ، وكان عمره لا يتعدى ست عشرة سنة . ويبدو أن رمسيس الثاني قد بدأ حكمه كشريك لأبيه سيتي الأول علي العرش ، وذلك لمدة تزيد عن ثلاث سنوات علي الأقل ، ويبدو أنه كان هناك نوع من تقسيم الأعباء والمسئولية ، فقد تولى الملك سيتي الأول الشئون الخارجية وعلي الأخص في أسيا بينما تولي رمسيس الثاني الشئون الداخلية بمصر .. ويعتبر تاريخ إرتقاء رمسيس الثاني ملك مصر هو 1290 ق . م .

لم يبلغ ملك من ملوك مصر ما بلغه رمسيس الثاني من الشهرة في التاريخ فقد استطاع هذا الملك الذي حكم مصر سبعة وستين عاما (67 عاما) أن يفرض أسمه وشخصيته علي عصره وعلي العصور التالية وملأ البلاد كلها خلال تلك الفترة بالعديد من المعابد والمنشآت التي خلدت اسمه بعد وفاة والده الملك سيتي الأول ، اضطر رمسيس الثاني في بداية عهده إلي تعين رئيس كهنة جديد للإله أمون وذلك بعد وفاة الكاهن (نب نثرو) الذي كان ينتمي إلي عائلة في طيبة ، وقد اختار رمسيس الثاني (نب ونن اف) أحد كهنة مدينة ثني بالقرب من أبيدوس ليكون رئيس كهنة الإله أمون في طيبة (مدينة الأقصر الحالية) . وتم تعينه بموافقة الإله أمون في عيد الاوبت الذي يحتفل به كل عام في معبد الأقصر تحت اشراف الملك الحاكم ..(1)

نقل رمسيس الثاني العاصمة إلي بلدة في شمال الدلتا أطلق عليها (بر رع مس سو) أي دار رمسيس ، ويعتقد البعض أنه أقامها علي أنقاض عاصمة الهكسوس أفاريس (12 ميلا جنوب تانيس) ويرى البعض الأخر من العلماء والمتخصصين أن مدينة تانيس

• د. محمد أحمد أحمد عوض ـ أستاذ الترميم المعماري المساعد ـ قسم ترميم الآثار – كلية الآداب سوهاج – جامعة جنوب الوادي.

عاصمة الأسرة الحادية والعشرين هي التي قامت علي أنقاض مدينة (بر رعمسسو) وهي الأن مدينة صان الحجر شمال شرق الدلتا .

أهم الأعمال التي خلدت ذكراه عبر التاريخ :

لقد كان رمسيس الثاني أكثر الفراعنة آثارا في جميع نواحي المملكة وأكثرهم حبا للعظمة والفخامة ، فلا تكاد توجد منطقة أثرية في مصر لم يرد فيها اسمه . فقد خلد رمسيس الثاني نفسه بما أقامه من معابد ومقاصير وتماثيل ولوحات عظيمة في أنحاء مصر المختلفة نذكر منها ما يلي :

1 – بدأ الملك رمسيس الثاني حياته بالقتال وتطهير البلاد من الشردانا في الشمال من الدلتا (وهم أحد شعوب البحر) وغربا من الليبيين وذلك بعد أن أقام رمسيس الثاني هناك قلعة لتأمين حدود مصر الغربية .

2 – في العام الخامس من حكمه قام رمسيس الثاني بمحاربة ملك الحيثيين ومن معه والانتصار عليهم في معركة (قادش) الشهيرة والتي أمر رمسيس الثاني بتسجيلها بحجم كبير علي واجهات وجدران أكثر المعابد التي شيدت في عهدة .

- فنرى أحداثها مسجلة بالنص والصور علي صرح معبد الأقصر ،وذلك عندما أمر رمسيس الثاني مهندسه (باك – ان – خنسو) باضافة الفناء الكبير المفتوح ذي الأساطين واقامة صرح ضخم وستة تماثيل للفرعون ومسلتين أمامه مسجل عليهما اسم والقاب الملك رمسيس الثاني بالخط الهيروغليفية ..

– وسجل انتصاره في معركة قادش علي جدران معابد الكرنك ،بعد أن قام بتكملته لبهو الأساطين الضخم بمعابد الكرنك.

- معبده بأبيدوس سجل أيضا انتصاره في معركة قادش ..

- معبد تخليد ذكراه المعروف باسم الرمسيوم بالبر الغربي بطيبة ،

- وسجلت المعركة علي جدران معبده الكبير والضخم والذي كان منقورا في الصخر والمعروف باسم (أبو سنبل) الكبير الذي كرسه لعبادة كل من (أمون – ورع – وبتاح والملك رمسيس الثاني نفسه)

- ومعبد أبو سنبل الصغير والذي كرسه لعبادة الإله (حتحور وزوجته الملكة نفرتاري)

- معبده بوادي السبوع بالنوبة والذي توضح المناظر المرسومة والمدونة علي الجدران أن ذرية رمسيس الثاني تزيد عن المائة ، ويرجع ذلك لكثرة زوجاته سواء الشرعيات أو الثانويات ..

- معبد بتاح الكبير بميت رهينة والمشيد بحجر الجرانيت ، وقد عثر علي مجموعة لرمسيس الثاني وبتاح بالقرب من الصرح الكبير للمعبد والمحفوظة الأن (بمتحف كوبنهاجن) ..

– معبد رمسيس الثاني بإخميم بسوهاج (مريت أمون) والمشيد علي مساحة 24 فدنا تقريبا وهي مساحة تقرب من مساحة معبد الكرنك . وتحاول الجهات المعنية والتي

يهمها الأمر الأن من رفع التعديات والمقابر الحديثة لاستكمال اكتشاف أجزاء المعبد المعمارية والفنية ..

حفر رمسيس الثاني مقبرته في وادي الملوك بالأقصر ، وإن لم يعثر بداخلها علي موميائه التي وجدت في خبيئة الدير البحري ، والمحفوظة الآن بقاعة المومياوات بالمتحف المصري بالقاهرة . أما زوجته الملكة نفرتاري (جميلة الجميلات) فقد دفنت في مقبرتها الشهيرة بوادي الملكات بطيبة الغربية (البر الغربي بالأقصر) ..

ميت رهينة :

كانت منف عاصمة الاقليم الأول من أقاليم مصر السفلى وطبقا لما أوردة (هيرودوت) فقد أسسها الملك مينا ، وقد ظلت عاصمة لمصر منذ الأسرة الثالثة وحتى الأسرة الثامنة ، وعلي أطلالها كانت ميت رهينة الحالية والتي تقع جنوب القاهرة ..

في الدولة الحديثة بقيت لمنف أهميتها السياسية والعسكرية والدينية كعاصمة ثانية للبلاد ، ومن فترة الرعامسة (الأسرة التاسعة عشر) استقر بها رمسيس الثاني قبل انتقاله إلي برعمسيس وأحتفل فيها بالعيد الثلاثين ، وكان لابنه (حعمواس) الفضل في ترميمات عديدة بالمنطقة ..

تمثال رمسيس الثاني موضوع البحث :

نقل هذا التمثال الضخم من منطقة ميت رهينة حيث يرقد تمثال أخر يماثله في متحف ميت رهينة وكما هو واضح بالصور الآن .. وقد تم نقل هذا التمثال عام 1964م إلي ميدان باب الحديد بدلا من تمثال نهضة مصر للمثال المعاصر محمود مختار ، الذي نقل إلي ميدان جامعة القاهرة ليواجه قبة الجامعة بجوار باب حديقة الحيوان الآن ..

تمثال نهضة مصر :

كان من المقرر أن تكون مادة بناء وتشكيل التمثال هي البرنز وكما أقرته لجنة التمثال برئاسة دولة رشدي باشا ، ولكن رأي محمود مختار أن ينحت التمثال من صخر الجرانيت وهو الصخر الذي أقام منة المصريين القدماء أثارهم وقد أيده البعض في ذلك علي الرغم من انصراف اليونان والرومان عنه لشدة صلابته وصلادته ..

وعلي هذا القرار بداء مختار في العمل بعد أن تجمع المطلوب وقدره 6500 جنية مصري . ثم تتابعت مساهمة الحكومة المصرية فخصصت مصلحة السكة الحديد نقل الكتل الحجرية من محاجر الجرانيت من أسوان ، وخصصت وزارة ثروت باشا مبلغ 3000 جنية مصري لنفقات إقامة التمثال ، وفي 20 من مايو عام 1928 م ازيح الستار عن تمثال نهضة مصر في ميدان باب الحديد في احتفال توجه الملك ورئيس الوزارة ..

ولقد نقل تمثال رمسيس الثاني بقرار من حكومة ثورة 23يوليو 1952م للدلالة علي عظمة مصر وليقف التمثال رشيقا شامخا عظيما ، يشاهده كل من أتى إلي مصر ..

وقد تغير أسم الميدان من ميدان باب الحديد إلي ميدان رمسيس 1964.. وأثناء نقل التمثال تم عمل التجهيزات والاستعدادات المطلوبة لنقل هذا التمثال الضخم ثقيل الوزن والذي يبلغ وزنه (200طن تقريبا) من تقوية وتدعيم للكباري التي سوف يمر من عليها

أثناء رحلته من موقعة بميت رهينة إلي موقعة الجديد بميدان باب الحديد – والمحافظة علية من التلف أو التهشم والكسر أثناء هذه الرحلة الطويلة ، ومن المعروف أن هذا التمثال لا يمكن أن ينقل علي أجزاء مثل ما تم لتمثال نهضة مصر الذي تم فكه إلي أجزاءه السبعة ، وبعد إتمام نقلة إلي موقعه الجديد بشارع جامعة القاهرة و أمام كوبري الجامعة تم إعادة تركيبة مرة ثانية علي منصة الجديدة .

الإنشاء والتثبيت لكتلة التمثال :

تمثال رمسيس الثاني يبلغ ارتفاعه حوالي 15مترا الذي تم عمل التجهيزات الإنشائية المطلوبة ، فقد تم تغير التربة التحتية الطينية بلبشة خرسانية . Concrete مسلحة (20 × 100 م2) وعمق 3م . يعلوها في الجزء الشمالي منصة من الخرسانة المسلحة مساحتها (5 × 10 م 2) تم وضع التمثال علي منصة من الخرسانة المسلحة علي هيئة مكعب (2×2×2متر مكعب) مغلفة ببلاطات من حجر الجرانيت الأحمر الوردي . وتقدر قدرة تحمل . Bearing Capacityالخرسانة المسلحة للإجهادات من (150 – 500 كجم / سم2) ، ويقدر أقصى هبوط كلي لهذه اللبشة الخرسانية (150 مم) . وقد نفذ اسلوب الإنشاء للتمثال بالإسلوب الذي حفظ له اتزانه وهو الاتزان الذي يحدث عندما تكون قدرة حمل التربة التحتية تساوي أو أكبر من وزن الحمل الواقع علي المساحة (المساحة تتناسب تناسبا عكسيا مع الحمل الواقع عليها والمتمثل في الحمل + الجاذبية الأرضية ...Load + Force of gravity)

جدول (1) يوضح مكونات الخلطات الخرسانية واجهادات الكسر للأحمال الثقيلة .(نقلا عن المقاولون العرب قسم الكباري) .

كمية الأسمنت في المتر المكعب	نسبة مكونات الخلط بالوزن				اجهاد الكسر بعد 7 أيام	أجهاد الكسر بعد 28يوما
	أسمنت	رمل	زلط	مياه		
400	400	680	1300	200	300-250	400-350

وتتقدم وضع التمثال فسقية في الجزء الجنوبي (نافورة مياه ضخمة البنيان ذات قوة دفع قوي للمياه) ، وذلك لتلطيف الجو في الميدان أثناء الظهيرة في فصل الصيف والربيع ، بالإضافة إلي الإضاءة وانعكاسها علي صفحة مياه الفسقية (البركة) في ليل القاهرة الجميل ، وبحيث يواجه التمثال اتجاه الجنوب ليطل علي مصر وحضارتها ..

ولقد أصبح تمثال رمسيس الثاني بميدان رمسيس مزار ا للشارد والوارد من أهالي المعمورة ،وكذلك مزار هام للسياحة الخارجية من الأجانب .حيث كان يتوسط مساحة الميدان الضخمة والخالية تماما من التعديات والإشغالات المختلفة ، وبالإضافة إلي خلو الموقع من الكثافة الضخمة لحركة المرور ، والمباني شاهقة الارتفاع ذات الأنشطة المختلفة أيضا ..

مادة تشكيل التمثال :

Granites rock صخر الجرانيت :

وهو من الصخور النارية التحت سطحية (المتوسطة) Hypabyssal rocksأو الجوفية. Plutonic rocks الحمضية Acid rocks والتي تحتوي علي نسبة عالية من السيليكا تبلغ من 65 % : 80 % . أما نسبة الحديد والمغنسيوم فقليلة ، وبذلك فلون هذه الصخور تكون فاتحة اللون .

التركيب المعدني للصخور النارية : .Mineralogical Composition

تتبلور بعض المعادن من المجما عندما تبرد وتصل إلي درجة فوق التشبع بالنسبة لهذه المعادن .

وتنقسم المعادن الهامة المكونة للصخور النارية إلي قسمين وهما :

معادن أساسية :والتي توجد بكميات كبيرة ، والتي يتوقف عليها خواص الصخر واسمه وهي :

الفلسبارات – البيروكسينات – الأمفيبولات – الميكا –الفلسباثويدات (لوسيت Leucite K AL Si2 O6 ، نيفيلين Nepheline Na AL Si O4) والأوليفين – الكوارتز..

أما المعادن الثانوية فتشمل علي : وتتواجد بكميات صغيرة ولذلك لا تؤثر كثيرا علي خواص الصخر ومنها : الماجنتيت – الألمينيت – البيريت – الأباتيت – الزرقون – الروتيل – سفين Sphene Ca Ti Si O5 وتترسب المعادن الغنية بالسليكا إلي جانب وجود الكوارتز عند درجات حرارة تتراوح بين 600 : 900 درجة مئوية تقريبا ..

اللون Color : يرجع اللون واختلافه إلي التركيب الكيميائي والمعدني للصخر ، وللذلك تستعمل هذه الخاصية في التفرقة بين نوع صخر وأخر من الصخور النارية : صخور فاتحة اللون (حمضية) صخور متوسطة اللون (اللون متوسط أو فرعي) صخور قاتمة اللون (قاعدية) لاتحتوي علي كوارتز نهائيا ...

ومن جدول (2) يوضح أهم وأشهر المعادن التي توجد في الصخور النارية بصفة عامة :

Common Minerals in Igneous Rocks .TABLE.2

Mineral Group	Examples Important Mineral	Chemical Formula
Olivine	Olivine	(Mg Fe) SiO4
Pyroxene	Diopside	(Ca Mg) Si2 O6
Amphibole	Hornblende	(K Na)4 (K Ca Na)3 (Si Al)8 O22 (OH)2
Micas	Biotite	K (Mg Fe)4 (Al Si4 O10)(OH)8
	Muscovite	K Al2 (Al SI3 O10) (OH)2
Feldspar	Orthoclase	K Al Si3 O8
	Microcline	K Al Si3 O8
	Sanidine	K Al Si3 O8
	Plagioclase	(Ca Na) (Al Si)4 O8
Feldspathoid	Leucite	K Al Si2 O6
Silica	Quartz	SiO2
Oxides	Magnetite , ilmenite ,rutile .	Fe3O4 , FeTiO3,TiO2.
Sulfides	Pyrite ,Pyrthotite .	FeS2 , Fe4S8

ولقد نحت و شكل التمثال من صخر الجرانيت ذات البلورات والحبيبات الدقيقة Fine grained و النسيج الخشن . Coarce texture (حبيباته خشنة منظمة) والتكوين المتجانس والصلادة العالية ،وذات اللون الأحمر الوردي الفاتح .الوزن النوعي 2,65 – المعادن الأساسية كوارتز –أرثوكليز – ميكروكلين – بلاجيوكليز – ميكا . ونسبة السيليكا(ثاني أكسيد السيليكون SiO2) أكبر من 65% ..

عوامل تلف التمثال موضوع البحث :

منذ قيام ثورة 23 يوليو 1952م ووضعت ضمن أهدافها مساندة الشعوب للتحرر من الإستعمار في كل مكان . فساعدت الثورة في العراق ، والثورة في الجزائر ، والثورة في اليمن ، والدول في أفريقيا كانت من الدول المؤسسة لدول عدم الإنحياز وغير ذلك ، مما جعل الدول الاستعمارية تخطط للنيل من الثورة المصرية ، ووقف تقدمها . وكان من نتيجة ذلك العدوان الثلاثي علي مصر ، ثم نكسة الخامس من يونية عام 1967م ، وأستمرت مصر في بناء وتجهيز قواتها المسلحة بأحدث الأسلحة والتكنولوجيا الحديثة وقهر اسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر ، ووجهت نسبة كبيرة من اقتصادها نحو التسليح والتخلص من النكسة وتحرير كل شبر من أرض مصر .ثم استطاع الجيش والشعب المصري التخلص من هذا الذل بالنصر في العاشر من رمضان (6 أكتوبر 1973م) وكان فتحة أنتصار وخير ووجدت انه لا بد من الأهتمام بالبنية الأساسية والاهتمام بالجبة الداخلية مع الجبة الخارجية .

ونتيجة للزيادة الكبيرة لتعداد السكان في مصر بصفة عامة والقاهرة بصفة خاصة وما يتبعها من تزايد في الكثافة الكبيرة لحركة المرور من نقل ثقيل ونقل خفيف ، وربط حركة المرور بين محافظات مدينة القاهرة الكبرى (محافظة القليوبية – محافظة القاهرة – محافظة الجيزة .) بواسطة مجموعة من الكباري الخرسانية المعلقة والأنفاق وغيرها ..

وفي وسط هذا الزحام يضيع تمثال رمسيس الثاني في وسط ميدان رمسيس بالقاهرة ، ويفقد أهميته وعلوه وسموه وإجلاله ، بعد أن طوق وقيد وسجن بين أضلاع كوبري المشاة المعدني من جهة وبين منازل ومصاعد كوبري 6 أكتوبر المعلق ، وطوابق كوبري مهمشه الخرساني أيضا من جهة ثالثة .. ويضاف إلي ما تقدم ظهور تمثال رمسيس العملاق في هيئة قزم ضئيل الحجم ضعيف بمجاورته و بمقارنته بمئذنة جامع الفتح الحديث ، وبعد أن كان عملاقا في فترة وضعة في وسط الميدان في الماضي ..

لقد فقد التمثال أهميته وموقعه وبعد أن تكدس وزاد الزحام بالمارة طالبي الرزق والعمل والزيارة ، وحركة المرور بالسيارات الأجرة والسرفيس والملاكي ، بالإضافة إلي مترو الأنفاق ، والقطارات وغير ذلك ..

لقد مليئة وتكدست المساحات الشاسعة والكبيرة التي كانت تحيط بموقع التمثال في وسط ميدان باب الحديد بالاشغالات ، والتعديات المختلفة التي ملأت الموقع بالضجيج ..

- **تأثير عامل الرياح :**

تهب علي مصر والقاهرة رياح شمالية ، ورياح شمالية شرقية، ورياح غربية خمسينية .

النوع الأول : الرياح الشمالية والشمالية الشرقية :

تكون رطبة أو محملة بالأمطار قادمة من أوربا وشمال أسيا ، وتمر علي كل من جبل عتاقة بالسويس وجبل المقطم فتحمل معها كميات كبيرة من حبيبات وجسيمات من معادن الطفلة والكالسيت وبعض أكاسيد الحديد والأتربة الأخرى ، كما يتوقف أيضا ضررها علي إتجاهها ، وسرعتها ، وكميتها وحجم الجسيمات التي تحملها وتنقلها ، وإذا كانت حجم الجسيمات تتراوح بين 250 ميكرون فأكثر كانت الرياح ذات تأثير ميكانيكي وكيميائي خطير ، أما إذا كان حجم الجسيمات أقل من ذلك وحتى أربعة ميكرون (256/1 مليمتر)كانت ذات تأثير كيميائي فقط ،

والنوع الثاني من الرياح :

وهي الرياح الغربية الخماسينية الجافة والتي تأتي من الصحراء الليبية مارة بالصحراء الغربية بمصر والتي تكون محملة وناقلة لحبيبات ومعادن الطفلة و السيلكا والكوارتز ذات الأحجام الكبيرة والتي تتراوح بين 250 : 300 ميكرون ، والتي يكون تأثيرها ميكانيكي متلف ومدمر .

- أرتفاع نسبة التلوث الجوي : حول التمثال الناتج من تأثير ثاني أكسيد الكبريت وبخار الماء وثاني أكسيد الكربون Carbon dioxide CO2وأول أكسيد الكربون Carbon dioxide CO، وغاز كبريتيد الهيدروجين Hydrogen Sulfide H2O . وذرات الكربون Carbon C . والرصاص Pbوالمواد الدهنية والأتربة وغيرها .. من نواتج المصانع بمناطق شبرا الخيمة (محطة توليد الكهرباء الحرارية – مصانع الكاوتشوك –مصانع الزجاج والبلور والكريستال عصفور – مصانع الصباغة والتجهيز – مصانع النسيج القطن والصوف وولتكس وغيرها) والتبين وحلوان (مصانع الحديد والصلب – مصانع الأسمنت والجبس – قمائن الطوب وغيرها) . وعواديم السيارات ، والقطارات ، وتنفس الأنسان ، والسحب السوداء (الكربون النشط) نواتج حريق قش الأرز ..وجميعا تنتقل عوادمها الثقيلة والخفيفة حسب سرعة الرياح وكثافتها واتجاهها إلي منطقة التمثال بميدان باب الحديد سابقا (ميدان رمسيس أو محطة مبارك للمترو حاليا .)
-
- ثاني أكسيد الكبريت SO2 Sulphur dioxideومع بخار الماء H2O يكون حامض الكبريتوز Sulphuran a cide أو حامض الكبريتيك في وجود أكاسيد الحديد كعامل مساعد (الهيماتيت Fe2O3) . أو الكربون كعامل مساعد أيضا .
- $SO2 + H2O$ ---------- $H2SO3$
- $SO3 + H2O$ ---------- $H2SO4$
- ومن أضرار هذا الغاز علي الصخور النارية أو المتحولة في وجود عنصر الكربون كعامل مساعد يكون القشرة السوداء . Black crust ويزيل بريق المعادن المكونة للصخر ..
- أو في وجود معدن الكالسيت يكون كبريتات الكالسيوم المائية (الجبس) علي سطح التمثال
- $H2SO4. + CaCO3$ ---------- $CaSO4 . 2H2O + CO2$
- وثاني أكسيد الكربون في وجود بخار الماء يتكون حامض الكربونيك
- $C + O2$ ----------$CO2$
- $CO2 + H2O$ ----------$H2CO3$

- **الهزات الأرضية :**

الناتجة من حركة النقل الثقيل أثناء مروره بجوار موقع التمثال ، وهذه الهزات تعادل في قوتها وقدرتها المتلفة قدرة أتلاف وتدمير توابع الزلازل المتوسطة .. وهذا واضح علي سطح التمثال

تلوث الهواء بالمطر الحمضي . Acidic rain

هو أحد ملوثات الهواء الثانوية الخطرة ، وينتج بسبب تلوث الهواء بملوثات أولية مثل أكاسيد الكبريت والنتروجين والكربون وجسيمات المبيدات الحشرية ، ولا تعرف بالضبط الميكانيكية التي يتكون بها المطر الحمضي إلا أنه يعتقد أن الرذاذات الحمضية تتكون بسبب تفاعل بعض ملوثات الهواء الأولية مع قطرات بخار الماء التي لا تلبث أن تتساقط علي المسطحات المائية والتربة والأثار والمباني الآثرية والتاريخية والممتلكات الاقتصادية ملحقة بها أشد الأذى .

ويعتبر المطر حمضيا إذا أصبحت درجة حموضته دون الأس الهيدروجيني 5,6 .

ومن المعادلة التالية يتضح تكون الرذاذات الحمضية :

(والتفاعلات التي تتم كيميائية في وجود أشعة الشمس والأوزون) .

$$H_2O + \begin{matrix} SO_2 \\ NO \\ HCl \\ YPO_4 \end{matrix} \xrightarrow{HCO_3} CO + \begin{matrix} H_2SO_4 \\ HNO_3 \\ HCl \\ H_3PO_4 \end{matrix}$$

وتعتبر المناطق الصناعية التي ترتفع بها درجة الرطوبة من أكثر المناطق عرضة للتلوث بالأمطار الحمضية وكذلك في المناطق والميادين التي تكثر فيها الحركة المرورية من نقل ثقيل وخفيف وغير ذلك مما يؤثر بطريقة مباشرة علي المقتنيات الفنية والآثرية والتاريخية بالموقع ..

مظاهر التلف علي جسم التمثال :

- ظهور القشرة السوداء Black Crustعلي سطح التمثال .
- تأثير عامل التجوية علي الجزء الأسفل من القدم اليسرى ، وقمة التمثال وأجزاء كثيرة أخرى بجسم التمثال والمتمثلة في النحر والتغير في شكل وحجم وانتظام البلورات المعدنية مع فقد البريق المعدني الذي كان يميز بدن التمثال وكما هو الحال في التمثال الضخم لرمسيس والمحفوظ في متحف ميت رهينة .
- ضياع وفقد قيمة التمثال وسط هذا الزحام والضجيج والحركة التي لا تتوقف ..
- ظهور بلورات الجبس (كبريتات الكالسيوم المائية) والغير مائية (طور الأنهيدريت) . $CaSO_4 .2H_2O$ & $CaSO_4$والتي غطت وملأت الثقوب وأماكن النحر الناتج من عوامل التجوية . The Weathering products of igneous rocks. والناتجة من تأثير بعض نشاط بكتريا الكبريت ، والبعض الأخر ناتج من تفاعل غاز ثاني وثالث أكسيد الكبريت في الهواء الجوي وبخار الماء أو الأمطار ، وكما هو واضح سابقا .
- **الدراسة والتحليل للعينات :**

اجريت دراسات أخرى داخل المعامل لبعض العينات . داخل معامل دراسة قدرات وخواص المواد باستخدام الأجهزة التي تعمل هيدروليكية (معامل الضغط ، ومعامل

الكسر ، ومعامل الشد) كما تم تعين كل من خواص المسامية والكثافة ودرجة الامتصاص للماء كما تمت دراسة بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح Scanning Electron Microscope Study . ، وحيود الأشعة السينية X-Ray Diffraction Study . لدراسة خواص المعادن والتركيب الكيميائي لكل مركب بالعينة ، ومعرفة المعادن والأملاح التي تظهر كعامل من عوامل التلف كنتيجة لعوامل التجوية وقد توصلنا إلي النتائج التالية :

أولا : دراسة الخواص الفيزيائية والميكانيكية لعينة الجرانيت :

جدول (3) يوضح نتائج الدراسة للخواص الميكانيكية والطبيعية للجرانيت .

نوع الصخر	الامتصاص للماء %	الكثافة	مقاومة الضغط كجم/سم2	مقاومة الكسر كجم /سم2	التمدد الحراري
جرانيت	0,40	180	280,3	140,8	7,4

ومن نتائج الدراسة للخواص الميكانيكية أخذت نواتج الكسر والتفتيت لاستكمال الدراسات باستخدام حيود الأشعة السينية ، والميكروسكوب الإلكتروني الماسح :

ثانيا : الدراسة باستخدام حيود الأشعة السينية . X-Ray Diffraction analysis

تم استخدام جهاز الديفراكتوميتر . Diffractometer لدراسة العينة التي وجدت من التمثال والناتجة من عوامل التجوية وذلك للتعرف علي أهم المعادن والمركبات وتأثير عوامل التلف علي صخر التمثال ، ثم جهزت العينة داخل المعمل وكانت ظروف تشغيل الجهاز كالتالي :

أشعة الفا للنحاس Cu K مرشح نيكل 40Ni filter كيلو فولت ، 20 مللي أمبير .

جدول (3) يوضح نتائج التحليل لعينة جرانيت ويظهر بها أحد الترسيبات من معدن الأنهيدريت ويعتبر من عوامل التلف المنقولة بواسطة الرياح نتيجة التفاعل مع غاز ثاني أكسيد الكبريت وثالث أكسيد الكبريت..

الأسم	المجموعة	الصيغة الكيميائية	رقم الكارت
Albite	Felspars	Na Al Si3 O8	9-466
Orthoclase	Felspars	(K ,Na) Al Si3 O8	9-462

Biotite	Micas	(OH)2K(Mg,Fe)3Al Si3 O10 الميكا السوداء (سيليكات الحديد والألومنيوم والماغنسيوم المائية .)	2-0045
Quartz	Silica	SiO2	5-0490
Anhydrite .		CaSO4	6-0226

أخذت نواتج الدراسة للخواص الميكانيكية والكسر من فتات حجر الجرانيت ، وتم تجهيز العينة بتجفيفها داخل فرن درجة حرارة 60 درجة مئوية لمدة 12 ساعة . ثم أخذت العينة لعمل غطاء من الذهب . Golden Coat ، تم وضع العينة بعد تجهيزها داخل جهاز الميكروسكوب الإلكتروني الماسح ، وقد ظهرت نواتج الفحص والتصوير والمتمثلة في الصور الملحقة بالبحث . بقوى تكبير مختلفة لتحديد نواتج عوامل التلف المختلفة سابقة الذكر .. .

نتائج الفحص والدراسة :

أولا : التلف البصري الناتج من الدراسة الميدانية للموقع والمناطق المحيطة :-

1 – فقد التمثال أهميته ومصداقيته وشموخه لموقعة الكئيب بعد أن أ صبح في وسط غابة من الخرسانات المسلحة والمعدنية والمتمثلة في المنشآت الحديثة ، والكباري المعلقة والأنفاق .

2 – ضيق مساحة الميدان ، مع زيادة حركة المرور . مما أضطر المسئولين إلي إزالة البركة التي أمام التمثال لسهولة حركة المرور داخل الميدان والتي كانت تضيف لمسة جمالية للموقع ..

3 – ظهور نتائج حقن التمثال في الماضي من قبل هيئة الآثار المصرية بأحد البوليمرات الصناعية (الإيبوكسي) والتي كان معامل الشد به قوي . مما أثر علي سطح التمثال وعلي بلورات المعادن التي تدخل في تكوين الصخر الأم .مع فقد أحد خواص الصخر البصرية والمتمثلة في الثقل والبريق .

ثانيا التلف الجوي :

من نتائج التحليل والدراسة :

1 - فقد تجانس وتماسك مكونات الصخر داخل نسيج الصخر من معادن أساسية ومعادن ثانوية نتيجة لتأثير عوامل التجوية والنشاط الكيميائي للتلوث الجوي .

2 – ظهور معدن الكالسيت CaCO3 ومعدن الآنهيدرايت CaSO4كنواتج تأثير عوامل التلوث الجوي من غازات خفيفة وثقيلة وارتفاع نسبتها داخل موقع الميدان ، بالإضافة إلي حركة الرياح ونقلها للأتربة والمعادن والأبخرة من المناطق الصناعية والجبال المحيطة بموقع التمثال

3 – ظهور بقع دهنية عضوية علي سطح التمثال في أماكن متفرقة من السطح ذات تأثير تلف عضوي ، تسببت في تشويه السطح وتلفه .

4 – تأثير عوامل التلوث الجوي من أحماض (الكبريتيك ، والكربونيك ، والنتريك وغيرها) وتأثيرها الواضح علي سطح مكونات الصخر الأم ..

التوصيات :

مما تقدم يتضح للمحافظة علي هذا التمثال يرى الباحث حتمية نقل التمثال إلي موقع أخر تتوفر فيه كل مقومات إقامة هذا التمثال من مكان واسع ضخم ، بعيد عن عوامل التلف من تلوث جوي ، وتلوث بصري ، ويربط بين الماضي والحاضر ..

- يرى الباحث أن من المناطق الممتازة ميدان المدينة الإعلامية بمدينة 6 أكتوبر للربط بين ما قام به المصريين القدماء من إنتصارات علي الحيثين في معركة قادش بقيادة الملك رمسيس الثاني وبين انتصار المصريين في الحاضر علي الإسرائيلين في العاشر من رمضان (6 أكتوبر 1973 م . ومن جهة أخرى مدينة 6 أكتوبر منطقة تعلو عن مدينة القاهرة . وبعيدة عن اتجاه الرياح الناقلة للغازات الملوثة والأتربة ..
- والسؤل الذي يطرح نفسه كيف يتم نقل التمثال ؟
- يرى الباحث أن الاسلوب الأمثل لنقل التمثال هو تقسيم التمثال إلي ثلاث أجزاء منفصلة بالنشر (باستخدام منشار كهربي دائري مجهز للاستخدام في الأعمال الشاقة) وهي : الجزء الأول ويشمل الرأس والرقبة ومنطقة الكتفين . والجزء الثاني ويشمل الجزء المتبقي من الصدر ومنطقة الجزع والبطن . أما الجزء الثالث فيشمل منطقة الرجلين . ويتم عمل ذلك بعد أجراء عمليات التالية :
- التنظيف الميكانيكي باستخدام الفرش الناعمة وماكينات شفط وطرد الأتربة .
- التنظيف الكيميائي : باستخدام المذيبات العضوية منها الكحول الإثيلي 96% ، والبنزين ، زيت التربنتين النباتي (أحد الزيوت الطيارة) ، وذلك لازالة البقع العضوية باستخدام إسلوب الكمادات . Poultice ثم الغسول بالماء والصابون المتعادل .
- تقوية السطح بمحلول من البرالويد ب82 . Paraloud B82 مع الأسيتون بنسبة تركيز 3 % أو رابع كلوريد الكربون .
- يتم نقل الأجزاء الثلاثة باستخدام شاحنات ضخمة يمكنها المرور من الشوارع والطرق والكباري وخلال رحلة القطع بسهولة ويسر بدون أي اتلافات أو تصدعات للطرق أو الكباري .
- ماكينة القطع : تتكون من :
- Power (ماتور قوة 1.5 حصان) + صينية منشار (منشار دائري) ذو قطر كبير + صنبور مياه وحامل للمنشار قوي من الفولاذ . Steel. عند التشغيل وأثناء القطع تسيل المياه من الصنبور علي كل من صينية المنشار والجزء الذي يتم نشرة ، وذلك لخفض درجة حرارة المنشار ودرجة حرارة معادن الصخر والناتج من معامل الاحتكاك بينهما .

- مرحلة التجميع والترميم لقطع التمثال :

يتم التجميع : باستخدام الإبيوكسي رزن EPC من شركة سيبا جايجي مع مواد مالئة Filler من ثاني أكسيد السيلكون . SiO2، مع أستخدام pills خوازيق من الصلب لا يصدأ . Steel سمك 4 أو 6 لينية اسطواني الشكل .

- **مرحلة الترميم والرتوش النهائية :**

يستخدم مونة تتكون من ايبوكسي رزن مضاف اليها مواد مالئة من السيلكا الناعمة ومسحوق الجرانيت ذات معامل شد قوي يعادل معامل شد الجرانيت تقريبا – يتم عالج الفواصل والشروخ الناتجة من عمليات القطع ، وبعد جفاف طبقة مونة الترميم السابقة يتم نقلها للحصول علي مسطح ناعم .

يلجأ لهذا الحل عندما يتعذر ويستحيل نقل التمثال من موقعة بكامل حجمه ووزنه نتيجة لما يأتي من نتائج لدراسة ميكانيكا التربة لتربة شارع رمسيس والشوارع التالية له. والتي تحدد تحمل تربة الشارع للأحمال الضخمة. نتيجة لوجود نفق مترو الأنفاق والذي جعل تربة الشارع لا يمكن أن تتحمل مثل هذه الأحمال – بالأضافة إلي الكباري التي سوف تمر عليها رحلة التمثال مثل كوبري قصر النيل وكوبري عباس و6 أكتوبر وغيرها فقد تتأثر بظهور التصدعات أو الميول أو الانهيارات لتلك الكباري أو إحداها أثناء الرحلة .

المراجـــع

- أحمد فخري : مصر الفرعونية – مكتبة الأنجلو المصرية 1971 .
- أحمد مجدي مطاوع : المواد اللاصقة – المجمع المصري للثقافة العلمية 1992م.
- سعيد الجوهري : دراسات في حضارة مصر القديمة جـ1 : ARABIC GULFللطباعة والنشر 2003م .

-سيد توفيق : تاريخ العمارة في مصر القديمة (الأقصر) – دار النهضة العربية 1990م

- رمضان عبدة علي : تاريخ مصر الفرعونية – دار نهضة الشرق –جـ2 – 2001م
- عبد العزيز أمين : الفلزات – مكتبة الأنجلو المصرية – 1992م
- محمد أحمد عوض : ترميم المنشآت الآثرية – دار نهضة الشرق بالقاهرة 2001م
- محمد عبد الهادي : دراسة علمية في ترميم وصيانة الأثار الغير عضوية مكتبة زهراء الشرق 1997م
- محمد عز الدين حلمي : علم المعادن – مكتبة الأنجلو المصرية 1994م.
- منير محمد كمال : انهيار المنشآت – الهيئة العامة لبحوث البناء 1989م.
- داود سليمان المنير : ميكانيكا التربة – دار (مير) للطباعة والنشر – موسكو 1992م

Alessandrini , G . & Toniolo L1993. -
On the cleaning of Deteriorated stone Minerals., Milan. Italy P.502
Christine Beall, R.A. 1993, Masonry Design and detailing .
London .P.98
Charles C.P.2001, Physical Geology . New York p 58 -
El – Hansy ,R.M. 1990, Principles of Soil Mechanics. P.30. -

Thiel , M.J. 1993,Conservation of stone and Other -
Materials . London , New York P.504.

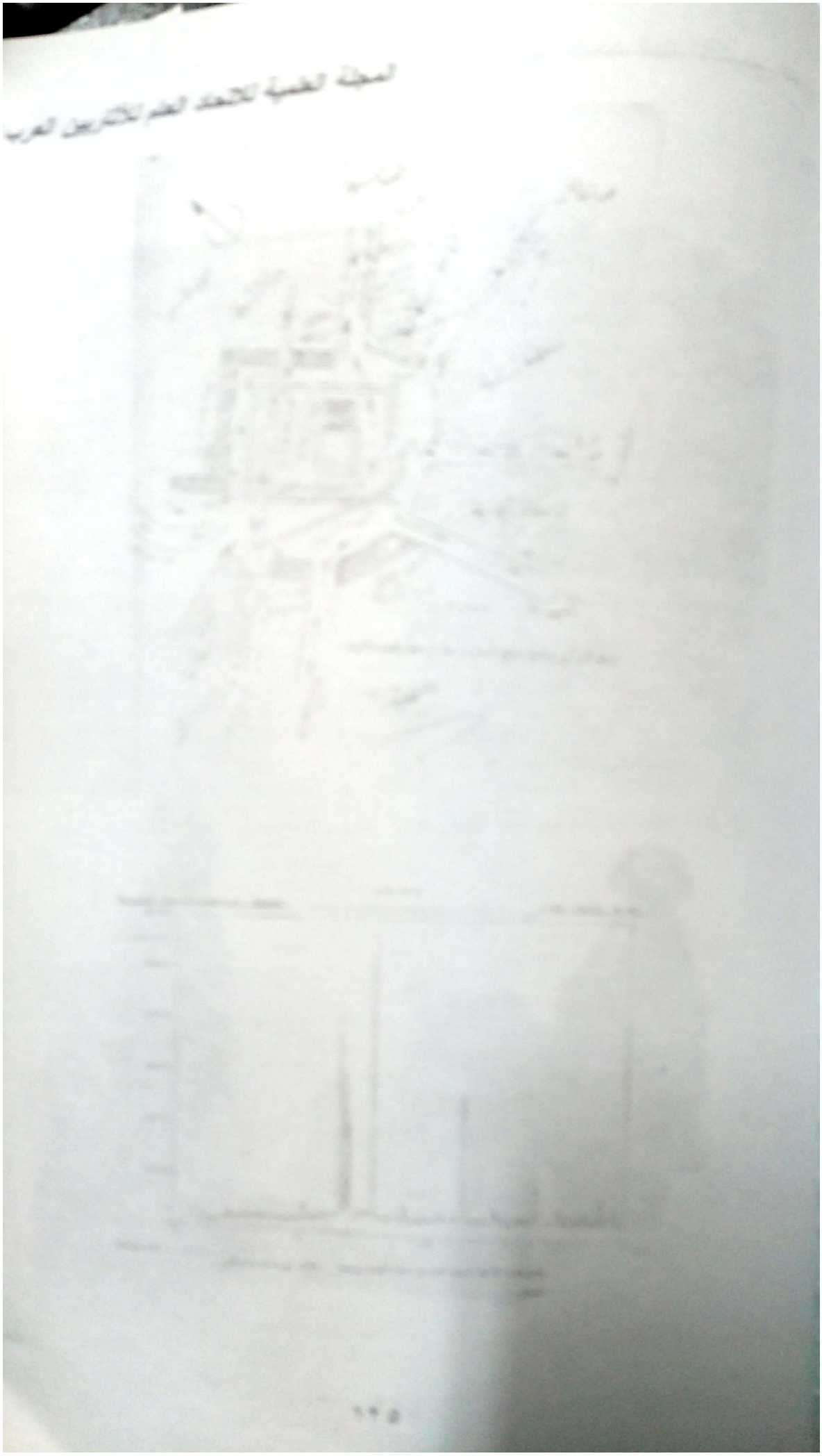

Scanned by CamScanner

لوحه (٢)

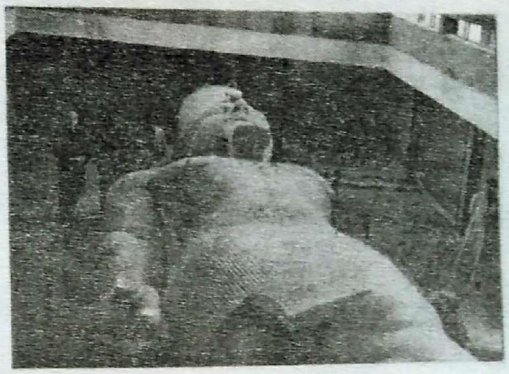

صوره (١) تمثال رمسيس الثانى المعروض بمتحف ميت رهينه وحالته الجيده .

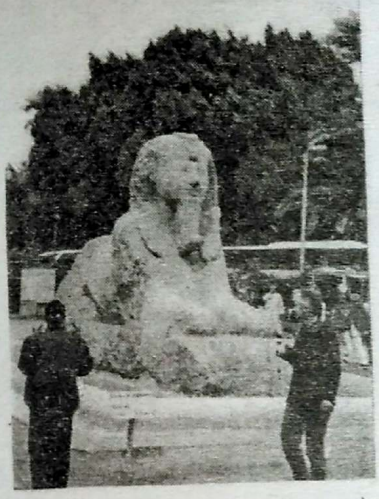

صوره (٢) تمثال رمسيس الثانى بفناء متحف ميت رهينه على هيئة ابو الهول .

لوحه (٣)

صوره (٣) تمثال رمسيس الثانى بميدان باب الحديد وحالته السيئه .

Scanned by CamScanner

صورة (٤) لتمثال قصة مصر الناء لجميع اجزاؤه وتركيبه .

صورة (٥) لتمثال قصة مصر بعد تجميعه .

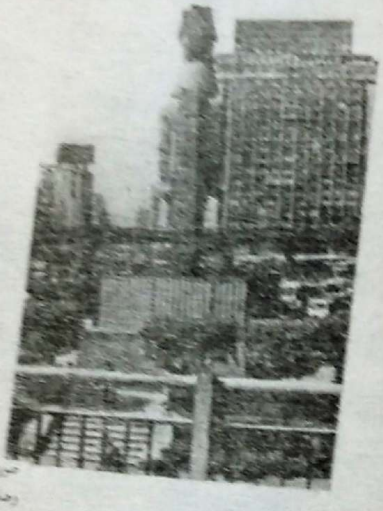

لوحة (٦)

صورة رقم (٨ – ٩) توضحان القيد الذى يحيط بالتمثال والمتمثل فى الكبارى الخرسانيه المعلقه وكوبرى المشاه المعدنى مع تزايد كثافة المرور من المركبات والسيارات بالموقع .

Scanned by CamScanner

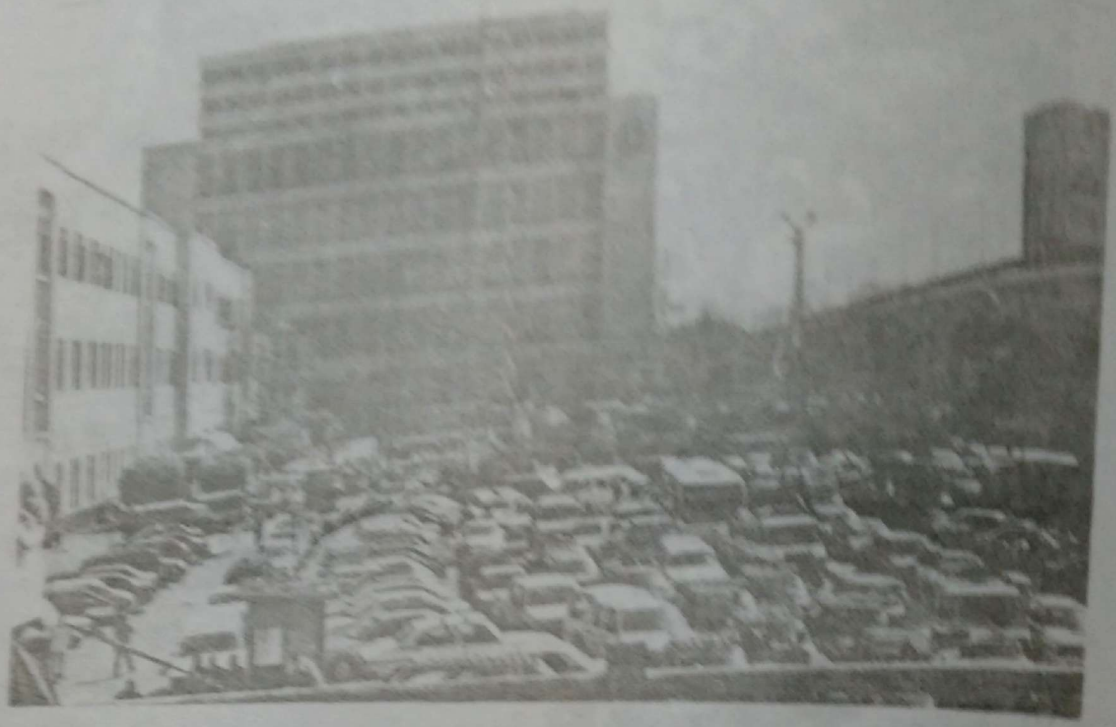

صورة (١٠) توضح مصادر التلوث الجوى من كثافة المركبات والمصانع بمدينة القاهرة الكبرى والمدن المجاورة كمدينة باب الحديد حلوان مدينة شبرا الخيمة الصناعية وغيرها .

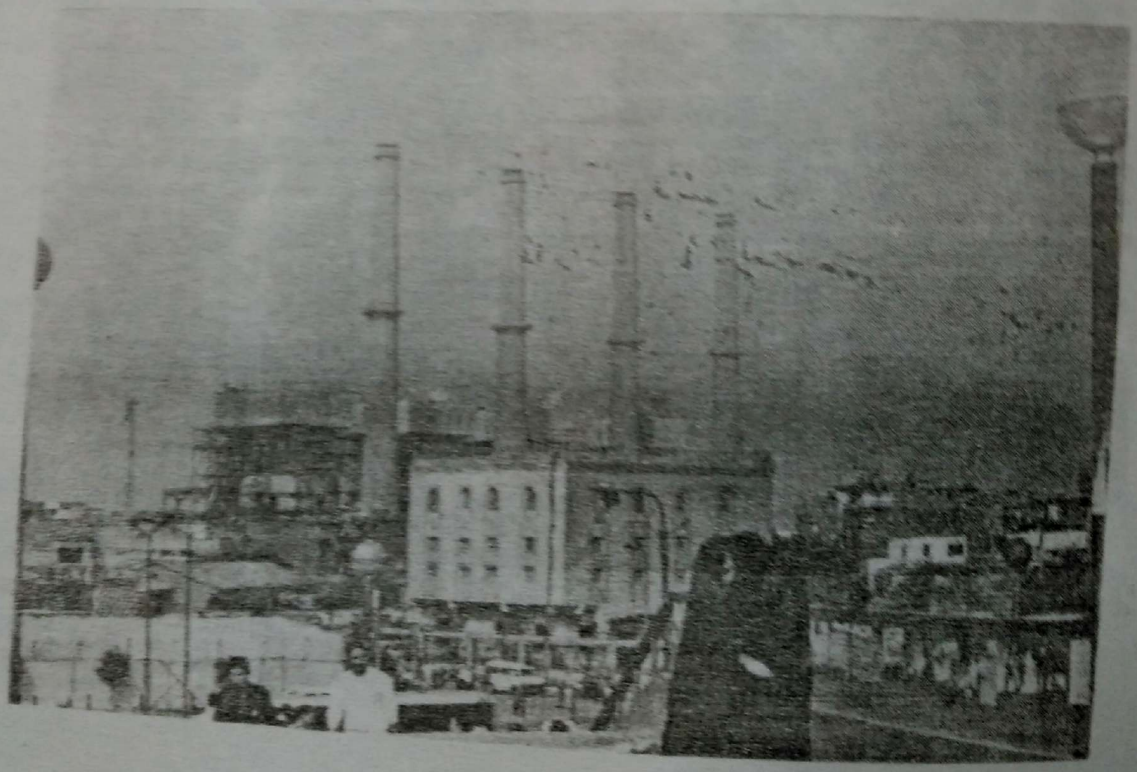

Scanned by CamScanner

لوحه (٩)

لوحه توضح أربعة صور (١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤) لعينات تحليل لصخر الجرانيت باستخدام الميكروسكوب الإلكتروني الماسح بقوة تكبير مختلفه X 750 - X 3500 وهذه الصور الأربعه توضح أهم المعادن الموجوده بعينة الصخر وكذلك توضح مدى التلف وعدم التماسك بين حبيبات المعادن من تأثير عوامل التجويه والتعريه والتلوث الجوى .

Scanned by CamScanner

الأخلاق فى بلاد النهرين*

د/ محمد السيد عبد الحميد**

مقدمة:

امتازت حضارة بلاد النهرين بطابع خاص يتفق وظروف الحياة فيها، وتأثرت ببيئتها الطبيعية تأثراً كبيراً منذ عصورها المبكرة، تلك البيئة التى ساهمت بشكل فعال فى تشكيل أفكارهم وثقافتهم ومعتقداتهم الدينية(1).

وشغل الدين حيزاً كبيراً فى حياة العراقيين القدماء، وقام بدور بارز فى تشكيلهم الحضارى، إلى الحد الذى يمكن معه القول أنه لا يمكن فهم حضارة بلاد النهرين بدون دراسة الدين قبل كل شيء؛ إذ بلغ تغلغله وأثره فى كل ناحية من حضارتها مبلغاً عظيماً جعل جميع معارفها وعلومها وآدابها لا يمكن البحث فيها مستقلة عن الدين، حتى وُسمت - مثل الحضارة المصرية - بأنها حضارة دينية(2).

ومما يُعرف به الدين أنه عبادة القوى الكائنة فوق الطبيعة(3)، أو أنه مجموعة من المعتقدات والممارسات التى تنظم موقف الإنسان وسلوكه تجاه عالم المقدسات "القوى الماورائية أو الكوائن العليا" وتزوده برؤية شمولية للكون وموضع الإنسان فيه(4)، مما

---

* أُلقى هذا البحث فى فعاليات ملتقى الاتحاد العام للأثريين العرب الخامس الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من 19-20 اكتوبر 2002م بجامعة الدول العربية فى الجلسة المسائية تحت مسمى: " الأخلاق فى بلاد النهرين ومصر القديمة دراسة مقارنة ". ولكن نظراً لكبر حجم الموضوع رأيت أن أخصص هذه الدراسة أولاً: عن الأخلاق فى بلاد النهرين ثم أُلحقها بدراسة ثانية: مستقلة عن الأخلاق فى مصر القديمة تعتمد على مقارنة النتائج التى توصلت إليها فى البحث الأول .

** د. محمد السيد عبد الحميد ـ مدرس التاريخ القديم كلية الآداب – بقنا – جامعة جنوب الوادى

(1) راجع: طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول ، بغداد 1946، ص1؛ إبراهيم رزقانة: حضارات ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى (59)، القاهرة د . ت، ص4، 5؛ عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم(حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى (59)، القاهرة د.ت ، ص 254، 255؛ سليمان حزين: البيئة والإنسان والحضارة فى وادى النيل الأدنى (تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني)، القاهرة د . ت ، ص 5 ، 6؛ فؤاد سفر: البيئة الطبيعية القديمة فى العراق، (سومر) المجلد الثلاثون، بغداد 1974، ص 941؛ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم(مصر والعراق) جـ1، ط3، القاهرة 1981، ص 5 ؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، طـ 2، سينا للنشر، القاهرة 1996م، ص 293.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص1 .

(3) ول ديورانت: قصة الحضارة (نشأة الحضارة . الشرق الأدنى)، المجلد الأول، الجزء الأول والثانى، الطبعة الثانية، القاهرة 2001م، ص98.

(4) فراس السواح: الأسطورة والمعنى(دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية)، دمشق

يعنى أن الدين كان بمثابة المحور الذى تدور عليه مُثل الإنسان وآدابه وسلوكياته واتجاهاته فى حياته الاجتماعية والاقتصادية؛ واستناداً إلى ذلك التعريف وإذا جاز تحليل الدين إلى معتقدات، وعبادات، ونظم وقواعد أخلاقية، ومنظمات ومؤسسات دينية[5]. فإن النظم والقواعد الأخلاقية تعد من أهم مقومات وعناصر الدين، ولا انفصام بينها، وقد ساعد على ذلك أن أنبياء الله(عليهم السلام) قد أكدوا على الأخلاق واعتبروها جزءاً لا يتجزأ من تعاليمهم الدينية [6]. والدين أحد الأسس التى تقوم عليها الأخلاق[7]. أو كما قيل انه لا خلق إلا ما هذبه الدين، ولا دين إلا ما هذبه الخُلُقُ[8]. وهذا يعنى أن الدين يسبغ على الأخلاق لوناً من التقديس؛ لأن ماهو فوق الطبيعة يضيف أهمية يستحيل أن تكتسبها من تلقاء نفسها الأشياء التى نعرفها بالتجربة الحسية[9]. ومن ثم يقودنا هذا إلى الطرح التالى: "هل كانت الأخلاق هى أصل الدين وأساسه ؟".

أولاً:الأخلاق وموضوعها :

تعريف الخلق:

1997، ص 219؛ طه باقر: المرجع السابق، ص1؛ ولمزيد من التفاصيل عن تعريف الدين وماهيته ومصادره راجع: فراس السواح: دين الإنسان(بحث فى ماهية الدين ومنشأ الدافع الدينى)، دمشق 1994، ص ص 22-29؛ خزعل الماجدى: بخور الآلهة (دراسة فى الطب والسحر والأسطورة والدين)، عمان 1998، ص ص 75-79؛ ول ديورانت: المرجع السابق، ص 98 وما بعدها.

(5) طه باقر: المرجع السابق، ص 1،2؛ وعن المكونات الأساسية والثانوية للدين راجع: الماجدى : المرجع السابق ، ص79-84.

(6) السواح: الأسطورة والمعنى ، ص 219.
مثال على ذلك أقوال المصطفى ﷺ **" الدين المعاملة "** و**" إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق "**؛ ولهذا تكررت الأحاديث فى مدح حسن الخلق فى مواضع عده كقوله: **" من أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله، وحُسن الخُلُقُ"**، و**" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً"**، و**" إن العبد ليُدرك بحُسن خُلُقه درجة الصائم القائم"**. وكذلك جاءت فى ذم سوءِ الخُلُقِ أيضاً أحاديث كثيرة (ابن منظور: لسان العرب (خلق)، المجلد الثانى، دار المعارف، القاهرة د . ت، ص 1245). وكذلك أقوال السيد المسيح عليه السلام مثل: **" من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر "**و**" من سخرك ميلاً فأمش معه ميلين "**. وما يقابلها فى تعاليم بوذا وزرا دشت ومانى (راجع: السواح: المرجع السابق ، ص 219) .

(7) أبو حيان التوحيدى: أخلاق الوزيرين، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، بيروت 1992م، ص 27.
ومن الجدير بالذكر أن التوحيدى قد أرجع أمهات الفضائل ودعائمها إلى ثلاث هى الدين والخلق والعلم، حيث بها يعتدل الحال وينتهى إلى الكمال لأن الدين جماع المراشد والمصالح، والخُلُقُ نظام الخيرات والمنافع، والعلم رباط الجميع؛ ولأن الدين بالعلم يصح، والخُلُقُ بالعلم يطهر والعلم بالعمل يكمل" وهو بذلك يؤكد على أهمية الدين ودوره فى اكتساب الأخلاق، وكذلك أهمية العلم والمعرفة فى تحصيل الفضائل.(المصدر السابق، ص 27)؛ ويدعم ذلك ما قاله "ديورانت"بأن الدين دعامة الأخلاق...المرجع السابق، ص117.

(8) أبو حيان التوحيدى: رسالة فى الصداقة والصديق، تحقيق على متولى صلاح، القاهرة 1972م، ص 58.

(9) ديورانت: المرجع السابق ، ص97.

بداية لابد من وضع تعريف للخلق **ففى اللغة الخُلُقُ والْخُلْقُ**[10]: السجيةُ، الطبع، المروءة، الدين، العادة، وفى التنزيل **"وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم"** والجمع أخلاق[11]، كما يُعرف الخُلُقُ بأنه: " ملكة تصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تفكير ورؤية"[12].

موضوع الأخلاق:

والأخلاق وفقاً لما جاء فى المعجم الفلسفى – رغم صعوبة وضع تعريف محدد لها[13]- هى :" علم السلوك وموضوعه الفضائل والرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقيها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد السلوك"[14]. أوهى العلم الذى يبحث فى الأفعال الإنسانية[15].ومما يقال أيضاً عن الأخلاق أنها تعنى تلك القواعد والممارسات التى تنظم موقف الفرد من الآخرين، وسلوك الأفراد تجاه بعضهم بعضاً، وتجاه الجماعة التى ينتمون إليها. ونتيجة للاحتكاك والنزاعات بين الأفراد والجماعات التى خلقتها الحياة المشتركة نشأت القواعد الأخلاقية - من أجل حل تلك المشاكل - التى طرحت نفسها كبديل عملى وناجح لأسلوب القوة والإكراه فى العلاقات الاجتماعية[16].

علم الأخلاق:

أما عن علم الأخلاق فيبحث عن السعادة وفى الطرق الموصلة إليها من خير وفضيلة، كما يبحث فى الشرور والرذائل وكيفية توقيها[17]. أو أنه العلم الذى يشتمل

---

(10) الخُلُقُ الخلِيقةُ أعنى الطبيعة، والْخُلْقُ بضم اللام وسكونها: هو الدينُ والطبعُ والسجيةُ وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهى نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. (ابن منظور : المصدر السابق. ص 1245).

(11) المصدر السابق، ص 1245؛ جبران مسعود: الرائد (خلق)، ج1، ط 5، بيروت 1986.

(12) أبو على الحسن ابن سينا: النجاة فى الحكمة المنطقية والإلهية، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط 1، بيروت1992، ص 157.

(13) وقد أرجع التوحيدى ذلك لأنها" متلابسة ملابساً، ومتداخلة تداخلاً، والشىء لا يتميز عن غيره إلا ببينونة واقعة تظهر للحس اللطيف أو تتضح للعقل الشريف". (الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942م، ص 128) .

(14) عبد المنعم الحفنى: المعجم الفلسفى(مادة أخلاق)، ط 1 ، القاهرة 1990م، ص 23.

(15) التوحيدى:الإمتاع والمؤانسة، ص 152.

(16) السواح: المرجع السابق، ص 219؛ قارن: أ.إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكرى، القاهرة د.ت، ص 177.

(17) أبو على الحسن ابن سينا: المصدر السابق، ص 157.
يتعلق علم الأخلاق بعلم الواجبات وهو مبنى على فكرة الواجب المتقابلة مع فكرة الحق. وهذه الأخلاقيات المضمنة فى نُظمة المجتمع ومعاملاته، تتجلى فى مكارم الأخلاق أو القيم العليا للاجتماع البشرى، القيم التى تُعير الأفعال الاجتماعية وبها تقوم المسالك والتصرفات .
خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الاجتماعية (3)، بيروت 1995م، ص 28.

على الموجودات الكائنة بإرادة وهى الفضائل والرذائل[18]. أى أنه العلم الذى يهتم بدراسة الأفعال الإنسانية والحكم على أفعال الناس ويبين كيفية الحكم على هذا الفعل خيراً كان أم شراً وهو بذلك يسعى لكى يحدد الفضائل والكمالات التى يسعى الإنسان لتحقيقها. وهكذا تتحدد الفضائل والرذائل طبقاً لقواعد عامة أخلاقية لا توجد إلا بوجود الفعل الفاضل. إن الغاية التى يهدف إليها الإنسان فى ممارسته للفعل الأخلاقى هى تحقيق السعادة التى هى الخير على الإطلاق، وهى الخير المطلوب لذاته[19].

ثانياً: علاقة الأخلاق بالديانة فى الشرق الأدنى

وعبر تاريخ ثقافات الشرق الأدنى القديم تلازمت الأخلاق بالديانة تلازماً وثيقاً، يبدو معه وكأنهما وجهان مختلفان لعملة واحدة، ولقد تزامن هذا الارتباط التدريجى بين الأخلاق والدين فى بلدان هذا الإقليم منذ وقت مبكر عندما كانت تتحول من العصر النيوليتى القروى إلى العصر المدنى؛ أعنى التحول من ثقافة المجتمعات القروية الصغيرة إلى ثقافة المدن. مما يدل على قدم العلاقة بينهما[20]. وبمرور الزمن، زادت أواصر هذه العلاقة توطداً حتى بدت الأخلاق والديانات وكأنها من طبيعة واحدة وأصل مشترك[21].

ورغم ما يبدو من الصلة الوطيدة بين الأخلاق والديانة، فهناك من يرى أنهما مفهومان مختلفان تمام الاختلاف من حيث الأصل. ومتمايزان كل التمايز، وأن الأصل فى الأخلاق استقلالها عن الديانة[22]، ومن ثم فليس الدين أساس الخلق، ولكنه عون له، فقد يمكن تصور الأخلاق بغير دين؛ ففى بعض الجماعات الأولى والمتأخرة كانت الأخلاق مستقلة عن الدين[23]. وخير دليل على ذلك المجتمعات- التقليدية- الأفريقية(الزنجية) التى تبدو الأخلاق فيها مستقلة تماماً عن الدين، فهى شأن دنيوى تنظمه الأعراف السائدة دونما مؤيد من قوة قدسية ما، ومن ثم تعتبر الأخلاق شأناً من شئون التنظيم الاجتماعى، لا شأنا من شئون الدين[24]. بل ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك ويرى أن لا صلة للأخلاق بالدين ولكنها موضوعة تحت حمايته[25].

ثالثاً: علاقة الأخلاق بالديانة فى بلاد النهرين

(18) أبو بكر ابن باجه: التعليق على إيساغوجى، تحقيق ماجد فخرى، بيروت 1994م، ص 87.
(19) إبراهيم محمد رشاد: المؤثرات اليونانية فى فكرتى الطبيعة والإنسان،(رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى، 2001م، ص 296-297.
(20) ديورانت: المرجع السابق، ص 117،121؛ السواح: الأسطورة والمعنى ، ص 219.
(21) المرجع نفسه، ص 219،227.
(22) المرجع نفسه، ص 219.
(23) ديورانت:المرجع السابق ، ص 120،119.
(24) السواح: المرجع السابق ، ص 220.
(25) إرمان : المرجع السابق ، ص 177.

ارتبط النظام الأخلاقى والنظام الدينى للجماعة، فى بلاد النهرين باجتماع السلطة السياسية والسلطة الدينية فى يد الملوك الكهنة الأوائل (ملوك المدن السومرية) الذين شعروا بضرورة ربط المؤيدات الاجتماعية للسلوك الأخلاقى بمؤيدات دينية. فالإله الذى يحافظ على نظام الكون من خلال القوانين الطبيعية، هو نفسه الذى يحافظ على نظام المجتمعات الإنسانية من خلال القوانين الأخلاقية[26]. فقد تصور العراقيون القدماء أن هذا الكون تسيره منذ البدء نواميس إلهية(أو مقدسة) سموها بالسومرية الـ (مى أو مِهMe)[27]- وتقابلها بالأكديه (فرضو) أو(برضو) أو (برصو) [28]- وتدل فى معناها على الوجود، أو القوى الإلهية وتشمل كل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوى والسماوى الذى تسيره قوى المعبودات خيراً أو شراً [29].

نماذج لارتباط الأخلاق بالديانة:

رغم أن المفكرين السومريين لم يُخلفوا وراءهم تعاليم مُنظمة واضحة فى قواعد الأخلاق والمبادىء، ولم ينتجوا بحوثاً أصولية فى علم الأخلاق، فإن ما عرف عن علم الأخلاق وعن قوانين السلوك الأدبى عند السومريين تم استخلاصه من بين ثنايا نصوصهم الأدبية الكثيرة والمتنوعة[30]. والواقع أن القطع الأدبية سواء السومرية أو البابلية التى وصلتنا هى فى مضمونها تتعلق بشكل أو بأخر بالدين؛ والكثير منها يدعو إلى تمجيد الآلهة والخوف منها والدعاء لها أو الصلاة والتضحية لها. وفيها أرجعوا الفضل إلى الآلهة فى وجود تلك الصفات والفضائل الأخلاقية، ومن ثم طوروها بعد صعاب كثيرة من تجاربهم الاجتماعية والحضارية. وتتجسد تلك الصفات والفضائل

(26) السواح: المرجع السابق ، ص 227.

(27) See: P.Anton Deimel S.I, sumerisches Lexikon, Scripta Pontificii Institutti Biblici I Romae 1947, P.169(889).

يعرف " جاكبسون " الـ (مى) بأنها مجموعة الوظائف المرتبطة بالطقوس والعادات والأعراف . ويفسرها " فان ديك "بأنها الوجود الإلهى فى الهيولى الميتة أو الحية بشكل أزلي، وهى غير مشخصة بجسد، وعن طريقها تتحكم الآلهة بشئون العالم (خزعل الماجدى: الدين المصرى، عمان 1999، ص 287. وراجع أيضاً: د . اذزارد: قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، حلب 1987، ص 129؛ توركليد جاكبسون وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط2، بيروت 1980، ص 239 وما بعدها) .

(28) خزعل الماجدى: متون سومر(الكتاب الأول التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، عمان 1998، ص 258. ويرجح الماجدى أنها تدل على القوانين المفروضة الثابتة للطبيعة، ويذكر أن أسطورة انانا وانكى قد قدمت نقل نواميس الحضارة الإلهية الـ (مى) من أريدو إلى أوروك، والتى كانت تشمل أغلب جوانب الحياة (المرجع السابق، ص 258 وما بعدها؛ ولمزيد من التفاصيل راجع أيضاً: على الشوك: من روائع الشعر السومرى، منشورات الجمل، ألمانيا 1992، ص 31) .

(29) فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص293؛ الماجدى: الدين المصرى، ص 287؛ متون سومر، ص 258؛ وراجع أيضاً: د . اذزارد: المرجع السابق ، ص 128.

(30) ص.ن. كريمر: من ألواح سومر. ترجمة طه باقر، تقديم ومراجعة أحمد فخرى، بغداد والقاهرة 1956م، ص 190.

الأخلاقية فى أنهم-السومريين- كانوا محبين للخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة. كما كانوا يكرهون الكذب والزور و الشر وعصيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد وارتكاب المعاصى والضلال. وتدل شواهد عديدة على أن الملوك السومريين فى الكثير من أعمالهم مثل **ما جاء فى: (أعمال "اورو- كاجينا" أو " أورو- أنمكينا" حاكم مدينة " لجش"، وما ذُكر فى مقدمة شريعة "اور- نامو" مؤسس سلالة " أور" الثالثة، وكذلك ما ورد فى شريعة "لبت-عشتار" ملك مدينة "أيسن"**، وكذلك **ما جاء فى شريعة "بلا لاما" ملك مدينة أشنونا)** كانوا يتباهون دائما بأنهم أقاموا القانون والنظام فى البلاد، وأعادوا العدل والحرية إلى الناس، وحموا الضعيف من القوى، والفقير من الغنى، وبأنهم عملوا على حماية الأرملة واليتيم، ومحوا الشر والظلم والعنف وتتمثل فى قضائهم على المظالم السائدة، وتنظيم شئون الأوزان والمكاييل[31].

كما مُجدت جميع الآلهة السومرية العظام فى التراتيل السومرية باعتبارها محبة للخير والعدل وللصدق والاستقامة. وقد خصوا بعضها بالإشراف على النظام الأخلاقى بكونه وظيفتهم الأساسية كمعبود الشمس" أوتو"، ومعبودة مدينة لجش "نانشه" باعتبارها راعية الصدق والعدل والرحمة وحامية القيم الخلقية[32]. وخير دليل على ذلك ما جاء فى ترتيلة سومرية، التى عثر عليها فى مدينة " نفر" وهى مؤلفة من (250) سطراً، وتتضمن أهم وأوضح أقوال فى السلوك والأخلاق التى وردت فى الوثائق السومرية الأخرى. إنها تصف المعبودة "نانشه". والدور المهم الذى تقوم به فى دائرة السلوك الأخلاقى عند البشرعلى النحو التالى :

- **" إنها هى التى تعرف اليتيم وتعرف الأرملة ،**
- **" إنها هى التى تعرف اضطهاد الإنسان للإنسان، وهى أم اليتيم ،**
- **" المعبودة نانشه التى تعنى بالأرملة ،**
- **" التى تنشد العدالة (؟) لأفقر الفقراء (؟).**
- **" إن الملكة تأوى اللائذين بحضنها وحماها ،**
- **" وهى التى تهيىء المأوى للضُعفاء** [33].

وفى نص آخر، صورت المعبودة "نانشه" وهى تقوم بحساب البشر من الأشرار ممن وقع عليهم غضبها، وقد وصفوا على الوجه التالى:

---

(31) كريمر: من ألواح سومر، ص 192،193؛ وراجع أيضاً: رمضان عبده على: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته،جـ1 (إيران والعراق)، طـ2، القاهرة 2002م، ص 222؛ خزعل الماجدى: الدين السومرى، سلسلة التراث الروحى للإنسان/ 2، طـ1، عمان 1998م، ص 169، 170، 171؛ برهان الدين دلو: حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادى- الاجتماعى- الثقافى والسياسى)، بيروت 1989م، ص 328؛ وراجع أيضاً فيما بعد من هذا البحث: ص 50-52.

(32) كريمر: المرجع السابق، ص 192،193؛ هارى ساكز: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل، الموصل 1979م، ص 486.

(33) كريمر: المرجع السابق، ص ص 193، 194-195.

- **" من سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له ... (؟)**
- **" من تخطى حدود النظم المقررة ونقض العقود والعهود ،**
- **" من نظر نظرة رضا إلى مواطن الشر .... ،**
- **" من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير ،**
- **" من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير ،**
- **" من أكل ما ليس له ولم يقل " أكلته " .**
- **" ومن شرب ما ليس له ولم يقل " شربته " .... ،**
- **" من قال لأكلن ما حرم " ،**
- **" ومن قال لأشربن ما حرم "** [34].

وقد وصفت " نانشه " بما تحلت به من ضمير اجتماعى على الوجه التالى :

- **" تواسى اليتيم ولا تهمل أرمله ،**
- **" تُعد الموضع الذى تهلك فيه الأقوياء الطغاة ،**
- **" وتسلم الأقوياء إلى الضعفاء .... ،**
- **" إن نانشه تنفذ إلى قلوب الناس "** [35].

وعلى الرغم من أن ثقافة بلاد الرافدين لا تعد الأقدم فى تقديم نموذج عن قدم ارتباط الأخلاق بالدين كالثقافة المصرية، فإنه يمكن تلمس منظومة أخلاقية دينية من خلال بعض نصوص الأدعية والصلوات، يرجح أنها لم تكن مخصصة لعرض القواعد الأخلاقية، وجاء ذكرها عرضا في سياق الضراعة للإله والثناء عليه[36]. ومن بين هذه النصوص المختارة:

- **ترتيلة مرفوعة للإله شمش**
- **دعاء إلى المعبودة عشتار**
- **الصلاة [الدعاء] إلى جميع المعبودات**
- **سأثني على رب الحكمة**
- **الحوارية البابلية أو حوار العدالة الإلهية**
- **حوارية السيد والعبد**

وتعد الترتيلة المرفوعة للمعبود "شمش"[37] إله الشمس والقاضى الأعظم ومصدر الشرائع والعدل أهم تلك النصوص، ويتألف من(160) سطرا، وقد عثر على هذا النص

---

(34) المرجع نفسه، ص 195.

(35) المرجع نفسه، ص 196.

(36) السواح: الأسطورة والمعنى ، ص233.

(37) الإله الشمس (شمش) وهو يقابل (أوتو) عند السومريين، لعب دوراً كبيراً فى العهد الأكدى؛ لذلك اتخذه الأكديين إلهاً قومياً لهم، وفى العهد البابلى القديم ظل محافظاً على مكانته المقدسة، وقد استبدله البابليون بالإله(مردوخ)، وكانت (زيبارأو سيبار) فى شمال بلاد النهرين و(لارسا) فى جنوبها من أهم أماكن عبادته(راجع: طه باقر: ديانة البابليين، ص17-18؛ خزعل الماجدى: إنجيل بابل، عمان 1998م، ص 49،50 ؛ متون سومر، عمان 1998، ص 118؛ السواح: المرجع السابق، ص 233؛ ولمزيد من التفاصيل راجع: ر.لابات: المعتقدات الدينية فى بلاد وادى الرافدين(مختارات من النصوص البابلية). ترجمة ألبير أبونا، وليد الجادر، وزارة

فـى مكتبـة "أشور بانيبـال" [38]، وهو من النصـوص الطويلـة وعلـى جانب كبير من الإفاضة والتفصيل؛ لذلك لا يمكن عرضـه بشكل كامل. وفيمـا يلـى ترجمـة لهذا النص وعرض لسطوره ذات الصلة بالأخلاق[39]. ففى **العمود الأول** من النص نقرأ :

- **..... يا منير الظلمات (ايا مبدد الظلام)**
- **وقاهر (ويا من يمحو) الشر... في الأسفل وفي الأعلى(فى السماوات الأرض).**
- **يا من يرمي بأشعته كشبكة فوق البلاد والأصقاع(الأرض والجبال والبحار)،**
- **ويراقب من علاليه شعوب الأرض قاطبة (وأنت تمسك بأطراف الأرض المعلقة من وسط السماء وتحرس كل ما خلقه "ايا" فأنت راعيهم) .**
- **أنت راعي العالم من أسفل (الأسفل)، وحارس(حامى) العالم من أعلى(الأعلى).**
- **لظهورك يبتهج كل بني البشر ،**
- **وتتوق لنورك، يا الهي شمش ، الدنيا بأجمعها .**

أما العمود الثانى من هذا النص فنقرأ :

- **يا من تحاسب بالحق الصالح وتحاسب الشرير**
- **تنشر شبكتك الواسعة لتمسك بالرجل (إن شبكتك منشورة لتمسك بمن تشتهى)**
- **الذي يشته امرأة صديقه**
- **تكسر شكيمة المجرم وتقطع دابره**
- **وتذهب بمال من يتلاعب بالحاسبات**
- **تودي عدالتك بالقاضي الفاسد إلى السجن**
- **وتنزل عقابك بالمرتشي الذي يحرف سير (يضلل طريق) العدالة**
- **أما المستقيم الذي يرفض الرشوة وينتصر للضعيف**
- **يفرح به فؤادك فتثري حياته وتزيد في أيامه**
- **القاضي النزيه الذي يصدر الأحكام بالحق**
- **تجعل مكانته سامية وتسكنه مساكن الأمراء**
- **ما الذي يجنيه المرابي الذي يثمر ماله بربح فاحش(يشتط فى فائضه) ؟**

التعليم العالى والبحث العلمى. جامعة بغداد. كلية الآداب قسم الآثار. بغداد 1988م، ص 321.

(38) راجع: السواح: المرجع السابق ، ص 233؛ فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم(2: ترانيم وأدعية سومرية – أكدية)، سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، ، بغداد 1964م، ص 79.

يرجح أن هذا النص مقتبس من نص أكادى أقدم منه، ومما يؤسف له أن هذه اللوحة دمر منها سبع عشرة سطرا عند الموضع الذي يعرض فيه النص إلى الوصايا الأخلاقية، كما أن هناك ثمانية اسطر تالفة فى نهاية الجزء الثانى من النص المتعلق بالوصايا الأخلاقية في هذه الترتيلة التي يرعاها الإله " شمش" (السواح: المرجع السابق، ص 234،233، 235) .

(39) عن النص والترجمة راجع :

W.Lambert,Op.Cit,P. 126-138; F.J.Stephens, "Hymn to Shamsh", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press ,1950. P.321; "Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press , 1950, pp. 387 – 389 .

وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص 79-86 ؛ السواح: المرجع السابق، ص234-235؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 49-52

يكذب من اجل ربح آن ولكنه يخسر ثروة بأكملها
ما الذي يجنيه من يغش في الكيل والوزن ؟
من يغير عن عمد في أحجار الميزان وينقص منها ؟
إنه يكذب من اجل ربح آني ولكنه يخسر ثروة بأكملها
أما من يقرض بفائض عادل فإنه يبعث على السرور فى (شمش) ويكسب المال الوفير
ومن قسط الكيل والوزن فإنه يرضى (شمش) ويحصل على المال والذرية الدائمة.
بعدالة (شمش) وقوة (مردوخ) عاش الآلهة العظام ... بسلام [40] **.. .. ..**

وهذا النص من النصوص الدينية ذات الصلة بالأخلاق، ويلاحظ خلوه من الواجبات الطقسية تقريباً، كما يتسع مفهوم الأخلاق فى هذا النص لتجريم الاعتداء على العروض، والممتلك، والفساد، والرشوة، والغش، والربا، ويرى فيهما انحراف عن الخلق السليم. الأمر الذى يثير سخط الإله (شمش) ويصب جام غضبه على مقترفى هذه الأفعال الشائنة، ومن ناحية أخرى نرى فرحة الإله وسروره ورضاه من العبد الذى يخشاه، ويقرض القرض الحسن، ويستخدم الميزان بالصدق. بل ويكافئه على ذلك بالمال الوفير والذكرى الخالدة بالذرية الصالحة والدائمة والعيش بسلام .

أما نص **" دعاء إلى المعبودة عشتار "**[41]. فيصف فيه المعذب (المتوسل) مأساته المريرة، ويصلى ويقدم القرابين لمعبودته لتكشف عنه هذه الغمة ولكى يعود إلى طبيعته وسيرته الأولى. وهذا النص ترافقه رقية طقوسية، وفيه تخاطب عشتار بصفتها معبودة الحرب والشجاعة، وباعتبارها أعظم معبودة بين المعبودات. وقد عثر على هذا النص فى معبد "ايساجيلا" أو "إيساك إيلا" [42] فى بابل، ويرجع تاريخ كتابته إلى العصر البابلى الحديث[43]. ويستهل هذا النص بالصلاة لعشتار وتمجيدها على النحو التالى:

---

(40) راجع: فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص 79-86؛ السواح: المرجع السابق، ص234-235؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 49-50 .

(41) عن النص والترجمة راجع:

F.J.Stephens,"Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press, 1950, pp. 383 – 385.

وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص ص69 – 74؛ " ترنيمة إلى عشتار" مجلة الأقلام جـ1 ، بغداد 1964م، ص 113-115؛ برهان الدين دلو: المرجع السابق، ص 329-330.

(42) وهو اسم معبد المعبود "مردوخ" فى بابل ويعنى البيت العالى الرأس، وقد عرف منذ العصر البابلى القديم حتى العصر الهللينى (س.موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، تعريب السيد يعقوب بكر ومراجعة محمد القصاص، بيروت 1986، ص 263؛ فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم، سومر، المجلد الحادى والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1965م، ص 46 حاشية(5)؛ توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة، جـ1، طـ1 (الشرق الأدنى القديم) "بلاد النهرين/ بلاد الشام"، دمشق 1985، ص 265.) .

(43) فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص69 – 70 .

- **أننى أصلى لك ، يا سيدة السيدات ، ومعبودة المعبودات.**
- **ايا عشتار ، ملكة كل الشعوب ، التى تقود البشرية باستقامة ،**
- **ايا مالكة كل القوة الإلهية ، التى تلبس تاج السلطان ،**
- **أيتها السيدة ، ممجدة عظمتك . فوق كل الآلهة هى مبجلة .**

ثم يطلب منها الرحمة والمغفرة على الوجه التالى :

- **أنت تلحظين المظلوم والمُساء إليه ؛ أنت تجعليهم يفلحون يومياً .**
- **رحماك ! أيا " سيدة " السماء والأرض ، راعية الناس المنهوكين .**
- **رحماك ! أيا " سيدة " " أى – أنا " المقدسة المستودع الطاهر .**
- **رحماك ! أيتها " السيدة " ؛ قدماك غير متعبتين ؛ ركبتاك سريعتان .**

ثم يصف المتوسل مأساته المريرة، ويطلب منها أن ترأف به، وأن تنظر إليه بعين الرحمة والشفقة حتى ينصلح حاله، وأن تبطل كل ما يكيده ويدبره له أعداؤه، من أعمال سحرية سببت له آلام وأوجاع عديدة بالإضافة إلى تشتيت عائلته على الوجه التالى:

- **أينما تنظرين ، الميت يحيى ؛ والذى هو مريض ينهض .**
- **المخطىء الذى يرى وجهك يستقيم .**
- **لقد بكيت لك ، متوجعاً ومنهكاً ومحزوناً ، كخادم لك .**
- **انظرى إلى أيا " سيدتى " ؛ اقبلى صلواتى .**
- **انظرى إلى بإخلاص واسمعى توسلى .**
- **عدى بعفوى ، ولتلطف روحك .**
- **رأفة ! بجسمى التعيس المملوء بالارتباك والانزعاج .**
- **رأفة ! بقلبى العليل المملوء بالدموع والعذاب .**
- **رأفة ! بأحشائى الشقية(البائسة ، التعيسة) (المملؤة) بالارتباك والإنزعاج .**
- **رأفة ! ببيتى المكروب الذى ينتحب (؟) بمرارة (؟) .**
- **رأفة ! بمشاعرى المشبعة بالدموع والعذاب .....**
- **بصفاتك المشرقة انظرى إلى بإخلاص.**
- **اطردى تعويذات جسمى الشرير : ودعينى أرى نورك المشع [44].**
- **حتى متى ، يا سيدتى ، سيبقى أعدائى ينظرون إلى ،....**
- **لقد عمل لى شخص مسحاً طويلاً .**
- **اننى أتماوج هنا وهناك كمياه الفيضان هيجتها ريح شريرة .**
- **قلبى طائر ؛ انه يخفق باستمرار كطير السماء .**
- **اننى أنوح كحمامة ليلاً ونهاراً**
- **اننى مصروع ، ولذلك انتحب بمرارة.**
- **بالـ " آه " وبـ " الأسى " روحى مضناة .**

(44) فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص72.

- **أنا – ماذا فعلت أنا ، أيا الهى وإلهتى ؟**
- **كأننى لا أخشى إلهى وإلهتى أننى أُعامل ؛**
- **بينما هُيىء لى مرض وصداع وخسارة وتحطيم ؛**
- **وكذلك رُكز على رعب وازدراء وسخط غزير .**
- **وغضب ، وحنق ، وتحقير الآلهة والبشر .**
- **ستكون نهايتى الموت والإزعاج .**
- **على بيتى ، وعلى بوابتى ، وعلى حقولى خيم سكون .**
- **أما إلهى ، فان وجهه متجه نحو هيكل (رجل) آخر .**
- **[ولكنـ] نى قد أصغيت لك " سيدتى " ؛ انتباهى قد وجه إليك** [45].

ثم يقوم المتوسل بالصلاة وتقديم القرابين لإلهته ويطلب منا العفو والغفران عما ارتكبه من أفعال مشينة ومخجلة حيث نقرأ:

- **لك قد صليت ؛ اغفرى خطيئتى .**
- **اغفرى ذنبى ، واجحافى ، وأفعالى المخجلة ، واعتدائى .**
- **تجاوزى عن أفعالى المخجلة ؛ تقبلى صلاتى ؛**
- **فكى قيودى ؛ حققى انعتاقى ؛**
- **سددى خطاى باستقامة ؛ مبتهجاً كبطل دعينى أدخل الطرقات مع الأحياء...**
- **ودعى عائلتى المشتتة تجتمع ؛**
- **انظرى إلى بإخلاص واقبلى توسلى .**
- **حتى متى ، أيا " سيدتى " ستبقين غاضبة فيتحول عنى وجهك ؟**
- **حتى متى ، أيا " سيدتى " ستبقين ساخطة فتبقى روحك هائجة ؟....**
- **ودعى صلواتى وتوسلاتى تصل إليك .**
- **لتحل رحمتك العظيمة على**[46] **.**

وإذا كان الخوف من الآلهة يعتبر من أولى الواجبات الدينية فى المعتقد الدينى الرافدى- لأن سخطها مجلب للويلات والدمار- فإن الحصول على رضاها أقصى ما يتوق إليه العبد؛ لذا وضعت رسوم وشعائر دينية كثيرة يقوم بها العبد المذنب[47] من بينها أدعية وصلوات كانت بمثابة ثانى الواجبات الدينية[48]. أشهرها ذلك النص الذى عثر عليه – أيضاً - فى مكتبة الملك "أشور بانيبال"، وعُرفَ باسم **"صلاة إلى جميع**

(45) المرجع نفسه، ص 72-73.
(46) المرجع نفسه، ص73-74.
(47) طه باقر: سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول، بغداد 1946، ص6؛ طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، سومر، المجلد الثانى، الجزء الثانى، بغداد 1946، ص180؛ نبيلة محمد عبد الحليم: معالم العصر التاريخى فى العراق القديم ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 1997م، ص 188.
(48) المرجع نفسه، ص 188.

المعبودات" أو **"صلاة لكل إلـه"**[49] المعروف منها وغير المعروف؛ أى أنها لم تكن موجهة إلى إله معين ولكن إلى جميع الآلهة بصورة عامة. وفيها يعترف الكاتب بجميع الخطايا التى اقترفها فى حياته المعروفة منها وغير المعروفة، وتنتهى بطلبه منها غفران خطاياه التي ارتكبها دون قصد وعن غير علم بها ومعرفة[50]. وفيما يلى ترجمة لهذا النص وعرض لأهم سطوره ذات الصلة بالموضوع[51]. ويبدأ النص بطلب العبد من آلهته أن ترضى وتعفوا عنه، وأن تخلصه من عذابه نتيجة آثامه وخطاياه التى ارتكبها دون قصد. على الوجه التالى:

- **عسى أن يهدأ هياج قلب ربى نحوى (ليهدأ قلب إلهي الغاضب على) ،**
- **وليرضي عني المعبود الذي لا اعرفه ،**
- **ولترض عني المعبودة التي لا اعرفها .**
- **ليرض عني من أعرف من الآلهة ومن لا أعرف .**
- **ليرض عني من اعرف من الإلهات ومن لا أعرف .**
- **بجهل مني أكلت طعاما حرمه إلهى ،**
- **بجهل مني وطئت مكانا حرمته إلهتى .**
- **فيا ربي إن آثامي (تجاوزاتى) عديدة وخطاياي (ذنوبى) عظيمة ،**
- **ويا ربتي إن آثامي (تجاوزاتى) عديدة وخطاياي (ذنوبى) عظيمة .**
- **إني جاهل حقا بما اقترفته من ذنوب ،**
- **إني جاهل حقا بما ارتكبته من خطايا .**

ثم يصور لنا النص الحالة السيئة التى بدا عليها هذا الرجل، وخاصة عندما غضبت الآلهة عليه وقضت بعقابه بالمرض والعذاب، وكذلك عندما لم يجد من يغيثه

(49) كانت الصلاة لدى البابليين بمثابة رقية تخرج الشيطان أو العفريت الذى أصاب الإنسان نتيجة ارتكابه الخطايا والذنوب. ولمزيد من التفاصيل راجع : ديورانت: المرجع السابق، ص226.

(50) فيصل الوائلى: سومر، المجلد الحادى والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1965م، ص 50؛ السواح: المرجع السابق، ص235.

(51) عن النص والترجمة راجع :

F. J. Stephens, Op.Cit, pp.391-392;Cf.P.Paul Dhorme, La Religion Assyrio-Babylonienne,Paris 1910,P.237.

وعن الترجمة العربية لهذا النص - المكتوب بالسومرية مصحوبة بترجمة أكادية - راجع: السواح: المرجع السابق، ص 235-236. وقد قام بحذف بعض الأسطر المكررة منها؛ فيصل الوائلى: المرجع السابق، ص 50-52؛ وقد قام بعض الباحثين بترجمة فقرات من هذا النص عن ذلك راجع: طه باقر: سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول، بغداد 1946، ص7؛ وكذلك راجع : ل . ديلابورت : بلاد مابين النهرين ، ترجمة محرم كمال ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، الألف كتاب الثانى (283)، ط 2، القاهرة 1997م، ص 169 ؛ ول ديورانت: المرجع السابق، ص224-226،225.

ويعينه فى كربته فهو يبكي، ومغلوب على أمره، ومعتل، وعينه لا تبصر، ولا يسمع عويله أحدُ؛ عندئذ يتجه إلى آلهته بالدعاء بأن ترحمه وتأخذ بيده على الوجه التالى:

- **ولكن المعبود نظر إلى بقلب غاضب ،**
- **ومعبودتى في غضبها تسببت في مرضي .**
- **لقد نال منى (اضطهدنى) المعبود الذي أعرفه و المعبود الذي لا أعرفه ،**
- **وقضت بعذابي المعبودة التي أعرفها والمعبودة التي لا أعرفها .**
- **أطلبُ العون وما من أحد يمد إلى اليد (لم يأخذ أحدٌ بيدى) ،**
- **ابكي وما من أحد يقدم لى سندا ،**
- **أندب ولا يسمع عويلي أحدا .**
- **مغلوب على أمري (قلق ومقهور) ، معتل ، وعيني لا تبصر ،**
- **فيا إلهي ، أيها الإله الرحيم ، هذي ضراعتي (صلاتى)؛ فإلى انظر .**

وقبل أن يطلب من آلهته بأن تغفر له ذنوبه وخطاياه، وتعفو عنه، وتحول سيئاته إلى حسنات. يثير كاتب النص مسألة فلسفية وجودية كبرى، وهى أنه مهما بلغت معرفة الإنسان ومهما أوتى من عقل وإدراك فإنه سيظل جاهلاً بالإرادة الإلهية، ولا يستطيع معرفة ما تخبئه له الآلهة من مقدرات[52]وفى ذلك يقول:

- **الإنسان مخلوق قاصر التفكير(أبكم) ؛ لا يعرف شيئا ؛**
- **لا يدري متي يجني حسنة ولا متي يصنع إثما .**
- **فلا تطرح يا ربي عبدك هذا أرضا (لا تكسر بخاطر عبدك) ؛**
- **ها هو يغرق في ماء المستنقع (الوحل)؛ فخذ بيده .**
- **وحول سيئاتى إلى حسنات ؛**
- **دع الآثام التي ارتكبتها تذروها الذاريات(تحملها الرياح بعيداً) ؛**
- **واذهب بإعمالي السيئة ، انتزعها عني كما تنزع العباءات(الثياب) .**
- **ارفعى خطيئاتى وسأغنى بحمدك.**

والنص على درجة كبيرة من الأهمية لكونه يلقى الضوء على جانب مهم من الأخلاق فى المجتمع الرافدى القديم، وهو عبارة عن صلاة لم توجه إلى إله معين ولكن إلى جميع الآلهة بصورة عامة، يدلى بها صاحبها بمجموعة اعترافات، وغرضها هو طلب الخلاص من عذاب يعتقد الكاتب بأنه ينتج عن انتهاك القانون الإلهى[53]. الأمر الذى أغضب الآلهة، وقضت بعقابه، وهذا العقاب- أي المكروه الذى يصيب الإنسان- كان على ذنب ما أو إساءة ارتكبها بحق أحد من الناس أو الآلهة، كان دنيوياً أى فى الحياة الدنيا؛ إذ لم تكن هناك حياة أخرى بعد الموت فى المعتقد الدينى الرافدى، ومن ثم فإن مفهوم الثواب والعقاب في الحياة الآخرة غير موجود في التصورات الدينية الرافدية أو

(52) قارن: فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص 304.
(53) فيصل الوائلى: المرجع السابق، ص 50

لم يقولوا بعقاب أو ثواب، أى ليس عندهم جنة ونار أو نعيم وجحيم، أو على الأقل لم تكن لديهم فكرة ورأى واضحان فى الحياة الأخرى أو العالم الأخر(54).

ويبرر كاتب النص ما ارتكبه من خطايا وآثام إلى حقيقة كونها لم تقترف عمداً، وأنه حتى لا يعرف الإله الذى ربما أساء إليه، وأكثر من ذلك، يطرح مسألة فلسفية فى غاية الأهمية وهى معرفة مشيئة الآلهة، وفى هذا يدعى بأن العنصر البشرى بأجمعه جاهل بطبيعته للإرادة الإلهية؛ ولذلك فإنه يقترف الذنب باستمرار، وعلى هذا فلا ينبغى أن يفرد للعقاب. والواقع بأن طلب الكاتب من الآلهة بأن تغفر له ذنوبه وخطاياه، وتعفو عنه، وتحول سيئاته إلى حسنات، يذكرنا بما يقوم به المسلمون عند الدعاء للميت بأن يغفر الله له ذنوبه، وبأن يتجاوز الله عن سيئاته إن كان مسيئا. كما تشير خاتمة النص إلى أنه كان جزءاً من سلسلة من الصلوات يبدأ لوحها الثانى بالسطر **" بكلمته قد أمر برفاهيتى "**؛ مما يجعل هذا النص من النماذج الدالة على قدم اتصال الأخلاق بالدين. كما أن القارئ لهذا النص يلمس مدى الحساسية الخلقية لدى الإنسان العراقى القديم بل لدى إنسان الشرق القديم(55).

وإذا كان تخلى الإله الحامى هو أول ما يحل بالعبد المذنب، نتيجة انحرافه عن الخلق السوى والسلوك الرضى، فإن استرجاع رضائه-وهو أقصى ما يرنو إليه العبد- كان أمر صعب المنال، ويستوجب على العبد أن يعمل أشياء كثيرة منها الصلاة إلى الآلهة، والصبر على البلاء والمحن، وأن لا يسب آلهته أو يلعنها، وهذه الغاية النبيلة نجدها مجسدة خير تجسيد فى تلك القصيدة البابلية التى تعد من أشهر قطع أدب الحكمة البابلي(56) والمعروفة باسمها البابلى (لود- لول بيل- نميقى **Ludlul Bel Nemeqi**)**"**

(54) طه باقر: المرجع السابق، ص7-9 .
كانت الحياة الدنيا فى الفكر الدينى العراقى القديم مسرح حياة الآلهة والإنسان، وفى المقابل كان العالم الأسفل يعتبر عالم الأبدية بالنسبة لأرواح الموتى التى تقيم فيه إلى الأبد، أما عن الثواب والعقاب وأنواعهما كثيرة فكانا قاصرين كلية على الحياة الدنيا وليس بعد الموت، على خلاف المفهوم المصرى عن الحياة الآخرة الذى ينطوى على محاكمة بعد الموت والجنة والنار(الماجدى: إنجيل بابل، ص69،141-142)؛ ولمزيد من التفاصيل عن الثواب والعقاب فى الفكر الرافدى راجع: ل . ديلابورت: المرجع السابق، ص 169- 170؛ نائل حنون: عقائد ما بعد الموت، بغداد 1986، ص169-230؛ نبيلة محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص 190.
(55) راجع: فيصل الوائلى: المرجع السابق، ص 50؛ السواح: المرجع السابق، ص234-235.
(56) طه باقر: المرجع السابق، ص6؛ جاكبسون: المرجع السابق؛ ص 352؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 148. عرفت هذه النصوص باسم أدب الحكمة، والذى أرجع " ساكز" تاريخه

والتى تعنى: "سأثني على- أولأمجدن- رب الحكمة"[57] **أو"لامتدحن رب الحكمة"**[58].
ورب الحكمة هنا هو "مردوخ"، وتتألف من حوالي 450 سطراً[59] موزعة على أربعة رقم (ألواح)، وقد سمى هذا العمل بـ(أيوب البابلى)[60]، أو قصيدة التقى المعذب[61]. ويرجح أنها دونت فى الفترة الكاسية[62].

وكاتب هذا النص يدعى" شوبشى مشرى شكان **Shubshi-Meshre-Shakkan**"، ويرجح أنه كان نبيلاً أو أحد كبار رجال البلاط الملكى والدولة، وكان رجلاً ثرياً وعادلا ومقربا من الآلهة والملك وكانت سيرته حسنة، هجرته آلهته، فهاجمته المصائب الواحدة

المدون إلى الفترة بين عهد "ريم – سن " فى " لارسا" وحكم " امى صدوقا " فى بابل(ساكز: عظمة بابل، ص 484). ولمزيد من التفاصيل عن أدب الحكمة فى العراق القديم راجع :
W.Lambert,Babylonian Wisdom Literature. Oxford 1960.

(57) ساكز:المرجع السابق، ص492؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص253؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 497؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 147. ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع :
W.Lambert,Op.Cit,P.21-27; R. D. Biggs,:"Ludlul Bel Nemeqi","(in: Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press ,1950,P.596.
هناك ترجمة بالعربية لـ عبد الحميد زايد: ضمن سلسلة الوعى الأثرى التابعة للمجلس الأعلى للآثار كتاب (9) ، القاهرة 1987. وهذه الترتيلة تختلف تماماً عن تلك المسماة بـ" تسبيحة حمد لمر دوخ" التى كان الهدف منها هو تكوين حالة نفسية رضية عند الإله "مردوخ" عند إعادته إلى معبده بعد الانتهاء من الاحتفال بعيد أكيتو أو رأس السنة. لمزيد من التفاصيل عن هذه الترنيمة راجع: فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم، سومر، المجلد الحادى والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1965م، ص 45 وما بعدها .

(58) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 243 .

(59) المرجع نفسه، ص 243 ؛ وقد ورد عند "ساكز" أنهم (500) سطر(المرجع السابق، ص 492).

(60) المرجع نفسه، ص492. وأيوب البابلى غير أيوب التوراتى الذى ظهر بعد ذلك بفترة طويلة. (الماجدى : المرجع السابق، ص 147، 148). بينما لا يحبذ "ساكز" تسميته بأيوب البابلى (المرجع السابق، ص 492) .

(61) المرجع نفسه، ص492.
وعلى شاكلة قصة هذا التقى المعذب توجد أمثلة كثيرة فى الأدب البابلى ، فعلى أحد الألواح يشكو (بلطا- أرتوا) من أنه كان ملتزماً بأوامر معبوداته، ومع هذا حلت به الكثير من البلايا، ففقد أبويه، وخسر ماله، وحتى القليل الذى بقى معه سرق فى الطريق. ويعلل أصدقائه ذلك بأنه ليس إلا عقاباً له على خطايا خافية عنه ارتكبها فى حق معبوداته أو الناس. أو ربما جزاءً له لطول عهده بالرخاء، وهو ما يثير حنق وغضب المعبودات وحسدها. وأنه إذا ما استمسك بإيمانه ولم يكفر أو يجدف فى معبوداته سينال خير الجزاء، ثم يطلب من معبوداته العون والمدد، فتكون المفاجأة بالعفو والمغفرة. ونجد صدى لمثل هذه الصعاب فى قصيدة تقى آخر هو(تابى-أتول-أنليل) حين يتحدث عن نفسه وما لاقاه من صعاب، وكيف ينتهى به الحال إلى هذا المصير القاسى؟ ويكون جوابه أن لا أحد يعرف ما يخبئه له القدر.(راجع: ديورانت: المرجع السابق، ص256،257).

(62) ساكز: المرجع السابق، ص492؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 296؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 243.

تلو الأخرى، رغم كل تقواه وورعه، وما قدمته يداه من أعمال صالحة، فساءت به الأحوال، وتنكر له الدهر، واشتد عليه غضب وحنق مليكه، وحيكت ضده المؤامرات للإطاحة به من قبل رجال الحاشية لأخذ مكانه، ونُحى من جميع مناصبه. مما أصابه بالحيرة من أمر آلهته، ويجد نفسه فى أسوأ حالة[63]. وهكذا وجد هذا الإنسان فى قيمه الأخلاقية مقياساً راح يقيس به أفعال الآلهة متجرئاً بذلك عليهم، وظهر له ذلك التناقض فقد أدرك أن ليس هناك موازاة بين الإرادة الإلهية والأخلاق الإنسانية، ومن ثم كانت المشكلة الكبرى التى حيرته: لماذا تحيق الشرور وتنزل البلية بالرجل التقى الفاضل ؟ ومع ذلك يظل صابراً، وهو شبيه بالنبى الصالح أيوب؛ ولذلك يعتبر هذا النص من أعظم نصوص الحكمة فى العالم القديم، وهو يطرح مسألة عذاب الإنسان وخضوعه للمشيئة الإلهية، على شكل حوار أو مناجاة فردية[64]، وهى نفس الحالة التى كان عليها صاحب النص السابق "دعاء إلى جميع المعبودات"، وهو ما يرجح القول بأن النصين يتشابهان فى دوافع كتابتهما[65]. وفيما يلى عرض لأهم سطوره ذات الصلة بالأخلاق وخاصة فى اللوحين الأول والثاني[66]. يبدأ اللوح الأول من هذا النص بمقدمة قصيرة فى حث

(63) راجع: رمضان عبده: المرجع السابق، ص 243؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 296،297؛ ساكز: المرجع السابق، ص492؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497.

(64) جاكبسون: المرجع السابق، ص253،252؛ هارى ساكز: المرجع السابق، ص492؛ كريمر: المرجع السابق، ص 208؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 141؛ بخور الآلهة(دراسة فى الطب والأسطورة والدين)، عمان 1998، ص337.
كان موضوع "الإنسان المعذب" الذى تتكالب عليه كل مصائب الدنيا، رغم تقواه وورعه، مجالاً خصباً للكتاب السومريين والبابليين، وأهميته تكمن بارتباطه بمسألة فى غاية الأهمية، ألا وهى مسألة العدالة الإلهية. ورغم أن الآلهة خلقت البشر لخدمتها وعبادتها مقابل الحماية والسعادة فى الحياة، إلا أنها لم تكن قاعدة ثابتة، والدليل على ذلك تعرض بعض الأتقياء والصالحين من السومريين والبابليين للكثير من المصائب والكوارث، الأمر الذى يدعو إلى التساؤل كيف يمكن أن يصيب المرض والفقر والبؤس الأتقياء بينما غيرهم من الآثمين والأشرار يرفلون بالنعيم؟ (فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 292-293).

(65) الماجدى: إنجيل بابل، ص 141؛ السواح: المرجع السابق، ص236.

(66) عن النص والترجمة راجع :
Lambert,Op.Cit,P.32-62; Pfeiffer. Robert," I will praise the Lord of wisdom", in: Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press, 1950,P.434; R. D.Biggs, "Akkadian Didactic and Wisdom Literature", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament". Princeton University Press , 1950. pp. 596 – 600.
وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: السواح: المرجع السابق، ص234-235؛ وقارن هذه الترجمة بالترجمة التى قام بها الماجدى فى كتابه إنجيل بابل، ص 147 – 154؛ توفيق سليمان: المرجع السابق، ص 264-265؛ وقد قام بعض الباحثين بترجمة مقتطفات من هذه القصيدة راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص253وما بعدها؛ كريمر: من ألواح سومر، ص 210-213؛ ديورانت: المرجع السابق، ص257؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 297-304؛ سومر أسطورة وملحمة، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 2000م، ص 254-256؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص243-244؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497-498.

الإنسان على التزام تمجيد ربه وتعظيمه، وأنه يبغى مرضاته بالتضرع والاستغفار والتوبة، حيث نقرأ :

- **لأمجدن (لامتدحن أو سأثني على) رب الحكمة ، الرب المتفكر المتدبر (العليم) ،**
- **الذي يمسك بالليل ويطلق النهار .**
- **مردوخ اله الحكمة الرب المتفكر المتدبر ،**
- **الذي يكتسح غضبه كطوفان مدمر ،**
- **والذي يتسع قلبه رحمة وصدره مغفرة .**

ثم يخبرنا صاحبه كيف أن معبوداته "مر دوخ وزوجته صربانيت" قد تخلت عنه وأدارت له ظهرها، ثم تخلى عنه معبوده الشخصى الحارس(67)؛ ونتيجة ذلك حلت به ضروباً من الآلام والكوارث- دون سبب ظاهر أو معروف ورغم حياة الفضيلة والبر- وأولها ترك بيته وهيامه على وجهه، وتحولات أقرب الناس إليه حتى خادمه وخادمته، وما لمسه من معاملة سيئة وما سمعه بأذنيه فى الشارع، فصبر على كل ذلك(68). وفى ذلك يقول :

- **لقد تخلي (ابتعد)عني الهي واختفي ،**
- **لقد هجرتني إلهتي وابتعدت عنى ،**
- **وفارقني الروح الحارس (الملاك الصالح) الذي يرافقني .**
- **ذهبت عافيتى(قوتى) وأصبحت عارياً من العناية ووهنت رجولتى وراحت هيبتى.**
- **وظهرت أمامى إشارات المصير فخرجت من بيتى ومشيتُ هائماً ،**
- **رأسي المرفوع(العالى) الفخور طأطأ(انحنى) نحو الأرض ،**
- **وقلبي الجسور(القوى) قد تملك منه الخوف(أصبح هشاً) .**
- **وبعد أن كنت أخطو بفخر وعز، تعودت الانسلال كمجهول ،**
- **وبعد أن كنت سيداً محترما غدوت عبداً ذليلاً .**
- **إذا عبرت الطريق(حين أمشى فى الشارع) أشارت إلى الأصابع(الكل يشير إلى).**
- **أصدقائي أداروا لي ظهورهم (ابتعدوا عنى) ،**
- **وصحبي تحولوا إلى أشرار وشياطين ،**

(67) شاعت فكرة المعبود الشخصى Personal God أو المعبود الحارس (الملاك) فى العصور البابلية المتأخرة، وعرف باسم " لاماسو" المشتق من الاسم السومرى "لاما" الذى أو التى كانت تتشفع للشخص لدى المعبودات الكبرى وتقوم بحمايته اليومية، لذا وجب على المرء أن يطيع هذا المعبود الشخصى قبل غيره بأن يصلى له ويقدم له القرابين كل يوم، وهى تقابل القرين عند المصريون القدماء، وقد عثر على الكثير من الأختام الاسطوانية التى نقش البابليون أسماء معبوداتهم الحامية عليها. راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 242، 252؛ طه باقر: سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول ، بغداد 1946، ص6؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 262؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 148.

(68) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 252؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 149،148.

- **حتي عبيدي لعنوني في المجالس العامة ،**
- **وأهل بيتي عاملوني كنكرة وغريب .**
- **لا أحد يقف فى صفى (معى) ولا أحد يفهمني ،**
- **وممتلكاتي جري توزيعها على الأغراب والدهماء(وما كنت أملكه لم يعد معى) .**

إن هذه الصورة التى جسدها هذا النبيل البابلى تكاد تكون شبيهة جداً بالسطور التى حفظتها التوراة عن أيوب الذى كان هو الآخر رجلاً تقياً وورعاً ومحسناً، وكانت له ثروة طائلة (أيوب1:1-4). ومثل نظيره البابلى سرعان ما ابتلى أيوب على يد الشيطان ففقد كل شيء ماله وممتلكاته وأهله (أيوب1: 14-21). كما تنكر له -أيضاً- الأهل والأقارب والأصدقاء وحتى الخدم والعبيد (أيوب19 : 12-16). ورغم كل هذه المصائب التى ألمت بهما فهل ازدريا بالقضاء الإلهى ؟ وهل كفرا وجدفا ؟ كلا بل لوحظ حرصهما الشديد على إرضاء آلهتهما، فتقول التوراة أن أيوب **"... خر على الأرض وسجد، وقال عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً. فى كل هذا لم يُخطىء أيوب ولم ينسب لله جهالة"** (أيوب1: 20-22) [69]. أما"شوبشى مشرى شكان" فيتذكر تقواه المثالية حتى عجز عرافه ومفسر أحلامه عن تفسير ذلك. فنجده يخاطب ربه بالبكاء والتضرع ويندب قائلاً:

- **رفعت دعائي إلى(صرخت منادياً) إلهي فأشاح بوجهه عني، رجوته فصد وجهه،**
- **صليت إلى (رجوت) إلهتي فلم تُدر وجهها نحوي (فلم تلتفت) .**
- **حار العرافون ولم تفلح نبوءاتهم بشأني .**
- **ولم يفهم مفسرو الأحلام، بعد كل ما سكبوا من ماء القرابين، قضيتي**

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد لا بالنسبة لكاتبنا ولا بالنسبة لأيوب ففى اللوح الثانى من هذا النص، يواصل حديثه عن تعرضه إلى مزيد من العذاب والشقاء، ويُرجح أن إيضاح ما يمكن أن يحصل للمرء عندما تتخلى آلهته عنه هو غاية هذا النص، ويتبين هذا من أن غضب الآلهة عليه هو أساس ما حدث له، كما أنه يشير إلى فكرة الخطيئة[70] ضد الآلهة وأنواع هذه الخطيئة والتى قد تتمثل فى عدم تقديم القرابين للمعبودات أو تناول الطعام دون ذكر المعبود أو الحلف الكذب بالآلهة[71]. فيقول:

---

(69) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 298،299.

(70) شاعت فكرة الخطيئة لدى البابليين، ولم تكن مجرد حالة معنوية من حالات النفس، بل كانت كالمرض تنشأ من سيطرة الشيطان على الجسم، والذى كان فى مقدوره أن يهلكه (راجع: ديورانت: المرجع السابق، ص 226). ومن قبل اعتقد السومريون بأن الخطيئة وجدت بوجود الإنسان **"فما ولد لأم طفل بلا خطيئة قط" و"ما وجد طفل بلا خطيئة منذ الأزل".** فالآلهة وحدها العالمة بالخطايا، أما الإنسان فجاهل ومغرور ولا يعرف إلا القليل؛ ولذلك يقع فى العقاب" **أيها الإله أن أخطائى فادحة وذنوبى كثيرة الناس صامتون لا يعرفون ماذا يجرى،**

- **لقد صرت كمن لم يقدم لإلهه قرباناً .**
- **وصرت كمن لم يشكر إلهته عند كل طعام ،**
- **كمن فقد صوابه ونسي ربه ،**
- **وكمن حلف قسماً عظماً باسم إلهه كاذبا .**
- **رغم أنى كنت حريصا على الصلاة في كل وقت ،**
- **وكان يوم الصلاة عندي مسرة للفؤاد .**

هنا تبدو مشكلة صاحبنا وتتمثل فى أن بعض المعبودات قد تعامل الإنسان الذى قضى حياته فى عمل الخير والفضيلة كأنه آثم. ومن ثم فأنه ليس فى الاستقامة وحياة الفضيلة ما يضمن العافية والسعادة. بل كثيراً ما يبدو فى أن الاعوجاج والسوء طريقاً أمثل للنجاح، مما جعله فى حالة صراع مابين إنكار عقله وقلبه لما يحدث، فهل فى الإمكان تطبيق هذه القواعد الخلقية البشرية على الآلهة ؟ الإجابة بالنفى؛ لأن الإنسان ضيق الأفق وأصغر من أن يحكم على الأمور الإلهية. وليس له الحق فى مجابهة قيم الآلهة بقيمه الإنسانية. وقد قاده ذلك إلى طرح العديد من المسائل الفلسفية منها: مسألة معرفة مشيئة الآلهة فى السماء أو فى الأرض؟. وكذلك مسألة القدر وتصاريفه وكيف تتغير أحوال الناس بإرادته بين لحظة وأخرى؟. ثم مسألة المرض وفلسفته وكيف يحدث ؟ وكيف حول كاتبنا إلى إنسان يهذى ؟[72] وفى ذلك يقول ويتساءل:

- **وما يبدو للإنسان حسنا قد يكون في عين إلهه رديئا(حقيراً) ،**
- **وهل يعرف أحد(من منا يعرف) مشيئة الآلهة في السماء ؟**
- **هل يعرف أحد(ومن منا يعرف) خطط الآلهة على الأرض(الأعماق) ؟**
- **ومتي كان للبشر(ومن أين لنا معرفة) أن يفهموا أو يعوا طرق الآلهة ؟**

ويندب حظه قائلاً:

- **(واحسرتا) من كان منهم حيا في الأمس تراه اليوم ميتا .**
- **ومن كان مغموما(حزينا) لتوه تراه الآن يصخب مرحا .**
- **تارة يغني طربا(من فرط الفرح)، وكالندابات المحترفات يعول(ينتحب) تارة.**
- **(واحسرتا) كيف تنقلب أحوالهم بأسرع من طرفة عين .**
- **إذا جاعوا صاروا كأنهم جثث ساكنة ،**
- **وإذا شبعوا تراهم تشبهوا بالآلهة .**
- **في زمن اليسر يتحدثون عن ارتقاء السماء ،**
- **وفي زمن العسر يتحدثون عن هبوط أرض الفناء .**

والإنسان مهما كان ماذا يعرف، أنه لا يعرف فيما إذا قام بعمل خير أو عمل شرير". وفرق السومريون بين نوعان من الخطيئة أولهما: الخطيئة الدينية التى تثير غضب الآلهة. وثانيهما: الخطيئة الأخلاقية والسياسية التى كانت تعنى لهم المعصية المرتكبة ضد قوانين المدنية (الماجدى: الدين السومرى، ص 177).

(71) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 299؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 148،149.

(72) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 254،255؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 150.

- **لقد تأملت ذلك كله ولم أفهم له معنى .**

ويواصل حديثه عن تعرضه إلى مزيد من العذاب والشقاء ليس بمقدور أى إنسان أن يتصور مدى قسوته ويتحمل آلامه[73]قائلاً:

- **وها هى الأمراض الموجعة تنهش بقيتى ،**
- **والرياح الشريرة تعصف فى أفق حياتى .**
- **عيناى تنظران ولكن لا أرى أمامي ،**
- **وأذناي تصغيان ولكن لا أسمع حولى .**
- **غلب الضعف على جسدى .**
- **وداهمت العلل أجزائي وأوصالى .**
- **تصلبت ذراعاى وخارت ركبتاى ،**
- **ونسيت قدماى مشيهاً وحركتها ،**
- **وها صفرة الموت تغطى محياى ،**
- **ها جنازتي معدة وقبرى يناديني .**
- **وقبل أن تفارقني الروح توقف البكاء على .**

أما العذاب الذى لاقاه أيوب بعد أن فقد كل ما لديه من متاع الدنيا، فقد حفظت لنا التوراة صورة عنه هى الأخرى مؤلمة جداً وقاسية (أيوب2: 7-13). فقد أصيب بداء عضال لا يعرف سببه ولا يعرف لِم ابتلاه به الرب. وهكذا سارت الأمور لكلا الرجلين المعذبين من سيء إلى أسوأ، ومع ذلك كله فقد كان الصبر فى مرحلة العذاب الطويلة والإيمان المطلق بالعدالة الإلهية صفتين بارزتين فى كل من القصيدة البابلية وفى سفر أيوب[74]. ولئن بدا السؤال السابق للعقل خاطئاً للوهلة الأولى، فلن يُرضى القلب لإحساسه بالغبن، ومع ذلك أجابت القصيدة القلب بأن من أهم واجبات الإنسان الإيمان بالآلهة والأمل فيها فالمؤمن لن يعانى إلى الأبد. ووسط هذا الجو السوداوى والمفعم بالإحباط، وبعد أن يصل الرجل إلى ذروة اليأس، تحدث مفارقة غريبة، حيث تأتيه بشائر الخلاص من خلال ثلاثة أحلام كلها كانت تشير له بالشفاء، وتشير كذلك إلى أن تضرع صاحبنا لم يذهب سدى[75]. حيث نقرأ :

- **حلمت أن رجلاً طويل القامة ناصع اللباس ،**
- **كان مشعا ورهيباً وقف أمامى وقال لى أرسلتنى السيدة لأقول لك.**
- **وحلمت حلماً ثانياً ظهر فيه كاهن التطهير...**
- **وسكب على الماء وقرأ على تعويذة الحياة ودلك جسمى.**

---

(73) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 299.

(74) المرجع نفسه، ص 301،302.

(75) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 255،256؛ ساكز: المرجع السابق، ص 493؛ وعن تفاصيل تلك الأحلام وبقية النص راجع: الماجدى: المرجع السابق، ص 152-154.
Lambert,Op.Cit,P53-62

- **ورأيت فى الحلم الثالث امرأة رائعة الفتنة ..**
- **جلست قرب فراشى فقلت لها : من أجلى اطلبى الرحمة .**
- **فقالت : لا تخش شيئاً سأكون شفيعتك ورتلت : الرحمة لمن آلامه كآلامك ،**
- **أياً كان , ولكل من أتته هذه الرؤيا .**
- **وظهر لى.... مثل شاب ذى لحية وعمامة . وفى يده لوحة ويقول :**
- **أرسلنى مردوخ لأقول لك يا "شوبشى مشرى شكان" فرجك قريب .**

ثم يتدخل "مردوخ" ليُعيد إليه صحته وكرامته وممتلكاته، وبذلك يعود إلى وضعه وسيرته الأولى. وينتهى هذا النص- اللوحان الثالث والرابع- بمديح الإله"مر دوخ" وزوجته وملاكه الحارس، وبتنفيذ كل ما نذر به بإقامة الطقوس أمام معبد الايساجيل (إيساك إيلا) فى بابل وإقامة مائدة للطعام(76). وفى ذلك يقول:

- **أعطانى "مردوخ" علامة.**
- **إنتشلنى من مرضى وفك قيودى،**
- **ارتاح قلب إلهى وتقبل صلواتى**
- **ومنحنى النعمة وحل عقدة خطاياى ،**
- **وجعل الريح تحمل خطاياى.....**
- **فمن سيرى شمسه دون مردوخ ،**
- **ومن سيمضى طريقه دونه ،**
- **مردوخ الذى يبعث الموتى فأنشدوا له ومجدوه أيها البشر.**
- **وها عدت إلى متابعة السجود ،**
- **وعلى أبوابه ملاكى الحارس عاد ملاكى ....**
- **ووضعتُ أمامى البخور العطر وكدستُ القرابين والتقدمات،**
- **وضحيت بثيران سمينة وذبحت خرافاً وقدمتُ خموراً وعسلاً**
- **ولمردوخ وملاكى الحارس والكهنة والإيساجيل فرشت موائد طعام عامرة أفرحت الصدور.**

أما بالنسبة لوضع أيوب فقد انتهى صبره هو الآخر مثلما انتهى إليه صبر "شوبشى مشرى شكان" برضاء الرب، وإعادته سيرته الأولى مضاعفاً ومبيناً له حكمته التى لا تدركها العقول والأبصار فى كل ما خلق ودبر وقدر(77).

وبعد فهذه بلاشك تجربة قاسية على المستوى الاجتماعى والنفسى والصحى؛ جسد فيها الرجل صورة لعذابه النفسى والجسدى، ولكن على الرغم من تلك المأساة وطول مدتها، فقد ظل فى قرارة نفسه مؤمناً بأن ربه لن يخذله، وبأن اليوم الموعود قادم لا محالة محملاً برحمة "شمش"؛ ولذلك يُعد هذا النص خير تعبير عن الحالة السيئة(حياة القلق والمحن) التى وصلت إليها بابل إبان الحكم الكاسى، وقد أرجع البابليون ذلك إلى تقصيرهم وابتعادهم عن آلهتهم التى ابتعدت بدورها عن الشعب فنزلت به الكوارث

(76) الماجدى: المرجع السابق، ص 153،152،150؛ السواح: المرجع السابق، ص 239.
(77) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 304.

والمحن ودفعته إلى اليأس. وبرغم ذلك ظل الشعب مؤمنا بأن "مردوخ" هو المنقذ والغفور الرحيم الذى بيديه وحده أسباب إنقاذ الشعوب من محنها، وقد ورد هذا صراحة فى النص السابق، وهو واحد من أناشيد تظلم كثيرة شرح فيها الإنسان البابلى وضعه للآلهة راجياً إياها العفو والغفران(78).

ومن خلال هذه المأساة التى عاشها الشعب البابلى، نشأ نوع من أدب الحكمة ساد أوساط عامة الشعب، وتناول بموضوعاته جميع المفاهيم الخلقية والدينية اليومية، بعيداً عن مواقف الكهنة وفلسفتهم المعقدة فى فهم الحياة (79).

ورغم نقاط التشابه العديدة والأساسية بين قصة هذا النبيل البابلى وقصة أيوب التوراتى(80)، إلا أن مصدر الخلاف الوحيد بينهما يكمن فى دوافع الإلهين "مردوخ" و"يهوه". ويدعم ذلك النص البابلى الذى لا يذكر اسباب المصائب التي حلت بهذا الرجل الصالح، كما لا يذكر الأسباب التى من أجلها أيضاً تدخل مردوخ لإنقاذه وإعادته إلى طبيعته الأولى. أما فى قصة أيوب التوراتى، فالوضع مختلف حيث يوغر الشيطان صدر الإله على أيوب الصالح الثرى ويؤلبه عليه، ويقنعه بأن صلاحه وتقواه ليس إلا سبب النعمة التى يعيش فيها، فإذا زالت النعمة فالوضع سوف يتغير إلى النقيض فيرتد عن إيمانه بربه، ويكفر به. وتصل تلك الدراما إلى قمتها بحدوث ما يشبه الرهان بين الشيطان والإله يهوه، الذى ما لبث أن ابتلى أيوب بالمصائب ليعرف مدى صلاحه وتقواه، رغم أنه كان فى غنى عن هذا كله فهو الإله الأعلى العليم والمطلع على أفئدة عباده. أما النص البابلى فلم نجد فيه مثل هذه الدوافع المريضة، حيث نرى الإنسان ملتزماً بنبله الإنسانى، والإله ملتزماً بنبله الإلهى(81).

فى حين أن البعض الآخر لا يحبذ تسمية هذا العمل بأيوب البابلى، رغم معالجتهما لقضية واحدة وهى قضية العذاب، كما يريا أنه لا يمكن مقارنتها ومضاهاتها بأية حال بقصة أيوب التوراتية لتميز ما جاء بالتوراة وسموه على القصيدة البابلية فى سعة المدى، وعمق الفهم، وجمال التعبير(82). ومع ذلك تمثل هذه القصيدة أول محاولة مدونة للإنسان فى معالجة تلك القضية الضاربة بجذورها فى القدم إذ تسبق التوراة بأكثر من ألف

(78) توفيق سليمان: المرجع السابق، ص 263؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 148؛ وراجع أيضاً: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497 .

(79) توفيق سليمان: المرجع السابق، ص 265.

(80) راجع: ديورانت: المرجع السابق، ص 256، 258؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص 253؛ السواح: المرجع السابق ، ص 239؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 148ومابعدها؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 298-305 ؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497. وقد ظهرت أكثر من دراسة حول المقارنة بين أيوب التوراتى وأيوب البابلى راجع: كريمر: المرجع السابق، ص 207-214.

(81) السواح: المرجع السابق، ص 239؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص243-244.

(82) ساكز: المرجع السابق، ص 492؛ كريمر: من ألواح سومر، ص 208؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص 253.

سنة[83]. كما تذكرنا هذه القصيدة بذلك الحوار الرائع الذى سجله أحد الكتبة المصريين على بردية بين رجل يئس من الحياة وعيوب الدنيا فى عصره، وجعل روحه تتحدث إليه كأنها شخص آخر، وظل كل منهما يحاور الآخر، وشكا لها ضيقه من الحياة، وأنه تكفل بالدعوة بين الناس ولكنه لم يجد من بينهم مجيباً[84].

- **نماذج تبين عدم ارتباط الأخلاق بالدين:**

وعلى النقيض تماماً من النصوص الثلاثة السابقة التى تُمجد الأخلاق وتحُثُ عليها، هناك بعض النصوص المثيرة للجدل تبدو للوهلة الأولى أنها تدعو إلى التشكيك فيما يخص هذا الموضوع، بل وتذهب- أيضاً - إلى ماهو أبعد من ذلك إلى حد التشكيك بمصداقية الآلهة، بل وبوجود الآلهة نفسها وعدالتها، وهى عبارة عن نصوص حوارية منها: هذا النص الأدبى الذى يعرف باسم **الحوارية البابلية** أو **حوار العدالة الإلهية Babylonian Theodicy**(قصيدة العدل الإلهى) أو(**حوار ساكيل – كينم – اوبيب أو ساجل- كينا موبيب Saggil-Kenamoubbib**) الكاهن المختص بالتعاويذ، عابد الإله والملك، ويرجح أن تاريخ كتابته للحوار يرجع إلى عصر الملك" نبوخذ نصر"(604—562ق.م) أو إلى نهاية العصر الكاشى ربما إلى حدود 1000ق.م. ويتألف من حوالى(300) سطراً موزعة على (27) مقطع شعرى أو (دوراً Stanza)، وكل مقطع يتألف من أحد عشر بيتاً لكل منها[85]. وهو حوار ذو طابع فلسفى ويمتاز بالجرأة قياساً إلى عصره، وجرأته تتجسد فى كونه يشكك فى وجود قاعدة ثابتة يرتكز عليها مفهوم العدالة الإلهية فى الحياة الدنيا، وكذلك الخيار الأخلاقى، وهذه هى القضية الغاية فى الأهمية التى يركز عليها هذا الحوار، الذى يحتوى على العديد من الموضوعات: سبع منها حوارات – متنوعة- متبادلة بين (ساجل) المتشكك (المتألم أو المعذب) وصديقه المؤمن، وفى الثامن يعود المتشكك إلى رشده وإيمانه والتسليم بقدرة الآلهة[86]. وفيما

(83) كريمر: من ألواح سومر، ص 208؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 147.

(84) رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص 244. ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع: رمضان عبده: تاريخ مصر القديم، جـ1، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة 2001م، ص 593-594.

(85) ساكز: المرجع السابق، ص 493؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 294؛ رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص 242-243؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 141؛ السواح: المرجع السابق ، ص 239. ومن المرجح أن أقدم ألواحها جاءتنا من مكتبة "أشور بانيبال"، كما أن تاريخها لا يمكن أن يكون أقدم من الفترة الكاسية؛ لشيوع اسم "ساجل" فى الفترة الكاسية(عبد الهادى الفؤادى: من عيون الأدب العراقى القديم "الألهيات البابلية"، مجلة سومر، المجلد الحادى والثلاثون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1975، ص 55،56،60،61. وهى مقالة معربة من كتاب " لامبرت "(أدب الحكمة البابلى). W.Lambert,Op.Cit,PP.63-91.

(86) الفؤادى: المرجع السابق، ص 55،56؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 141،142؛ وراجع

يلى عرض لأهم سطوره ذات الصلة بالأخلاق[87]. يبدأ المتشكك **حواره الأول** موجهاً الكلام إلى صديقه المؤمن باثاً همه فالدنيا قد اسودت فى عينيه، ولم يعد يرى أملاً فى الخلاص، فقد جاء إلى هذه الدنيا يتيماً، وأصبح دون راع أو معين مما أصابه باليأس والقنوط قائلاً:

- **أيها الحكيم [.....] تعال ، دعنى أُخبرك .**
- **..... أنا فان ، وقد خيم على الهم ، ليس لى سوى الحزن ،**
- **إننى مذ كنت صغيراً أصابنى الحزن ومزقنى ،**
- **لقد أخذ القدر أقرب الناس إلى**
- **وها أنا أذهب إلى نفس المصير إنه قدرى المحزن ...**

وفى الحوار الثانى يوبخ الصديق المؤمن صاحبه المتشكك على يأسه وقنوطه، ويشير إلى أن موت والديه أمر طبيعى؛ لأنه نهاية كل البشر. أما الحياة القاسية التى يعيشها وما آل إليه من حال يرثى لها، وتتمثل فى ضعف جسده وشحوب وجهه، فيرد صاحبه المؤمن على ذلك بأنه يعتبر الرفاهية إنما تأتى نتيجة التقوى(وهو ما يكرره فى أكثر من موضع)؛ ولذلك ينصحه بتقديم القرابين والصلوات للآلهة لكى يسترد صحته وعافيته ويعود إلى سابق عهده[88] فيقول:

- **صديقى المحترم ، إن ما تقوله محزن .**
- **وإنك حقاً بهذا الطريق متجه إلى الموت بل إلى الشر ،**
- **وإن تصرفك هذا يشبه تصرف المجنون ،**
- **فقد أحلت وجهك المشرق إلى وجه عبوس،**
- **آباؤنا (أحبابك) ذهبوا فى طريق الموت وهذا أمر لابد منه ،**
- **والناس كلهم سيعبرون نهر (خبر)،الصالح فيهم**
- **وليس الغنى المتخم من يخدم الآلهة لأنه سيكون عندهم الملاك الحامى ،**
- **الشخص المتواضع الذى يخاف الآلهة لا يبدد ثروته .**
- **لقد أصبح جسمى حطاماً وخيم الهوان على،**
- **لقد أنكسر أملى وفقدت توازنى وضعفت قوتى وانتهت سعادتى،**

أيضاً: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498.

(87) عن النص والترجمة راجع:

Lambert,Op.Cit,P.70-89; R. D. Biggs,:" The Babylonian Theodicy "," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press , 1950.,P.601.

وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: الفؤادى: المرجع السابق، ص 63-73؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 141 – 147؛ وقد قام بعض الباحثين بترجمة بعض المتقطفات من هذا النص مثل: س.هـ. هوك: ديانة بابل وأشور، ترجمة نهاد خياطة، دمشق 1987، ص 168 وما بعدها؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 295-304؛ ساكز: عظمة بابل، ص493-494 .

(88) راجع: الفؤادى، المرجع السابق، ص57؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 294.

الأنين والأسى سود قسماتى وحقولى مجدبة
وشرابى الذى هو راحة الخلق لا يُفرح وطعامى لا يُشبع،
فأين هي الحياة المرفهة أين؟
... اتخذ طريق عبادة الآلهة وستطمئن نفسك ،
سترى أنك فى جادة الصواب وسوف يمنحك الرب عطفاً ورحمة.

أما **الحوار الرابع** فيجادل فيه المتشكك صاحبه حول السعادة فى الدنيا، ويقول له بأنها من نصيب الغير متدينين على العكس منه، وهو بهذا يُثير لب القضية فلماذا يكون الشر والبؤس دائماً من نصيب الأتقياء والأخيار؟ وفى هذا توكيد على اتجاه هذا المعذب على قضية حقيقة وجدوى العدالة الإلهية. ويرد عليه صاحبه بأن للآلهة أهدافها ومراميها، ويجب عليه احترامها، وأن عقله المحدود لم ولن يرقى إلى معرفة ما تخطط له الآلهة وما سوف تقدره[89] فنقرأ :

... نصائحك جميلة ،
ولكنى أُريد أن أقول لك أن أولئك الذين يهملون الإله يسيرون فى طريق الرفاهية
أما الذين يُصلون للإله فإنهم يصبحون فقراء وتُأخذ أموالهم،
لقد اتبعت أثناء شبابى آلهتى ،
وخشعت لإرادتهم ولكن الإله منحنى الفقر والذل عوضاً عن الغنى ،
لقد غدى الكسول رئيسى والأحمق قائدى والمحتال أصبح أعلى منى ...
... عليك أن تحترم شعائر الآلهة ،
وعليك أن تعرف بأن خطط الإله تشبه مركز السماء ،
وعليك أن تعرف أن أوامره ليست بقيودٍ وأفكاره فى متناول اليد قريبة .

أما **الحوار الخامس** الذى يليه فقد وصل فيه المعذب إلى ذروة اليأس، وقرر أن يرتكب الخطايا، وأن يدوس على قوانين وشعائر آلهته - على عكس ما قام به **"شوبشى مشرى شكان"** صاحب نص **" سأثنى على رب الحكمة"** الذى صبر على البلاء ولم يسب آلهته[90] - وأن يهجر بيته حيث يقول:

أننى سوف أهجر بيتي وما أملك
وأتجاهل قوانين الآلهة وأدوس على شعائرها ،
ولسوف آخذ سبيلى وأذهب بعيداً .... كقاطع طريق ....
أما السعادة فلا أمل لى فيها .
فيرد عليه صاحبه المؤمن بقوله:
لقد فقدت عقلك يا ساجل ،
الآلهة خلقتك وارتضت لك العمل سبيلاً ،
وعليك أن تقبل به وإلا فإنك فاقد عقلك لا محالة .

(89) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص295،293؛ الماجدى: المرجع السابق، ص143،142.
(90) راجع أعلاه ص 16.

وفى الحوار السادس والسابع يستمر المتشكك فى غيه ويقول لصاحبه المؤمن أنه لا مكان للفقير والمتواضع والضعيف، ولا للمؤمن فى هذه الحياة البائسة، وكيف أن تقواه وتدينه لم تجلب له سوى البؤس والفقر والحرمان. وهو حوار مثير إلا أنهما أخيراً توصلا إلى نتيجة نسفت كل حججهما التى بنيا عليها نقاشهما الذى بدآه بتحديد مدى مسئولية الآلهة عن نشر الحق والعدل بين البشر من عدمه، وقد ثبتت رؤيتهما سواء النظرية أو العملية. وهو تناقض واضح؛ ولذلك كان عليه أن يتبنى وجهة نظر معينة للخروج من ذلك، تتلخص فى أن الأشرار خلقتهم الآلهة على تلك الشاكلة[91]. ويرد عليه المؤمن بحزم بأن للحياة قوانينها وسننها، ومن الصعب فهم حكمة الآلهة؛ ولذلك ينبغى عليه البحث عن الحقيقة[92]. ويؤكد له:

- **أن الآلهة الذين خلقوا الإنسان ،**
- **ومنحوه الكلام هم الذين يقدرون مصائره ...**

أما الحوار الثامن فمثير للشجون حيث يفيق المتشكك من غيه، ويستجيب لنصائح صديقه المؤمن ويعود أدراجه إلى سيرته الأولى وإيمانه، ويلح على صديقه أن يستمر بالوقوف إلى جانبه، بل ويطلب مساعدة الآلهة[93] قائلاً:

- **إنك عطوف (ياصديقى) فانظر إلى حزنى!**
- **ساعدنى ، انظر إلى شقائى ، أفهمه !**
- **وأنا رغم كونى متواضعاً ، حكيماً متوسلاً .**
- **لم أر من يساعدنى أو يغيثنى**
- **فلقد عشت فى مدينتى بنفس عفيفة ولم يرتفع صوتى على أحد**
- **ولم أرفع رأسى غروراً بل كنت أنظر إلى الأرض**
- **عسى الإله الذى كان قد تركنى (هجرنى) أن يُعيننى ،**
- **وعسى أن تعطف على الآلهة التى كانت قد [هجرتنى] ،**
- **وعسى الإله (شمش) راعى الناس كلهم أن يعطف علىّ .**

والقارئ لهذا النص يلمس مدى حساسيته، والظروف التى كُتب فيها والتى يبدو منها أن الناس كانت تعيش أزمة روحية أخلاقية، فقد فقدوا ثقتهم بمعبوداتهم والتشكيك فيها بل وسبها؛ لذلك يلمس القارئ الجهد الواضح الذى بذله المؤمن مع صديقه المتشكك، وكما أن غاية نص" شكان" هو إيضاح ما يمكن أن يحدث للفرد عندما تتخلى عنه آلهته، فيرجح أن غاية نص "ساجل" دينية تعليمية وتقوم على المنهج العقلى[94].

(91) الفؤادى: المرجع السابق، ص59 ؛ ساكز: المرجع السابق، ص 494.
(92) راجع: الفؤادى: المرجع السابق، ص58؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 144.
(93) المرجع نفسه، ص 144.
(94) المرجع نفسه، ص 144،145.

وعلى شاكلة نص "ساجيل"، يوجد نص بابلى حوارى آخر لكنه ذو منهج مغاير وخصائص تختلف تماماً، والنص يقوم على المنهج السفسطائى، وهو يحتوى على محاورة سفسطائية، تقص سلسلة من التحولات والتبدلات بين السيد وعبده، حيث يسأل السيد العبد رأيه فى كل مرة ينتوى فيها القيام بعمل معين سواء بالسلب أو الإيجاب نرى العبد يثنى على السلوكين[95]. وهو ما يدل على التحول الذى طرء على المجتمع العراقى فى الألف الأول ق.م. التى كانت أحد أبرز سماتها التشكيك بالقيم الاجتماعية السائدة، والرفض التام لفكرة الحياة الفاضلة[96]. ولذلك يعتبر هذا النص من أكثر النصوص الأدبية إثارة وطرافة، وطرافته تتجسد فى كونه يشكك فى وجود قاعدة ثابتة يرتكز عليها الخيار الأخلاقى، وعبثية الحياة وعدم استقرار قيمها، أى أنه من أدب السخرية والتشكيك والتشاؤم[97].

والنص معروف بعنوان: **"حوارية السيد والعبد"**[98] أو**"حوار بين سيد وعبده"**[99] أو**"حوار بين عبد وسيده"**[100] **"تقلبات السيد والعبد"**[101]، أو **محاورة التشاؤم**[102]. وفيما يلى عرض لأهم سطوره ذات الصلة بالموضوع[103]: يبدأ النص بوصف الحالة

(95) ساكز: المرجع السابق، ص 494.
(96) جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498.
(97) راجع: أحمد أمين سليم: الأسرة فى العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح "، الإسكندرية 1985، ص36 ؛ السواح: المرجع السابق، ص 239-240؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 135،144.
(98) السواح: المرجع السابق ، ص 240.
(99) جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498؛ أحمد أمين سليم: المرجع السابق ، ص36.
(100) رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص244.
(101) الماجدى: المرجع السابق، ص 135.
(102) جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ ساكز: المرجع السابق، ص 494 . Lambert,Op.Cit,PP.139.
(103) عن النص والترجمة راجع :
Lambert,Op.Cit,PP.144-149; Pfeiffer. Robert H ,"A pessimistic Dialogue between Master and sarvant"," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press,1950.,P.437; R. D.Biggs, Op.Cit.PP 600-601; E.A. Speiser," The Case of the Obliging Servant" JCS,VIII(1954),P. No.3.
وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: السواح: المرجع السابق ، ص240-242؛ الماجدى: المرجع السابق ، ص 135-140؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص 257-259؛ وقد قام العديد من الباحثين بترجمة مقتطفات من هذه الحوارية منهم: فاضل عبد الواحد: سومر أسطورة وملحمة، ص 256-259؛ رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص244-246؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498-499؛ أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص 36-37.

الاجتماعية التى كانت عليها بلاد النهرين آنذاك، وتبدلها إلى الأسوأ فالظلم والفوضى قد انتشر وعم الفساد فضاعت القيم وانهارت العدالة. حتى وصل الأمر بالناس إلى اهتزاز ثقتهم بمعبود اتهم والتشكيك فيها بل والتهكم عليها[104] جاء فيه:

- **الحاكم يظلم المحكوم والغنى ينهب الفقير والسيد يمتهن العبد ،**
- **لقد تبدلت الحياة**
- **وحيثما كانت فرصة للمحكوم بضرب الحاكم**
- **أو للفقير بالتحايل على الغنى فإنهما يفعلان ذلك .**
- **حيثما كانت فرصة لتملق العبد للسيد ظهرت حكاية هنا وهناك**
- **لقد ضاعت القيم تماماً ولم يعد هناك ما ينطق بالعدل ،**
- **هل اختفت** المعبودات **؟**
- **ألم تعد تقدر مصائر البشر والطبيعة ؟**
- **هل تخلت** المعبودات **عن الإنسان واهتز ميزان شمش ؟**

ويحتوى هذا النص على العديد من الموضوعات: أربع منها حوارات – متنوعة- متبادلة بين السيد وعبده، تدور حول أنماط مختلفة من السلوك الاجتماعى للسيد كالذهاب إلى القصر للتقرب من أهله، وتناول الطعام، الذهاب للصحراء، التعامل مع الخصم. أما الموضوع الخامس فيدور حوار طويل بين السيد وعبده حول العديد من القيم وتقلباتها ومن بينها حياة الثورة والتمرد، وممارسة الحب، وعن التقوى والإيمان بالآلهة[105] جاء فيه:

- **أيها الخادم ، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى ، نعم**
- **سأمارس أعمالاً غير مستقيمة(سأتمرد وأحمل السلاح) .**
- **افعل ذلك، افعل(تمرد يا سيدى تمرد). فإنك إذا لم تأت أعمالاً غير مستقيمة(تتمرد)، من أين لك بلباسك ، ومن يقدم لك ما يملأ معدتك .**
- **كلا أيها الخادم . لن أمارس أعمالاً غير مستقيمة(أحمل السلاح) .**
- **لا تمارس عملاً غير مستقيم(لاتحمل السلاح)، سيدى، لا تفعل ذلك(لاتحمل السلاح). من يفعل ذلك إما أن يقتل أو يسلخ جلده . وإما أن تقتلع عيناه أو يرمى فى السجن .**
- **وعن ممارسة الحب يقول :**
- **أيها الخادم ، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى ، نعم .**
- **سأمارس الجنس(الحب) مع امرأة .**
- **افعل ذلك سيدى، مارس الجنس(الحب) مع امرأة؛ فإن مضاجعة النساء تنسى الرجل همومه ومتاعبه .**
- **كلا أيها الخادم، لن أمارس الجنس(الحب) مع امرأة .**

(104) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 136.
(105) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 138.

- **لا تفعل ذلك سيدى ، لا تفعل . فالمرأة شرك ، وحفرة (إنها السيف)، وخندق إنها خنجر حاد(سيف بتار) يحز(يذبح) رقبة الرجل[106] .**

وعن التقوى والإيمان بالآلهة :

- **أيها الخادم ، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى ، نعم .**
- **اجلب لى ماء لأغسل(لأطهر) يدى وأقدم قرباناً لإلهي .**
- **قدم قربانك سيدى، قدم قربانك. إن من يقدم لإلهه القرابين يقدم له قرضاً، وينام مرتاح البال .**
- **كلا أيها الخادم، لن أقدم قرباناً لإلهي .**
- **لا تقدم قربانك سيدى، لا تقدم قرباناً. لأنك إن لم تفعل ستجعل إلهك يحوم حولك مثل الكلب.**

وفى حوار آخر يغلب عليه الطابع الاقتصادى، ويدور حول إقراض الأموال وتوظيفها يستمر العبد فى نفاق ومداهنة سيده[107] حيث يقول :

- **أيها الخادم، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى، نعم .**
- **سوف أقرض للناس مالاً(سأوظف أموالى) .**
- **أقرض الناس مالاً سيدى، أقرض مالك. إن من يقدم قرضاً يحافظ على محصوله من الحبوب، ويجنى فوق ذلك فائدة على ماله .**
- **كلا أيها الخادم، لن أقرض الناس مالاً .**

---

(106) راجع: أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص36؛ وهذا الخطاب يذكرنا بخطاب جلجامش المُهين لعشتار عندما حاولت إغوائه، وعرضت عليه الحب والزواج، فقد رفض هذا الحب بل عدد لها ما فعلته بالرجال من قبله وخيانتها لمحبيها، والمصير المآساوى الذى آل إليه كل عشاقها، أما هو فلم يعد صيداً سهلاً لها. فقد قال لها فى اللوح السادس من الملحمة الأكادية : **ماذا على أن أعطيك لو اتخذتك زوجة ؟ ...وأى خير سأناله لو اتخذتك زوجة ؟ أنت ما أنت إلا الموقد الذى تخمد ناره وقت البرد ... أنت من أنت حفرة بغطاء يخفى غطاؤها كل غدر، أنت من أنت قار يلوث حامله، أنت من أنت قربة ماء تبلل حاملها ..الخ** راجع: كريمر: من ألواح سومر، ص 316 ؛ ساكز: المرجع السابق، ص 449-450؛ أ.كلينكل – براندت: رحلة إلى بابل القديمة، ترجمة زهدى الداوودى، ط 1، دار الجيل، دمشق 1984م ، ص 180؛ السواح: الأسطورة والمعنى، ص 219؛ جلجامش – ملحمة الرافدين الخالدة، دمشق 1996، ص52،51؛ ألبرت شوت: ملحمة جلجاميش، ترجمها عن الألمانية عبد الغفار مكاوى وراجعها عن الأكدية عونى عبدالرؤوف، سلسلة آفاق عالمية (23) القاهرة 2003م، ص 152-153؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 218،219.

J.H.Tigy, The Evolution of the Gilgamesh Epic, University of Pennsylvania 1982,P.24.

(107) راجع: الماجدى: المرجع السابق، ص 139.

- **لا تقرض مالك سيدى لا تقرض . فتقديم القرض سهل كممارسة الجنس، ولكن سداده صعب كالحمل والإنجاب. سيفيد الناس من قرضك ثم يتذمرون عليك، ويحبسون بعد ذلك فائدة أموالك .**

وعندما ينتقل الحوار إلى المساهمة فى الأموال العامة، نجد العبد يثنى على السلوكين السلبى والايجابى للسيد، لكنه يقدم صورة بلاغية رائعة عن عبثية الحياة فى نتائجها الأخيرة [108]حين يقول :

- **أيها الخادم، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى، نعم .**
- **سأقوم بعمل صالح يخدم بلادى(سأسهم فى الأموال العامة).**
- **افعل ذلك(ساهم) سيدى، افعل(ساهم). لأن من يقدم لبلاده خدمة يجزيه بها الإله مردوخ.**
- **كلا أيها الخادم، لن أقوم بعمل صالح يخدم بلادى(لن أساهم في الأموال العامة) .**
- **لا تفعل ذلك سيدى، لا تفعل. اذهب إلى خرائب المدن القديمة وتمش بينها. انظر إلى جمجمة الإنسان الوضيع وجمجمة الإنسان العظيم هل تستطيع التفريق بينهما ؟ هل تستطيع التمييز بين من قدم خيراً(الصالحون) لبلاده ومن قدم سيئه(الأشرار) ؟**

أى أن فعل الخير والشر سيان، فلن يستطيع أحد أن يحدد من فعل الخير ومن فعل الشر فكلهم منسيون وفى مدن منسية[109]. أما الموضوع الأخير من هذه الحوارية فيكشف عن الحقيقة المرة، وهى أن السيد فى واقع الأمر هو العبد؛ لأنه لا يستطيع الاستغناء عن العبد فهو مقيد به. وتلك هى المأساة الساخرة التى تخفيها هذه الحوارية، وفيها يتخلص العبد من حالة النفاق المستمر ويعرض رأياً مستقلاً عندما يسأله سيده بصورة مباشرة عن العمل ذو القيمة حقاً[110]:

- **أيها الخادم، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى، نعم**
- **ما هو الخير فى رأيك إذن ؟**

وفى النهاية يكتشفان أن ليس هناك خير مطلق فى هذه الحياة، والكل باطل. وإذا كان الأمر كذلك، فلم يبق إلا الموت وهو الحقيقة المؤكدة فكان جواب العبد[111]:

- **أن يُدق منى ومنك العنق(تكسر رقبتى ورقبتك)**
- **ونرمى فى النهر فذلك جيد(ذلك هو الخير).**

ثم يواصل العبد كلامه بقول قديم يعبر عن صبره أو بالأحرى عن عجزه واستسلامه للأمر الواقع[112] :

---

(108) المرجع نفسه، ص 139.
(109) جاكبسون: المرجع السابق، ص 258.
(110) ساكز: المرجع السابق، ص 494؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 140.
(111) جاكبسون: المرجع السابق، ص 258.

- **فمن يستطيع فى هذه الحياة أن يتطاول فيرقى إلى السماء،**
- **أو يتسع فيحيط بالأسفل(بالأرض)[113].**

غير أن السيد يغير رأيه مرة أخرى وقد تملكته روح الجبن والأثرة، وأراد أن يغرر بعبده حين يقول له[114]:

- **كلا أيها الخادم، سوف أقتلك وأجعلك تسبقنى .**

ولكن العبد بدهائه يرد على سيده، ولسان حاله يقول طالما أن الكل باطل، وأن ليس هناك من فائدة تُرجى وخيرُ فى هذه الحياة، فأى نفع للسيد من إطالة حياته بعد عبده، وكيف يتحملها ولو ثلاثة أيام أخرى؟ وفى هذا إشارة إلى عجز سيده عن البقاء بدونه عجزه عن التفكير وعن التنفيذ بمفرده[115]فيقول:

- **إذا فعلت ذلك فإنك لن تعيش بعدى أكثر من ثلاثة أيام.**

والواقع أن القارئ للنص بإمعان يتبادر إلى ذهنه للوهلة الأولى الأزمة الروحية والأخلاقية التى كان يعيشُها الناس فى هذه الفترة، فقد تطاولوا على معبود اتهم وفقدوا الثقة بها، بل وصل الأمر إلى حد التشكيك فيها. وهو على غرار الحوارية البابلية، ويدعم ما ذكره نص "ساجيل". ولكن الفرق بينهما أن العبد فى محاورة التشاؤم عندما يُسأل لا يُقدم النصح الحقيقى لسيده بل يمتدح السلوكين الإيجابى والسلبى لسيده، وربما يُعزى ذلك إلى تملق العبد لسيده أو لكون العبد لا يرى اختلافاً بين السلوكين، على عكس الصديق المؤمن فى الحوارية البابلية السابقة الذى كان دائم النصح لـ "ساجل المتشكك" وفى النهاية يعود المتشكك إلى رشده وإيمانه والتسليم بقدرة الآلهة. وبينما يعبر سلوك العبد عن موقفاً عدمياً من الحياة ربما بسبب مكانته الدونية أمام سيده[116]. لا يعبر هذا النص عن وجود اتجاه عدمى من مسألة الأخلاق فى الثقافة الرافدية، بل إنه يؤسس بالفعل لأخلاقيات تعتبر مقدمة للتساؤلات الفلسفية اللاحقة حول ماهية الخير[117]. وبينما يرى "ساكز"[118] و"سبا يزر"[119] أن نص محاورة التشاؤم هو معالجة هزلية لقضايا فلسفية مثل أهمية الحياة والهدف منها ؟ وأنها ذات غرض هزلى أو سخرى. لا

---

(112) المرجع نفسه، ص 258؛ السواح: الأسطورة والمعنى، ص 242.

(113) هذا التعبير شائع فى الأدب العراقى القديم، ويعبر عن عجز الإنسان وقلة حيلته تجاه عالم المقدسات "القوى الماورائية أو الكوائن العليا" أو قوى الطبيعة، وهو على شاكلة تعبير "جلجامش" فى النص السومرى: جلجامش وأرض الأحياء، الذى يقول فيه: **فالإنسان مهما علا لن يبلغ السماء طولاً. ومهما اتسع لن يغطى الأرض عرضاً .**

راجع: السواح: جلجامش، ص43؛ الأسطورة والمعنى، ص 242 الحاشية(*) .

(114) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 499.

(115) جاكبسون: المرجع السابق، ص 259؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 499.

(116) الماجدى: المرجع السابق، ص 136.

(117) السواح: المرجع السابق، ص 242.

(118) المرجع السابق، ص 495.

(119) Op.Cit.,P. 98-105.

يشاطرهما "فاضل عبد الواحد على"[120] الرأى فى أن هذه القطعة هى ذات غرض هزلى أو سخرى، كما أنها لا تبدو أيضاً حوار مع متشائم، كما تعارف عليها معظم الباحثين، بقدر ماهى حوار فلسفى مفاده أن الخير والشر مفهومان نسبيان، يتغيران من حالة إلى أخرى، وأن ليس هناك خير مطلق أو شر مطلق؛ ولذلك تعد من أقدم المحاولات المدونة لبحث ومناقشة مسائل فلسفية أساسية مثل الخير والشر[121].

وإذا كانت الـ(مى أو مه) تمثل النظام الأخلاقى السارى فى الكون والمجتمع والفرد، فإن بعض نصوص الأدعية والصلوات السابقة، وكذلك الحكم والوصايا التى كانت تتردد على أفواه حكماء بلاد النهرين[122]. كانت بمثابة النظام الأخلاقى المكتسب والذى يتوجب تعلمه، وهى النصائح والتحذيرات والخبرات التى تجمعت لديهم خلال حياتهم الطويلة، وقد ورثوا جانباً منها عن أجدادهم، والجانب الآخر ثمرة تفكيرهم الخاص من حياة مليئة بالصعوبات، وغالباً ما أورثوها إلى أبنائهم بغرض أن تكون تعاليم اجتماعية شاملة تجمع بين أمور الدين والدنيا. ومن خلال نصوص الحكم والوصايا الكثيرة يمكن الوقوف على جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية والدينية للمجتمع العراقى القديم، والتى تُكمل الصورة العامة للحياة الأخلاقية فى بلاد النهرين[123].

ومن هذه النصوص: النصائح، التى غالباً ما تتضمن سلسلة من الجمل المفيدة تحمل النصح حول السلوك الخلقى، وتقدم كنصيحة من والد إلى ابنه. منها هذا النص، المكتوب باللغة السومرية يحث فيه الأب ابنه على طاعة أمه :

- **أطع كلام أمك كأنه أمر إلهى .**

فدائماً ما يوصى العراقى القديم بأن: "اسمع كلمة أمك كما تسمع كلمة إلهك"، "احترم أخاك الأكبر"، "اسمع كلمة أخيك الأكبر كما تسمع كلمة أبيك"، "لا تغضب قلب أختك الكبرى" [124]. ثم يحذر الأب ابنه من الغضب ومن الردود الانفعالية جاء فيه:

- **لا تدع الغضب يظهر على وجهك فى أثناء الخصام .**

---

(120) : "من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين"، سومر، المجلد السادس والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1970م، ص 88 حاشية (2،3) .

(121) المرجع نفسه، ص 88 حاشية (2،3) .

(122) اشتهر "أحيقار" بأنه حكيماً آشورياً بل من أبرز حكماء بلاد النهرين، وكان مستشاراً فى بلاط الملكين "سنحاريب" (704-681ق.م) و"أسرحدون" (680-669ق.م)، وجاء ذكره فى سفر "طوبيا" وفى نصوص عبرية وسريانية وأرمينية وعربية، وقد عثر على مجموعة من لفائف البردى مدونة بالخط الآرامى فى جزيرة فيله تحتوى على نص حكمة أحيقار، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد. لمزيد من التفاصيل راجع: (فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 180،181؛ الماجدى: أنجيل بابل، ص 298؛ رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، جـ1: إيران – العراق، دار نهضة الشرق القاهرة 2002، ص 271،297) .

(123) راجع: ساكز: المرجع السابق، ص 495؛ السواح: المرجع السابق، ص 242.

(124) جاكبسون: المرجع السابق، ص 239.

- **إذا نشب الخصام كالنار ، تأكد أنك تعرف كيف تطفىء(اللهيب)...**
- **إذا قال لك احد كلاماً عدائياً فلا ترد عليه بالمثل ،**
- **فذلك (يتضمن نتائج) وخيمة .**
- **إذا حكمت على شيء فلا ترفق ذلك باستهجانك (الشخصى)**[125].

ومثل هذه النصائح كانت شائعة فى الأدب المصرى القديم مثل تعاليم ونصائح الملك "خيتى" لابنه "مرى كا رع"، وكذلك ما جاء فى الإصحاح الـ (30) من سفر الأمثال بالعهد القديم[126].

ومن الحكم، التى يمكن أن تكون ذات صلة بالموضوع - والمكتوبة باللغة الأكدية - وقد وردت فى نص يثنى على الإلهة "نانشة" باعتبارها حامية القيم الخلقية جاء فيه:

- **الملك الذى يحب العدل ...**
- **يفرض العقوبة على الطرف المذنب ...**
- **بعد أن يكون قد قوم الشهادات الخاصة ورأى القرارات الخاصة**[127]**...**

وهاك مثال آخر من نص دون باللغتين السومرية والأكدية يحث على البعد عن الرذيلة والتمسك بالفضيلة والأخلاق جاء فيه:

- **من ينام مع (يلقح) زوجة رجل فذنبه عظيم**
- **من يقسم بأنه سيعمل أعمالاً رديئة ، من يشتم**
- **من يصف عائلته (إخوته) بكلمات شائنة ،**
- **من يظلم التابع ،**
- **من يسلم الضعيف إلى القوى ...**
- **يستحق الملامة (؟)**[128].

أما نصوص "وصايا الحكمة" فتأخذ شكل النصائح، وغالباً ما تكون من أب إلى ابنه، وتحتوى على تعليمات مادية تخص سلوك المرء فى المجتمع، أو توجيهات ذهنية وأخلاقية ذات قيمة روحية رفيعة منها هذا النص: الذى ربما يعود تاريخه إلى العام 700ق.م فى عهد الملك "سنحاريب"، وقد أرجع البعض تأليفه إلى أقدم من ذلك ربما إلى العهد البابلى القديم أو العهد الكاشى[129]. وهو من النصوص الطويلة، ولا يمكن عرضه بشكل كامل. وسوف نستشهد بأهم سطوره ذات الصلة بالأخلاق[130]. فيها يوجه الأب

---

(125) ساكز: المرجع السابق، ص 485.
(126) المرجع نفسه، ص 485 .
(127) المرجع نفسه، ص 485 .
(128) المرجع نفسه، ص 486 .
(129) المرجع نفسه، ص 495؛ السواح: المرجع السابق، ص 242.
(130) عن النص والترجمة راجع :
Pfeiffer. Robert," Akkadian Proverbs and Counesls",in:Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press , 1950,P.426-427;
وعن الترجمة العربية لهذه السطور من النص راجع: السواح: المرجع السابق، ص 242-243.

نصائحه وتعاليمه إلى ابنه - فى الجزء الأول - بأن يتكلم بحذر ويتجنب التجديف والزور والقذف قائلاً:

- **اكبح جماح فمك ، راقب كلماتك .**
- **وكما يحافظ الرجل على ثروته احفظ شفتيك .**
- **لا تتفوه بما لا يفيد ولا تعط نصيحة فى غير محلها .**
- **لا تصنع بخصمك شراً .**
- **ومن يبادرك بسيئة كافئه بحسنة .**
- **واجه عدوك بالعدل ولا تظلم .**
- **لا تترك قلبك نهبة لإغواء العمل السيئ .**

وفى **الجزء الثانى** يستمر فى إسداء النصح لابنه بأن يطعم الجائع ويسقى الظمآن، وأن يكون أميناً على بيت خزائن أميره ويحاذر من فرص الاختلاس لأسباب خلقية قائلاً:

- **أعط الطعام لسائله وشراب البلح لطالبه ،**
- **ولا ترد طالباً لصدقة أو ثوب .**
- **ففى ذلك مرضاة للإله شمش ، وبه يُجزي حسنة .**
- **كن مصدر عون لإخوتك، صانعاً للخير .**
- **أى بنى . إذا اختارك الأمير لخدمته .**
- **حافظ على ختمه محافظتك على نفسك .**
- **وإذا فتحت خزينته وولجت إليها ،**
- **سترى أموال لا يمكن عدها ،**
- **فغض الطرف عنها ولا يُراودك طمع بها .**

أما فى **الجزء الثالث** فيحذره من الغلظة فى الكلام والقول وعدم الافتراء على أحد لأن ذلك يجعله عرضة لغضب الإله وفى ذلك يقول:

- **لا تغلظ فى الكلام ولا تفتر على أحد ،**
- **من يغلظ القول ويفتر على الناس ،**
- **يعاقبه الإله شمش ويلاحقه طالباً رأسه .**

كما يحثه على عبادة آلهته(أن يصلى لها)، وأن يقدم لها القرابين بانتظام، فطريق الطاعة والخدمة والعبادة هى طريق التمتع بحماية الآلهة، وهى كذلك الطريق إلى النجاح فى الدنيا وفيها خيره فيقول:

- **عليك أن تصلى وتتضرع وتكرم**
- **كل يوم : وسيكرم (؟) ريعك ،**
- **....**
- **القرابين تطيل الحياة**
- **والصلاة تغسل الذنوب** [131].

ومن الوصايا تلك التى تحث على الآتى:

(131) ساكز: المرجع السابق، ص 496 .

- **لا ترتكب جريمة فلا يقلقك خوف الإله.**
- **لا تتحدث بالشر، فلا يدخل الحزن قلبك.**
- **لا تعمل الشر فلا تلاقى مصاعب دائمة**[132].

وهناك أشياء أخرى كثيرة فى هذا الاتجاه مثل الأقوال المأثورة:

- **عندما تكون متدبراً ، فإن إلهك لك .**
- **وعندما لا تكون متدبراً فإن إلهك ليس لك**[133].

وكما أن الأمثال- التى نشأت من خلال تجارب الشعوب عبر مسيرتها الطويلة - تعد خير وسيلة تعبر بها الأقوام عن مشاعرها وعن مثلها وقيمها، وهى عبارة عن جمل وعبارات قصيرة ذات أسلوب لاذع وتشمل موضوعاتها كل مناحى الحياة[134]. فقد كانت نصوص الأمثال السومرية والبابلية والآشورية جزءاً مهما من نصوص الحكمة، ويعد "أحيقار" أبرز شخصية فى العراق القديم اهتمت بالأمثال[135]. وتحث مجموعة منها على الأخلاق كالتضحية ونكران الذات من أجل من تحب كما فى الحالة التالية:

- **" من تُحبُ ، فأنت تتحمل عبوديتـ(ـهُ)!"** [136].

ونمط آخر من التضحية تتجلى فى أسمى معانيها فى الأبوة والأمومة وحنانهما من اجل ابنائهما فى المثل السومرى التالى:

- **"البقرة (تسير) فى المستنقع (إلا) أنها تترك العجل يسير فوق الأرض اليابسة!"**[137].

كما يوضح المثل التالى جوهر الطبيعة الإنسانية وجمالها عندما يتباهى الآباء بحب أبنائهم، مهما كانت نواقصهم وعيوبهم:

- **" تتحدث الكلبة قائلة بفخر: إذا كان لأطفالى لون ضارب إلى الصفرة أو لون داكن (فمهما يكن من شىء) اننى أحب صغارى!"** [138].

وكذلك الدعوة إلى المجتمع الفاضل من خلال الحث على الزواج المبكر واختيار شريكة العمر بوازع من الحب والرغبة الإنسانية وفى ذلك يقول المثل السومرى:

- **" تزوج حسب اختيارك ، وأنجب أطفالاً كما يرغب به قلبك ! "** [139].

---

(132) المرجع نفسه، ص 496 .
(133) المرجع نفسه، ص 496؛ وراجع أيضاً: الماجدى: إنجيل بابل، ص 298.
(134) عبد الهادى الفؤادى: بحث فى الأمثال العراقية(دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقى القديم والمعاصر-1- سومر، المجلد التاسع والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1973، ص 83 ؛ - القسم الثانى-، سومر، المجلد الثلاثون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1974م، ص 27.
(135) الماجدى: المرجع السابق، ص 298. وعن "أحيقار" راجع أعلاه حاشية (122) من البحث .
(136) الفؤادى: سومر، م 29، جـ 1،2 ، بغداد 1973، ص89.
(137) المرجع نفسه، ص 90.
(138) المرجع نفسه، ص 91.

وعن الأسرة، وأهمية التعاون والتآزر بالنسبة لخلق علاقات وطيدة بناءة بين أفراد الأسرة الواحدة لبناء كيانها نقرأ:

- **" عندما تُضاف يد إلى يد ، فان بيت الإنسان يبنى ... !"** (140).

ويؤكد مثل آخر على أهمية صلة القربى بين أفراد الأسرة الواحدة على ما سواها من روابط أخرى حتى الصداقة:

- **" الصداقة تدوم ليوم واحد ، وصلة القربى تدوم إلى الأبد!"** (141).

وليس معنى هذا إنكار للصداقة؛ لوجود أمثال أخرى تؤكد على أهمية وجود الصديق وقت الشدة حيث نقرأ:

- **" عندما تهان ، دع صديقـ(ك) يعمل!"** (142).

وتحذر بعض الأمثال من الظواهر السلبية الموجودة فى المجتمع مثل: الشخصية المستغلة وهى شخصية كريهة منبوذة ففى ذلك يقول المثل السومرى القديم(143):

- **" أنت لا ترجع ما كنت قد أخذت"**(144).

وعبر مثلُ آخر عن هذه الشخصية العفنة لكن بصيغة استفهامية استنكارية مؤكداً على أن هذا السلوك بغيض، ولن يرقى أو يعزز مكانة صاحبه.

- **" دع ماهو لى يبقى كما هو، دعنى آكل ماهو لك، فهل هذا يعزز المرء من مجتمع أصدقائه!؟ "** (145).

والتحذير من الشراهة فى الأكل وأثرها فى الصحة العامة يقول المثل السومرى:

- **" من يأكل كثيراً جداً فلا (يتمكن من أن) ينام !"** (146).

وعن الزوجة المبذرة والتحذير منها؛ باعتبارها وبال يحل بالبيت ويحيله إلى دمار نقرأ المثل التالى:

- **"الزوجة المبذرة التى تعيش فى بيت هى أسوأ من جميع الأشرار !"** (147).

إن هذه الفقرات القليلة السابقة تبرهن على علو المنظومة الأخلاقية وتميزها فى بلاد النهرين. ومن ثم وجب لإكمال هذه المنظومة تحديد العلاقة أو الصلة بين الأخلاق والشرائع(148). ومما يقال عن الشرائع أنها جزءٌ من الأخلاق العامة تم تأييده

---

(139) المرجع نفسه، ص 89.
(140) المرجع نفسه، ص 92؛ وراجع أيضاً: كريمر: من ألواح سومر، ص 223.
(141) الفؤادى: المرجع السابق، ص 94؛ وراجع: كريمر: المرجع السابق، ص 222.
(142) الفؤادى: المرجع السابق، ص 97.
(143) الفؤادى: سومر، المجلد الثلاثون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1974م، ص27.
(144) المرجع نفسه، ص 27.
(145) المرجع نفسه، ص 28 .
(146) المرجع نفسه، ص 28 .
(147) الفؤادى: سومر، المجلد التاسع والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1973، ص 92.
(148) يعد الباحثون الأخلاق والشرائع من المكونات الثانوية للدين، فهى لا تدخل فى صلبه ولكنها تشكل ما يشبه المجال الاجتماعى له. وقد كانت الأديان مصدراً أساسياً من مصادر الأخلاق

بالعقوبات التى تفرضها السلطة. والقواعد التشريعية فى حقيقة أمرها لم تكن إلا قواعد أخلاقية بدت ذات قيمة استثنائية لنظام الجماعة، فدعمت بالقوانين التى تضمن التزام الأفراد بها[149]. مثل: **ما جاء فى أعمال "اورو- كاجينا" أو " أورو- أنمكينا" حاكم مدينة " لجش"** الذى يفتخر فى سجلاته بأنه أعاد العدل والحرية إلى الناس الذين قاسوا كثيراً، وأوقف الظلم والاستغلال ولما لا ؟ وقد اعتبر الإلهة نانشة إلهة العدالة الاجتماعية أمه، واعتبر نفسه مكلفا من قبل الإله "ننجرسو" راعى العدالة بالقضاء على جشع الكهان والموظفين، وبحماية الأرملة واليتيم، كما سن قانوناً أو عرفاً أخلاقياً يقضى بعدم زواج المرأة بأكثر من رجل وإلا سيكون الرجم من نصيبها مما أدى إلى وحدة العائلة وعدم تشتتها. ولهذا تعتبر إصلاحاته أول إشارة على بدء عصر التشريع الإنسانى[150]. **وما ذُكر فى مقدمة شريعة "اور- نامو" مؤسس سلالة " أور" الثالثة**، بعد أربعة قرون، والتى تعدد بعض أعماله فى مجال الإصلاحات الخلقية ومن أهمها: أن من رمى زوجة آخر بالفحشاء ثم برأها من امتحان النهر غُرم ثُلث مينا من الفضة، وأن من اغتصب جارية رجل آخر وكانت بكراً غُرم خمسة شواقل من الفضة[151]. فقد قضى على عدد من المظالم السائدة آنذاك، ونظم شئون الأوزان والمكاييل ضمانا للأمانة والاستقامة فى معاملات الأسواق، وعمل على حماية الأرملة واليتيم والفقير من المظالم والاستغلال[152]. **وكذلك ما ورد فى شريعة "لبت- عشتار" ملك مدينة "أيسن"** بعد نحو قرنين من الزمان، من أن الآلهة قد اختارته لإرساء العدل فى البلاد، ورفع الظلم عن العباد، وجلب الخير والرفاء للناس[153]. وكذلك **ما جاء فى شريعة "بلا لاما" ملك مدينة أشنونا** فى عصر الإحياء السومرى، والتى يبدو أنها قد استثمرت الحصاد القانونى والأخلاقى القديم[154]. وخير مثال على ذلك ما جاء فى المادة (27،28) من قانون أشنونا بوجوب اعتبار موافقة الأهل على الزواج شرطاً أساسياً لإتمامه وإلا كأن لم يكن، وتحريم الزنا على الوجه التالى:

- **"إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وأمها ولم يقم وليمة الزفاف ولم يتعاقد مع أبيها وأمها فلا تكون هذه المرأة زوجة له حتى لو عاشت فى بيته سنة كاملة".**

والتشريع على مدار التاريخ (الماجدى: الدين السومرى، ص 169) .

(149) السواح: الأسطورة والمعنى ، ص 226.

(150) راجع: كريمر: من ألواح سومر، ص 192؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 197؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 170.

(151) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 207.

(152) كريمر: المرجع السابق، ص 192،193؛ وراجع أيضاً: رمضان عبده: المرجع السابق، ص 207؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 171.

(153) كريمر: المرجع السابق، ص 193؛ وراجع أيضاً: رمضان عبده: المرجع السابق، ص 212؛ دلو: المرجع السابق، ص 328؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 172.

(154) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 215؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 172.

- **" إذا تعاقد مع أبيها وأمها وأقام وليمة وتزوجها فإنها زوجة شرعية وإذا ضبطت فى حضن رجل آخر يجب أن تموت ولا تستمر على قيد الحياة"**[155].

كما أن عقوبة القتل كانت لمن يغتصب فتاة مخطوبة[156]. هذا القانون الأخلاقى يشير إلى أن المجتمع العراقى القديم قد أمتاز بسيادة نظام أخلاقى رفيع وخاص، نظمته مجموعة من الأعراف والتقاليد ثم التشريعات التى كانت تدل على التحضر والثقافة[157].

والجدير بالذكر أن الشرائع العراقية القديمة سواء السومرية أو البابلية شرائع مدنية. وبما أن الأخلاق فى بلاد النهرين كانت تحض دوماً على الأمانة وعدم الاعتداء على ممتلكات الغير، فكان خرق هذه القواعد الأخلاقية يعد انتهاكاً لكل الأعراف الاجتماعية من جهة، وتعدياً على حدود الآلهة من جهة أخرى. ومن ثم وجب العقاب الذى استن بدوره من قبل السلطة الزمنية[158] فكما ورد فى شريعة حمورابى[159]. نقرأ:

- **" لو سرق رجل ثوراً أو شاة أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً (كان من أملاك إله(المعبد)، أو (من أملاك قصر)، يدفع ثلاثين مثلاً وإن كان من أملاك قروى ، يرد عشرة أمثاله . أما إن لم يكن لدى اللص ما يدفعه يقتل"**[160].

ونقرأ أيضاً:

- **" إن لم يقبض على اللص ، على المسروق أن يصرح(رسمياً) بما خسره (فقده) أمام إلهه . وعلى المدينة أو العمدة فى المنطقة أو الإقليم الذى أُقترفت فيه السرقة أن يعوض له خسارته "**[161].

بهذا التأكيد للقيم والقانون، وتأكيد وجود "الحياة الفاضلة" فى النهاية نصل إلى خلاصة هذه الدراسة ببعض الاستنتاجات نوجزها كالاتى:

- شغل الدين حيزاً كبيراً فى حياة العراقيين القدماء، وقام بدور بارز فى تشكيلهم الحضارى. وكان بمثابة المحور الذى تدور عليه مُثل الإنسان وآدابه وسلوكياته واتجاهاته فى حياته الاجتماعية والاقتصادية. كما كان أحد الأسس التى تقوم عليها

(155) المرجع نفسه، ص 174.
(156) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 215.
(157) المرجع نفسه، ص 169؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 215.
(158) السواح: المرجع السابق، ص 226.
(159) عن شريعة حمورابى راجع: مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابى وأصل التشريع فى الشرق القديم، ترجمة أسامه سراس، ط2، دار علاء الدين، دمشق 1993م؛ هورست كلنغل: حمورابى ملك بابل وعصره، ترجمة غازى شريف ومراجعة على يحيى، سلسلة المائة كتاب، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 1987م؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 221ومابعدها.
(160) مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابى، ص 70.
(161) المرجع نفسه، ص32.

الأخلاق ويسبغ عليها لون من التقديس. وقد تلمسنا هذا من تأثير الدين فى الاتجاهات الأخلاقية من خلال دراسة نصوص الحكمة والوصايا التى ترعى تطبيقها الآلهة. كما كانت النظم والقواعد الأخلاقية من أهم مقومات وعناصر الدين، ولا انفصام بينها.

- يمكن استخلاص منظومة أخلاقية واضحة المعالم فى العراق القديم، من خلال بعض نصوص الأدعية والصلوات، على الرغم من أن بعضها لم تكن مخصصة لعرض القواعد الأخلاقية، وإنما جاء ذكرها عرضا في سياق الضراعة للإله والثناء عليه. فالوصايا الأخلاقية وإن لم تكن هى البارزة فعلى أقل تقدير لم تترك أى مساحة للوصايا الطقسية. وهذا يعنى خلو النصوص الدينية ذات الصلة بالأخلاق، من الواجبات الطقسية تقريباً.
- يجوز للديانة العراقية القديمة أن تفاخر بعلو منظومتها الأخلاقية وتميزها. لأنها تمثل مباحث فى الأخلاق العلمانية عادت بالنفع والفائدة على البشر فى مختلف الأزمنة. فقد ساهمت بشكل واضح وخاص فى الأخلاق العبرانية.
- شغلت مسألة الإنسان المعذب والعدالة الإلهية العراقيين القدماء(السومريون والبابليون)، إلى الدرجة التى أخذت حيزاً كبيراً من يومياتهم، وكانت لهم فيها آراء متباينة إلى حد ما، كما وضح فى النصوص العديدة السابقة، وبخاصة نص لأمجدن رب الحكمة والحوارية البابلية. وأغلب الظن أن الاتجاه العام فى بلاد النهرين كان يميل إلى الإقرار بالعدالة الإلهية، وأن ليس على الإنسان سوى الصبر عند البلاء، وأن لا ييأس من رحمة الآلهة؛ لأنها سوف تنقذه فى نهاية المطاف. هذا المفهوم العقائدى له ما يقابله وبشكل واضح فى العهد القديم (سفر أيوب). وبتعبير آخر هناك نقاط تشابه عديدة وأساسية بين المعتقد الدينى التوراتى والعراقى القديم مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن سفر أيوب قد استُلهم منها.
- امتاز المجتمع العراقى القديم بسيادة نظام أخلاقى رفيع وخاص، نظمته مجموعة من الأعراف والتقاليد ثم التشريعات (السومرية **أعمال "اورو- كاجينا"، شريعة "اور- نامو"، شريعة "لبت- عشتار"، شريعة "بلا لاما" ملك مدينة أشنونا)**، و(البابلية **شريعة حمورابى)** التى كانت تنظم موقف الفرد من الآخرين، وسلوك الأفراد تجاه بعضهم بعضاً، وتجاه الجماعة التى ينتمون إليها، وكلها كانت تدل على التحضر والثقافة.
- ارتبطت الأخلاق بالدين فى بلاد النهرين ارتباطاً وثيقاً منذ وقت مبكر، وازداد عندما ارتبط النظام الأخلاقى والنظام الدينى للجماعة باجتماع السلطة السياسية والسلطة الدينية فى يد الملوك الكهنة الأوائل (ملوك المدن السومرية). على الرغم من أن ثقافة بلاد الرافدين أحدث عهداً من الثقافة المصرية فى تقديم نموذج عن قدم ارتباط الأخلاق بالدين. ومع ذلك، تصادف وجود بعض النصوص التى يُستدل منها على

عدم ارتباط الدين بالأخلاق – خروجاً على القاعدة السابقة – فى فترات تاريخية محددة مرت بها بلاد النهرين (كالعصر الكاسى) ساءت فيها أحوال البلاد وترددت، فضاعت القيم وانهارت العدالة، وانعدمت فيها ثقة الأفراد بآلهتهم، وقد يرجع ذلك إلى حالة الإحباط التى سادت المجتمع آنذاك بسبب انعدام العدالة الإلهية، وانعدام الإثابة على الأعمال الفاضلة. مما دفع الناس إلى اليأس والتشكيك فى الآلهة وبوجودها والتهكم عليها.

- اتسع مفهوم الأخلاق فى النصوص السابقة ليشمل تجريم الاعتداء على العروض، والممتلك، والفساد، والرشوة، والغش، والربا، والزنا، والتحذير من الشخصية المستغلة وهى شخصية كريهة منبوذة، وكذلك من الشراهة فى تناول الطعام، والتحذير من المرأة المبذرة. ويرى فيهما انحراف عن الخلق السليم الأمر الذى يستوجب غضب الآلهة وعقابها للبشر بأن تصب جام غضبها على مقترفى هذه الأفعال الشائنة.
- اتسع مفهوم الأخلاق فى العراق القديم من خلال نصوص الحكم والوصايا الكثيرة التى تجمعت لديهم خلال حياتهم الطويلة ليشمل قواعد التهذيب، وحسن التصرف مع الآخرين، والحض على الأمانة وعدم الاعتداء على ممتلكات الغير، والتضحية ونكران الذات من أجل من تحب، وطاعة الوالدين والكبار، البعد عن الرذيلة والتمسك بالفضيلة، التكلم بحذر وعدم الغلظة فى الكلام والقول وعدم الافتراء وتجنب التجديف والزور والقذف، وإطعام الجائع وسقى الظمآن، والحث على الزواج المبكر، واختيار شريكة العمر بوازع من الحب والرغبة الإنسانية، وكذلك الحث على التعاون والتآزر بين أفراد الأسرة الواحدة لبناء كيانها وخلق علاقات وطيدة بناءة. والتأكيد على أهمية صلة القربى بين أفراد الأسرة الواحدة، وعلى الصداقة. وهو مايدعو إلى فرحة الآلهة وسرورها ورضاها عن العبد الذى يخشاها، فيُقدم على عبادتها بأن يصلى لها، ويقدم لها القرابين بانتظام. فطريق الطاعة والخدمة والعبادة هى طريق التمتع بحماية الآلهة، وهى كذلك الطريق إلى النجاح فى الدنيا وفيها خيره. بأن تكافئه على ذلك بالمال الوفير والذكرى الخالدة بالذرية الصالحة والدائمة والعيش بسلام .
- أثارت النصوص السابقة بعض المسائل الفلسفية الوجودية الكبرى مثل مسألة معرفة مشيئة الآلهة فى السماء أو فى الأرض؟. وكذلك مسألة القدر وتصاريفه وكيف تتغير أحوال الناس بإرادته بين لحظة وأخرى؟. ثم مسألة المرض وفلسفته وكيف يحدث ؟. كما ألقت بعضها الضوء على فكرة الخطيئة ضد الآلهة وأنواعها، وكلها تعتبر مقدمة للتساؤلات الفلسفية اللاحقة حول مسألة الشك بوجود الآلهة وعدالتها وكذلك ما هية الخير والشر، ويذكرنا هذا بحوارات أفلاطون فى الأخلاق والعدالة الإلهية. كما تذكرنا تلك المحاورة السفسطائية المستفيضة بين العبد وسيده بتلك المناقشة الفلسفية الرائعة التى أجراها الفيلسوف الألمانى " هيجل " فى كتابه الشهير(فينومنولوجيا

الروح) وكشف فيه عن المأساة الساخرة التى أخفتها الحوارية السابقة وهى أن السيد فى حقيقته هو العبد.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر:

1. **ابن منظور: لسان العرب ، المجلد الثانى، دار المعارف، القاهرة د.ت.**
2. **أبو بكر ابن باجه: التعليق على إيساغوجى، تحقيق ماجد فخرى، بيروت 1994م.**
3. **أبو حيان التوحيدى: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942م.**
4. **أبو حيان التوحيدى: رسالة فى الصداقة والصديق، تحقيق على متولى صلاح، القاهرة 1972م.**
5. **أبو حيان التوحيدى: أخلاق الوزيرين، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، بيروت 1992م.**
6. **أبو على الحسن ابن سينا: النجاة فى الحكمة المنطقية والإلهية، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط 1، بيروت1992.**

ثانياً: المعاجم والرسائل:

7. **جبران مسعود: الرائد (خلق)، ج1، ط 5، بيروت 1986.**
8. **خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الاجتماعية (3)، بيروت 1995م.**
9. **د . اذزارد: قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، مكتبة سومر، حلب 1987.**
10. **عبد المنعم الحفنى: المعجم الفلسفى(مادة أخلاق)، ط 1 ، القاهرة 1990م.**
11. **إبراهيم محمد رشاد: المؤثرات اليونانية فى فكرتى الطبيعة والإنسان،(رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى، 2001م.**

ثالثاً: المراجع العربية:

12. **إبراهيم رزقانة: حضارات ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى (59)، القاهرة د . ت.**
13. **أحمد أمين سليم: الأسرة فى العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح "، دار النهضة العربية، الإسكندرية 1985.**
14. **برهان الدين دلو: حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادى- الاجتماعى- الثقافى والسياسى)، بيروت 1989م.**
15. **توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة، جـ1، طـ1 (الشرق الأدنى القديم) "بلاد النهرين/ بلاد الشام"، دمشق 1985.**
16. **خزعل الماجدى: إنجيل بابل ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1998.**
17. **خزعل الماجدى: بخور الآلهة (دراسة فى الطب والسحر والأسطورة والدين)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1998.**
18. **خزعل الماجدى: متون سومر (الكتاب الأول التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1998.**
19. **خزعل الماجدى: الدين السومرى، سلسلة التراث الروحى للإنسان/2، طـ1، دار الشروق للنشر**

والتوزيع، عمان 1998م.
20.خزعل الماجدى: الدين المصرى ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1999.
21.رمضان عبده على: تاريخ مصر القديم، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة، القاهرة 2001م.
22. رمضان عبده على: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته،جـ1 (إيران والعراق)، طـ2، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة، القاهرة 2002م.
23. سليمان حزين: البيئة والإنسان والحضارة فى وادى النيل الأدنى (تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني) ، القاهرة د . ت .
24. طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول، المجلد الثانى، بغداد 1956.
25. طه باقر: مقدمة فى أدب العراق القديم، جامعة بغداد، بغداد 1986.
26. عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم (حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى(59)، القاهرة د.ت.
27. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم(مصر والعراق) الجزء الأول، الطبعة الثالثة، الأنجلو المصرية، القاهرة 1981.
28. عبد الهادى الفؤادى: من عيون الأدب العراقى القديم "الألهيات البابلية"، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد الحادى والثلاثون، بغداد 1975.
29. عبد الهادى الفؤادى: بحث فى الأمثال العراقية(دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقى القديم والمعاصر)-1- مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد التاسع والعشرون،، بغداد 1973م .
30. عبد الهادى الفؤادى: بحث فى الأمثال العراقية(دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقى القديم والمعاصر) - القسم الثانى- ، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد الثلاثون، بغداد 1974م.
31. على الشوك: من روائع الشعر السومرى ، منشورات الجمل ، ألمانيا 1992.
32. فاضل عبد الواحد على: "من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين"، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد السادس والعشرون، بغداد 1970م.
33. فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ط 2، سينا للنشر، القاهرة 1996م.
34. فاضل عبد الواحد على: سومر أسطورة وملحمة، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 2000م.
35. فراس السواح: دين الإنسان (بحث فى ماهية الدين ومنشأ الدافع الدينى)، دار علاء الدين، دمشق 1994.
36. فراس السواح: جلجامش– ملحمة الرافدين الخالدة، دار علاء الدين، دمشق 1996 .
37. فراس السواح: الأسطورة والمعنى (دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية)، دار علاء الدين، دمشق 1997 .
38. فؤاد سفر: البيئة الطبيعية القديمة فى العراق، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، المجلد الثلاثون، بغداد 1974.
39. فيصل الوائلى: " ترنيمة إلى عشتار " مجلة الأقلام جـ1 ، بغداد 1964م.
40. فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم(2: ترانيم وأدعية سومرية – أكدية)، مجلة سومر.

مديرية الآثار العامة،الجزء الأول والثانى، المجلد العشرون، بغداد 1964م.
41. فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد الحادى والعشرون، بغداد 1965م.
42. نائل حنون: عقائد ما بعد الموت ، دائرة الشئون الثقافية العامة، بغداد 1986.
43. نبيلة محمد عبد الحليم: معالم العصر التاريخى فى العراق القديم ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 1997م.

رابعاً: المراجع المترجمة إلى العربية:

44. أ.إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكرى، القاهرة د.ت .
45. أ.كلينكل– برانـدت: رحلة إلى بابل القديمة، ترجمة زهدى الداوودى، ط 1، دار الجيل، دمشق1984م .
46. ألبرت شوت: ملحمة جلجاميش ، ترجمها عن الألمانية عبد الغفار مكاوى وراجعها عن الأكدية عونى عبد الرؤوف ، سلسلة آفاق عالمية (23) القاهرة 2003م .
47. توركليد جاكبسون وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980.
48. ر.لابات : المعتقدات الدينية فى بلاد وادى الرافدين(مختارات من النصوص البابلية). ترجمة ألبير أبونا، وليد الجادر، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى. جامعة بغداد. كلية الآداب قسم الآثار. بغداد 1988م.
49. س.موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، تعريب السيد يعقوب بكر ومراجعة محمد القصاص، دار الرقى، بيروت 1986.
50. س.هـ. هوك: ديانة بابل وأشور، ترجمة نهاد خياطة، دمشق 1987.
51. ص.ن. كريمر: من ألواح سومر. ترجمة طه باقر، تقديم ومراجعة أحمد فخرى، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجى، القاهرة، 1956م.
52. ل . ديلابورت: بلاد مابين النهرين، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، الألف كتاب الثانى(283)، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997م.
53. هارى ساكز: عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل، الموصل 1979م.
54. هورست كلنغل: حمورابى ملك بابل وعصره، ترجمة غازى شريف ومراجعة على يحيى ، سلسلة المائة كتاب، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 1987م.
55. مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابى وأصل التشريع فى الشرق القديم، ترجمة أسامه سراس، ط2، دار علاء الدين، دمشق 1993م.
56. ول ديورانت: قصة الحضارة (نشأة الحضارة . الشرق الأدنى)، المجلد الأول، الجزء الأول والثانى، ط 2، مكتبة الأسرة، القاهرة 2001م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

57. **Biggs R. D.,**"Ludlul Bel Nemeqi","(in: Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
58. **Biggs R. D.,**"The Babylonian Theodicy "," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.

59. **Biggs.R. D.,** "Akkadian Didactic and Wisdom Literature", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
60. **Dhorme. Paul.,** La Religion Assyrio-Babylonienne,Paris 1910.
61. **Lambert. W.,** Babylonian Wisdom Literature. Oxford 1960.
62. **P.Anton Deimel S.I.,** Šumerisches Lexikon, Scripta Pontificii Institutti Biblici I, Romae 1947.
63. **Pfeiffer. Robert H.,"** I will praise the Lord of wisdom", in:Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
64. **Pfeiffer. Robert H.** ,"A pessimistic Dialogue between Master and sarvant"," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
65. **Pfeiffer. Robert H.,"** Akkadian Proverbs and Counesls",in:Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950..
66. **Speiser E.A.,"** The Case of the Obliging Servant"JCS,VIII(1954).
67. **Stephens F.J.,** "Hymn to Shamsh", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
68. **Stephens F.J.,** "Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
69. **Stephens F.J.,"**Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
70. **Tigy J.H.,** The Evolution of the Gilgamesh Epic, University of Pennsylvania 1982.

النبات أحد أصول صوت الشين
دراسة في المصرية القديمة والعربية

د. محمد الشحات*

الغالب أن صوت الشين مأخوذ عن أصول عدة منها النباتي والمائي ، و يمكن تحري الأصل النباتنعن طريق دراسة :

أولا : شكل كتابة الشين في بعض لغات الشرق الأدنى القديم عامة و المصرية القديمة خاصة ، لأنها حافظت على الكتابة التصويرية و التي تفيد كثيرا في فهم المعنى.

ثانيا : تحري ظهور الشين في العديد من الكلمات ذات الصلة بالنباتات و الأشجار و ما صنع منها في المصرية القديمة و العربية .

ثالثا : الإنصات لهذا الصوت في الكلمات السابقة عينة الدراسة ، لتحري صفة التفشي التي ميزها علماء اللغة وفقهائها عن حق كخاصة لهذا الصوت ، الذي يحدث عند ارتطام الهواء بالنبات و حفيفها مع بعضها البعض ، أو الناتج عنها عند ملامستها في حالة الجفاف .

أولا : الكتابة

لنبدأ بأقدم لغتين في منطقة الشرق الأدنى القديم ، و هما المصرية القديمة و السومرية ، بغض النظر عنه أسبقية إحداهن للأخرى في التوصل للكتابة .

استخدم المصريون القدماء الكتابة التصويرية فيما يعرف بالخط الهيروغليفي ثم الهيراطي و الديموطي لتسجيل اللغة المصرية القديمة . ثم الحروف اليونانية مضافا إليها سبعة حروف من الديموطي لكتابة اللغة القبطية . وهي المرحلة الأخيرة من اللغة المصرية القديمة . و قد عبروا عن صوت الشين كتابة كما يلي :

1- ☎ كعلامة رمزية في كلمة S3 أو كمخصص معنى لنفس الكلمة بمعنى " بركة لوتس " ، و من هنا نطقت " شا – S3 "[1]. و قوام العلامة ثلاث زهرات متفتحات من السوسن - الطرفيتان و الوسطى- و بينهن اثنتان في شكل براعم أقصر من المتفتحة فوق بركة ماء .

- نفس العلامة انتقلت إلى الخط الهيراطي[2] وقد حافظ الكاتب على الخطوط الخارجية للعلامة السابقة في خطي البركة ، مع تمثيل زهرات السوسن المتفتحات - الطرفيتان و الوسطى- في شكل ثلاث خطوط رأسية قصيرة فوق الخط الأفقي دون المبرعمات.

---

* **محمد الشحات شاهين** : مدرس بقسم الآثار و الحضارة – كلية الآداب – جامعة حلوان .

(1) **Gardiner A**., Egyptian Grammar , 3rd edition , Oxford (1979) sign-list M. 8 , p. 480

(2) **Moller . M** ; Heratische Palaographie , 3 vols. ., Leipzig (1909-12)

و انتقلت إلى القبطية في صورة ⳩ ضمن الأحرف السبع المضافة من الخط الديموطي إلى الحروف اليونانية لكتابة القبطية و تسمى " شاى Say " و بنفس القيمة الصوتية "ش S " [3]. و يلاحظ هنا المحافظة على الثلاثة سنات العلوية لها بخط صغير أسفلها من الإطار العلوي لبركة الماء .

2- استخدم المصري القديم العلامة لصوت " **شS** " و تمثل بركة ماء كعلامة رمزية في كلمة S بمعنى" بركة ، حوض ماء"[4] . و اعتبرها علماء المصريات أحد أحرف الأبجدية المصرية القديمة[5]، و لم تستخدمها القبطية .

كما استخدم المصري القديم الريشة كعلامة رمزية في كلمة Swt بمعنى ريشة و من هنا صارت تنطق Sw [6]. و بالطبع استمرت في الهيراطي [7]و لم تستخدمها القبطية .

و يتضح مما سبق أن العلامة التصويرية الأولى قد استخدمت في الخطوط الهيروغليفي و الهيراطي و الديموطي و في كتابة القبطية . و أنها حافظت على العنصر النباتي في هذه العلامة متمثلا في الشرط الثلاث الرأسية فوق خط أفقي ، حتى صارت حرفا لكتابة صوت "ش" في النهاية ، بينما لم تستمر الأخريات ،و طبقا للفكر المصري القديم فإن هذه العلامة تعد واحدة من أقدم العلامات في الخط الهيروغليفي ، حيث أن بركة الماء تمثل المياه الأزلية الأولى التي انبثقت منها المخلوقات الأولى قبل الإنسان . مثل زهرات السوسن المقدس الأزرق و التي اعتبرت رمزا للشمس و الخلق

---

[3] **جورجي صبحي** : قواعد اللغة المصرية القبطية ، وزارة المعارف العمومية بمصر (1925) ص 15.

عبد الحليم نور الدين : اللغة المصرية القديمة ، ط2 ، القاهرة (1998) ص12.

- Crum . 540 a **;Gardiner A**., Op. Cit. , p .5 & **Peust Carsten** ; Egyptian Phonology , Gottingen (1999) pp. 57,60.

[4] **Gardiner A**., Op. Cit., N. 37 , 39 , p. 491 ; **Wilkinson H.R.;** Reading Egyptian Art , Thames 8 , Hudson , London (1994) pp.136 f. & **Peust C**., Op. Cit., p. 48

[5]**Gardiner A.,** Op. Cit., p. 27& **Allen P. James** ; Middle Egyptian , Cambridge University Press (2000) p. 14

عبد الحليم نور الدين : اللغة المصرية القديمة ، ص 19 جدول أ .

عبد القادر محمود عبد الله : الكتابة الأبجدية في مصر القديمة ، جامعة الملك سعود – الرياض (1995) ص 195 جدول 4 ب ، 22 .

[6]**Gardiner A**., Op. Cit., H.6 , p. 474.

[7]**Moller M.**, Op. Cit., I no . 237.

فــــــــــــــــــــــــــي مصــــــــــــــــــــــــــر القديمــــــــــــــــــــــــــة .
و طبقا لقصة الخلق من الأشمونين فإن زهرة السوسن هذه كانت أول من خرج من هذه المياه الأزلية و من الزهرة المتفتحة ذاتها خرج اله الشمس [8] في صورة طفل صغير باسمه **نفرتم** .

الوصف	النطق	قبطي	هيراطي	هيروغليفي
بركة لوتس	S 3 – شا	¥		☎
بركة	S – ش	-		❖
ريشة	Sw - شو	-		☸

ثانيا : الكتابة المسمارية الشين في المصرية القديمة

و هذا جدول بتطور كتابة **ش** SE بدءا من التصويرية حتى شكلها المسماري النهائي [9]

الشكل النهائي	**الآشورية البابلية 3**	**الآشورية البابلية 2**	**الآشورية البابلية 1**[1]	**المسمارية الأولى**	**العلامة الصورية**	**اللفظ الرئيسي**
		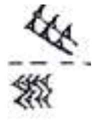				**شِ**

نقلا عن نائل حنون : المعجم المسماري ، رقم 367

---

[8]**Wilkinson H.R. ;** Op. Cit ., pp. 137, 120-1.

كما في الفصل 15 من كتاب الموتى و تمثيل توت عنخ آمون في صورة **نفرتم** يخرج من زهرة السوسن .

[9] **نائل حنون** : المعجم المسماري ، معجم اللغات الأكدية و السومرية و العربية ، ج1 ، بغداد (2001) العلامة رقم 367 ص 314 ، **فاروق إسماعيل** : اللغة الآرامية القديمة ، منشورات جامعة حلب (2001) ص 74 .

Miller D.B. & **Shipp R.M.** ; An Akkadian Handbook , Winnona Lake , Indiana (1996) p. 98 , no. 367 .

(**1**) شكل الكتابة في الأشورية و البابلية القديمة (**2**) في الآشورية و البابلية الوسطى (**3**) في الآشورية و البابلية الحديثة

و بالنظر للعلامات المسمارية على يسار الجدول السابق لا يتضح منها شيء ، حيث جردت و بعدت تماما عن شكلها التصويري الأول ، الذي كتب في صورة سنبلة قمح أو شعير ، مع ملاحظة أنها لم تستخدم ضمن الأبجدية .

و قد استخدمت لكتابة الكلمة السومرية SE و التي تقابل الأكدية Seu(m) بمعنى القمح أو الشعير[10]، و كمخصص للمعنى قبل كتابة أسماء الحبوب [11] .و المهم هنا أنها علامة ذات أصل نباتي و إن اختلفت عن النباتات المصرية كزهرة السوسن فوق بركة الماء ، و بالطبع فإن ذلك كان بسبب اختلاف البيئتين في مصر و العراق القديم . أي أن كلا منهما قد اختار ما يتوافر في بيئته من نباتات .

و إذا كنا الآن أمام أقدم كتابيتين في الشرق الأدنى القديم ، فبأي منهن قد تأثرت باقي لغات المنطقة في كتابة صوت " ش " ؟

- استخدمت الأبجدية **الأوجاريتية** (في بداية النصف الثاني من الألف الثاني ق.م) الخط المسماري ، و كتبت **ش**[12]و قوامها ثلاث ضغطات بالقلم المسماري على ألواح الطين بشكل رأسي ، تتقارب أطرافها المدببة عند القاعدة بما يذكرنا بالعلامة المصرية S3 ☎. ¥ السابقة بخطوطها الثلاث الرأسية ..

و لا غرابة في ذلك فمدينة **أوجاريت** من مدن الساحل الفينيقي ، و كانت تربطها بمصر علاقة قوية ، و لا شك في أن أهلها قد ألفوا الكتابة المصرية الهيروغليفية على الهدايا و الهبات التي أرسلها الملوك المصريون إلى ملوك أوجاريت[13] ، بل إن بعض العلماء قد اعتبروا الأبجدية الأوجاريتية ذات أصل مصري قديم. [14]

---

[10] **Black J ., George A. & Postgate N**., A Concise Dictionary of Akkadian , Santag 5 , Harrassowitz Verlag , Wiesbaden (2000) p. 369.

[11] **Miller D.B**. & **Shipp R. M**.; Op. Cit. ., p. 153.

[12] **إلياس بيطار** : قواعد اللغة الأوجاريتية ، منشورات جامعة دمشق (1992) ص 48 جدول الأبجدية ، الحرف رقم 28، **فاروق إسماعيل** : المرجع السابق ، ص 75 الجدول .

[13] **إلياس بيطار** : المرجع السابق ، ص 11.

[14] **Schaefer C.F.A**., Ugaritica , 1 (1939) 20 ff ., **Helck** ; Zur Herkunft der Sogenannten " Phonikischen schript " , Ugarit – Forschungen 4 (1972) 41 – 45 & **Rollig W**.; A reexamination of the early evidence of alphabetic script , in " studies in the history and archaeology of Palastine vol. II , Alleppo University press (1987) p. 165

و كتبت **الكنعانية** " ش S " هكذا [15] و كانت تستخدم لكتابة السين و الشين على حد سواء وقوامها ثلاثة خطوط رأسية متصلة عند القاعدة كالمصرية القديمة . و مثل الشين العربية دون وجود المؤخرة التي تصلها بالحرف التالي لها . لأن الكنعانية تكتب حروفها مفرّدة فلا تحتاج لهذه المؤخرة . كما أن استخدامها للسين و الشين يذكرنا بالكتابة العربية قبل التنقيط .

و جاءت " ش " هكذا في **النقوش الآرامية القديمة** [16] ولكتابة السين و الشين مثل الكنعانية و العربية قبل التنقيط .

أما **السبئية** فكتبت [17] تماما كالكنعانية و الآرامية القديمة و الاختلاف أن العلامة جاءت بشكل رأسي و ليس أفقي . و قوامها الثلاثة خطوط و لكن بطريقة أفقية.
و هذا جدول يلخص ما سبق لتسهيل المقارنة بينها جميعا .

المصـــــرية القديمة	الأوجاريتية	الكنعانية	الآرامية	العربية	السبئية
☎– ¥				ش	
ش	ش	ش — س	ش — س	ش - س	ش

من الجدول السابق يتضح أن حرف **" ش"** في الأبجديات الأوجاريتية و الكنعانية و الآرامية و السبئية و العربية قد يكون مردها إلى المصرية القديمة ، حيث أن قوامها جميعا ثلاثة خطوط رأسية فيما عدا السبئية التي كتبت علامتها بطريقة رأسية فبدت خطوطها الثلاث بصورة أفقية . و يعزز الأصل الواحد سهولة اتصال المصريين القدماء بالساحل الفينيقي و اليمن .
و بما أن العلامة المصرية قد ركزت على تصوير الماء مع النبات فهل استخدمت ش في كلمات ذات صلة بالنباتات ؟ .

---

[15] **محمد بهجت قبيسي** : ملامح في فقه اللهجات العربيات ، دار شمأل ، دمشق (1999) ص 493 و ما بعدها .
[16] **فاروق إسماعيل** : اللغة الآرامية القديمة ، ص 79 ، محمد بهجت قبيسي : المرجع السابق ، ص 631 و ما بعدها .
[17] **أ . ف . ل . بيستون وآخرون** : المعجم السبئي ، مكتبة لبنان ، بيروت (1982) ص 6 ، العلامة o العمود الأيسر .

ثانيا : الشين في أسماء كثير من النباتات

بالطبع ليست كل أسماء النباتات تحوي حرف الشين في كتابتها ، غير أن عددا لا بأس به منها قد ضم "ش" بين أحرف هجائه هكذا :-

أ) في المصرية القديمة :

1- **النباتات و الأشجار**

iSd : نوع من الشجر و ثمرتها .[18]

aS : المشهور بشجرة الأرز و زيتها و هو نوع من الصنوبريات .[19]

arSn : عدس و استمرت في الديموطية و القبطية .[20]

wSm : سنبلة من القمح .[21]

bSA : ثمار التين غير الناضجة . **bS** : نوع من الفاكهة .[22]

HrS : بالمخصص بمعنى حزمة أو صرة [23]. يشير المخصص الأول إلى الربط ، حيث تربط الصرة أو الحزمة بالحبل أو بقطعة منها ، و يشير الثاني إلى أن مادتها من النبات.

و استمرت **HrS** في الديموطية بنفس المعنى [24] و القبطية ¥raš [25]. و بقيت في العامية المصرية شرش لحزمة البصل أو الثوم .

S3 : حقل ، ريف ، أحراش .[26]

sS : أحراش .[27]

sSn(zSSn) : زهرة السوسن (اللوتس) وما جاء على هيئتها من الأشياء ، و الديموطيقية**sSn** و القبطية ¥wšen.[28]

---

[18]**FD**. 31.

[19]**Wb**. I , 228 : 1-6 ; **FD**. 49 .

[20]**Wb**. I , 211 :15 ; **Er** . 66 : 4 ; **Crum** 16 b & **CED** , 12.

[21]**FD**. 70 & **Gardiner A.**, Op. Cit. , H.2 p. 474.

[22]**Wb**. I , 478 :10 ; **CED** , 29:2.

[23]**Wb**. III , 330 : 12; **FD** . 197 :2.

[24]**Er** . 367 : 3.

[25]**CED** ; 252 :6 .

[26]**FD** . 260.

[27]**FD** . 246 :9.

sSrw : الكتان ، و الصرة المصنوعة منه .[29]

sSrw : القمح .[30]

SnDt : شجرة السنط . و في الديموطية **Sntt** و القبطية šon+e [31] .

S3w : بذور الكزبرة .[32]

Swb : شجرة اللبخ و استمرت في الديموطية و القبطية .[33]

Sltm Slgm : نبات اللفت في الديموطية . والقبطية ¥loqom, šltam والعربية شلجم .[34]

SmSm : القنب الهندي[35] و يصنع منه الخيط و الأحبال و أكياس الخيش .

Smr : نبات الشمر في الديموطية . و في القبطية šamar و العربية شمار .[36]

Sn : شجرة وحديقة و استمرت حتى القبطية šhn .[37]

sSpt ، **Sspt** : خيار ، والديموطية **Sbt - Swbi - Sbt** ، و القبطية šwbe [38]و هكذا استمرت " ش" أساسية عبر مراحل تطور الكلمة في المصرية .

Sma : شعير من مصر العليا [39]، حتى السومريةSE و الأكدية **Seu(m)** أساسية في الكلمات الدالة على القمح و الشعير .

Srt : نوع من الحبوب .[40]

---

[28]**Wb**. III , 485 , 487 : 9 ; **FD**. 248 : 4f ; **Er.** 464 :5 ; **Crum** 608 a & **CED** . 260 : 5 .

[29]**FD** . 248 : 8f. & **Gardiner A.**, Op. Cit., p. 526 , V. 33 .

[30]**FD**. 248 :10.

[31]**Wb**. IV , 520 ; **FD** . 270 ; Er.516 ; **Crum** 573 & **CED.** 247:3.

عبد القادر محمود عبد الله : الكتابة الأبجدية ، ص 102 – 103 .

[32]**Wb**. IV , 400 : 18 & **FD** . 261 .

[33]**Wb**. IV , 435 : 10 f ; **FD**. 263 ; **Crum** 603 a & **CED** , 258 :3 .

[34]**Er**. 520 : 6 ; **Crum** 563 a &**CED** . 242 :3.

[35]**FD** . 267 .

[36]**Er**. 511 :1; **Crum** 342 b & **CED** . 244 –5 .

[37]**Wb**. IV 498 :6f ; **FD** . 267 ; **Crum** 568 b & **CED** . 245.

[38]**Wb** . IV 284 :11 , 536 ; **Er**. 503 :2 ; **Crum** 580 b & **CED** . 249:2 .

[39]**FD**.266.

tiSps: بمخصص غصن الشجرة كأحد أنواع الأشجار و التوابل المستخرجة منها .[41]

bSwS : في الديموطية : السداب الفيحن نبات طبي ذو ورق مر . و في القبطية bašouš [42]

Sbn : في الديموطية حبوب ، بذور ، و القبطية šbin [43]

Sbd : بمخصص غصن الشجرة : خشبه ، عصا ، ساري . واستمرت في الديموطية **Sbt** القبطية šbwt [44]و في العامية " شعبة " فرع من شجرة .

SrH : نوع من الخشب من العصر اليوناني الروماني . في الديموطية **SlH** غصين ، برعم و القبطية šlx [45]

gAS : نبات السمار ، و في الديموطية **gS** و القبطية kaš [46] وواضح أنها ليست بعيدة عن " قش " في العربية ، و التي أطلقت على كل مخلفات الحقول من أعواد النباتات مثل قش الأرز و الذرة .

2 منتجات النباتات و المصنوع منها في المصرية القديمة

wS3w : نخالة و في القبطية ešo - šo [47]

psSt : حصيرة من الخوص أو البوص [48] . لاحظ البرش و الفرش في العربية و كلاهما يصنع من نبات السمار و خوص النخيل ، ثم صارت لكل ما هو مفروش مطلقا حتى و إن كان من الحرير أو ما هو أنعم منه .

msSt3 : الإطار (الخشبي) لعربة [49] . حيث هيكلها المصنوع من الخشب و كأنها بمعنى المخشوبة ، حيث **St3** بمخصص الشجرة أحد أصناف الخشب brushwood و في القبطية šta [50]

---

[40]**FD**.270.

[41]**FD**.294.

[42]**Er**. 123 :3 ; **Crum** 47 b & **CED** . 29:7.

[43]**Er**. 499 :3; **Crum** 553 a & **CED** . 237:5.

[44]**Wb** .IV 442 :13 –14 ; **Crum** 554 a & **CED** . 238:1.

[45]**Wb**. IV 528 :12 ; **Er** . 520:4; **Crum** 561b & **CED** . 241 : 8.

[46]**Wb**. V 156 : 8 ff ., **Er**. 593 :7 ; **Crum** 130 a & **CED** . 66:6 .

[47]**Crum** 63 a & **CED** . 40:6.

[48]**FD**. 70.

sSy : عش للعصافير أو الطيور و أحيانا ضعفت الشين **SSy** [51] و هو ذات التضعيف في عشّ العربية . هذا التفشي الناتج عن تحرك الطيور داخله ، أو عندما تحركه الريح في أجمات البردي في الأحراش ، كما يبدو في المنظر المصور على المقصورة الصغرى المذهبة للملك توت عنخ آمون بالمتحف المصري[52] و قوامه ألياف النبات و أغصانها .

sS : بمخصص ○ : حد ، تخم ، عتبة[53] ، و الذي يقام غالبا من البوص و الغاب حتى الآن في الريف المصري بين الحدائق و الحظائر .

t3S : حد ، تخم [54] . و كأنها تتكون من **t3** الأرض في المصرية مضافا لها **S** كخاصية للنبات الخاص بالسياج بين الحقول و منها **t3S** كفعل بمعنى : يقوى الحدود . و استمرت في الديموطية و القبطية .[55]

و حول نفس المعنى فإن الحائش من الحوش : البستان بمنزلة الصور و بمنزلة الحديقة فإن قلت : " فإن فيه معنى الفعل لأنه يحوش ما فيه من النخيل و غيره "[56] . و كأن الجذر العربي يتكون من حوى ، المحتوى مضافا لها " ش" التي تدل على مادة تشييد هذا السياج .

sSnw : أحبال ، أربطة .[57]

sS : حبل[58] العامل المشترك في الكلمتين السابقتين وجود الشين في بنيتهما ، و حتى سنوات قليلة مضت كانت الأحبال تصنع من الألياف الطبيعية مثل التيل والشيسل و الكتان و القنب الهندي حتى صنعت من البوليستر مؤخرا .

Sat : وثيقة[59] و غالبا من البردي .

---

[49] **FD**. 118:6.

[50] **Wb** .IV 555:9-10 ; **Crum** 595a & **CED** , 255:3 .

[51] **FD**. 246:10 , 272:13.

[52] **Wilknson R**., Op. Cit., 96 f.

[53] **FD**. 246 : 8.

[54] **Wb**. V 234 :15 ; **FD** . 294.

[55] **Wb**. V 236 : 15 f .;**FD**. 294 ; **Er**. 656 : 5-6 ; **Crum** : 449 , 451b & **CED** . 201: 5.

[56] **الخصائص** ، ج1 ، ص 120

[57] **FD**. 248 : 4.

[58] **FD**. 270.

[59] **FD**. 262.

Sw : بردي غفل (غير مكتوب) .[60]

Sfdw : لفة بردي [61]. و هكذا جاءت الشين عاملا مشتركا بينها جميعا ربما لوحدة المادة المصنوع منها و التي يميزها تفشي الشين عند الاحتكاك بها في الكتابة أو اللف .

Sndwt : نقبة قصيرة ، و الديموطية **Snt** ، و القبطية šntw بمعنى قطعة أو حبل من الكتان .[62] و ربما أخذت منها الكلمة العامية الشنطة : أحد أنواع الربط

Sd : رباط (على جرح) بمخصص ★ [63]حيث أنها من الأربطة المصنوعة من الكتان .

Sdw : رمث أو طوف بمخصص قارب أو غصن شجرة [64]و الرمث أو الطوف مصنوع من البردي أو الخشب مع استخدام الحبل للربط بين أجزائها .

sSd : عصبة للرأس من الكتان أو الخيوط[65] .

Sspt : مقصورة ، بيت خفيف . في قائمة علامات **جاردنر** فإنها تمثل سياجا حول المقاصير العتيقة [66] التي كانت تشييد من أعواد نباتية خفيفة مدعومة ببعض غرائز الخشب .

Snw : خيمة [67] . و الخيمة في العربية كل بيت يقام من أعود الشجر ، يلقى عليه نبت يستظل به في الحر . و .. البيت يتخذ من الصوف أو القطن ، و يقام على أعواد و يشد بأطناب [68]. و هكذا قوامها مواد نباتية .

S3a : جوال للقمح [69] . و مثله الشوال في العامية الآن ، و الشليتة لحمل البذور و كلاهما يصنع أساسا من الكتان .

Stltw : ليف النخيل أو الحزام الذي يتخذ منه في الديموطية . و القبطية šhte [70].

---

[60] **FD**. 263.

[61] **FD**. 266.

[62] **Wb**. IV 522 :25 ; **FD** . 270 ; **Er**. 516 :6 ; **Crum** 563 b& **CED** . 247:4.

[63] **FD**. 274.

[64] **FD**. 274.

[65] **Gardiner A**., Op. Cit. , V. 12 , p. 523.

[66] **Ibid**. . O 42 f., & **FD** . 272.

[67] **FD**. 268.

[68] **المعجم الوسيط** 1 : 276 .

[69] **FD**. 261.

sSd : شباك . الديموطية **SSt** و القبطية ⲥⲟⲩⲥⲧ [71] و يعتقد الباحث أنها ليست بعيدة عن الشيش المصنوع من الخشب للشبابيك الآن ، أو على هيئة عيدان من الخشب مثبتة طولا و عرضا في فتحات النوافذ فجاءت الشين عاملا مشتركا في كتابتها .

نحن الآن أمام **27** اسما لنباتات ، و **عشرين** لمصنوعات اتخذت منها مع ملاحظة :

- أن ذلك ليس حصرا تاما لها في المصرية ، إلا أن مجموع **47** يسمح لنا بالقياس عليها و الأخذ بها كعينة للدراسة و الاعتبار بنتائجها .
- أنها جميعا ضمت شينا أصلية و ليست مقلوبة عن حرف آخر كالخاء المصرية .
- أنها تؤكد فكرة الأصل النباتي لحرف الشين .

و هكذا كانت الشين أصلا في أسماء عدد لا بأس به من أسماء النباتات و منتجاتها في المصرية القديمة ،حيث كتبت غالبيتها بمخصصات تشير إلى النباتات أو أجزاء منها . فهل ينطبق ذلك على العربية؟

ب- في اللغة العربية : 1- أسماء النباتات و ما يتعلق بها

يوجد عدد أكبر من أسماء النباتات في العربية كانت الشين جزءا أساسيا في بنيتها كما يلي :-

- **الأشاء** : صغار النخل ، و النخل عامة. الكبير 1: 311
- **مكشحة** : نخل في جزع الوادي قريبا من أشي . الكبير 1: 312
- **الأشب** : الشجر الملتف . الكبير 1: 313
- **اشجاره** : نبات من الفصيلة الصليبية ، و هو عشب . الكبير 1 : 315
- **اشخيص** : نبات قصير ذو مجموعة أوراق جذرية مفصصة . الكبير 1: 316
- **اشراص** : نبات عشبي معمر من الفصيلة الزنبقية . الكبير 1: 319
- **اشقاقل** : من الفصيلة الخيمية ، أوراقه مزدوجة التفصيص .

---

[70] **Crum** 594 a & **CED** . 254 :3.

[71] **Wb**. IV 301 : 14ff ; **Er**. 523 :9 ; **Crum** 608 b & **CED** 260.

- **اشـــقيل** : مـــن الفصـــيلة الزنبقيـــة و يـــزرع فـــي العـــريش للحـــد بـــين الحقـــول الكبير 1: 320-21
- **الأوشـنج** : نبـات . الكبير 1: 613
- **البرشوم** : صنف من التمر يقال له الشقم .
- **البرشوم** : ضرب من النخل ، واحدتـه برشومة . الكبير 2: 228
- **البشام** : شجيرة دائمة الخضرة ، ثلاثية الورقات . الكبير 2: 344 –5
- **بشرة الأرض** : ما ظهر من نباتها و ـ البقل و العشب . الكبير 2 : 335
- **البشملة** : شجر يثمر من الفصيلة الوردية يؤكل ثمره . الكبير 2: 345
- **البقش** : شجر طيب الظل . الكبير 2 : 456
- **البهش** : المقل ما دام رطبا . **البهيشة** : فصيلة من النباتات ثنائية الفلقة . الكبير 2 : 625– 6
- **الجشر** : بقل الربيع ، --- : القشر الباطن لحبة الحنطة .الوسيط 1: 128
- **الحرشاء** : نبات سـهلي و هـي أعشـاب تستطيبها الماشية. الوسيط 1: 173
- **الحرشف** : جنس نبـات خشن من الفصـيلة المركبـة . الوسيط 1: 173
- **الخرشوف** : هو الحرشف . الوسيط 1: 235
- **حش** الماشية : ألقي لها حشيشا ، **أحش** المكان : نبت فيه الحشيش و كثر حشيشه . **الحش** : البستان ، و النخل المجتمع . الوسيط 1: 182
- **الحشيكة** : الشـعير يقـال علـف دابتـه حشيكة . الوسيط 1: 183
- **الحائش** : المجتمع من الشجر نخلا أو غيره وفي النخل أشـهر . الوسيط 1 : 214
- **الخرنباش** : نبت طيب الريح . الخصائص 3 : 220

- **الخشب** : ما غلظ من العيدان ، و القسم الصلب من النباتات و هو في الشجر خاصة المـــــــادة الغالبـــــــة فـــــــي الســـــــيقان و الجـــــــذور ..... الوسيط 1 : 243
وفـــــــــــــى الســـــــــــــومرية **GIS** **(CDA**.132**)**
- **الخشخاش** : نبات حولي من الفصيلة الخشخاشية . الوسيط 1 : 243
- **الخوشان** : نبت مثل البقلة التي تسمى القطف ، يأكله الناس .الوسيط 1 : 270
- **الخوشق** : ما يبقى في العذق بعد أن يلقط ما فيه. الوسيط1: 270
- **الرشأ** : شجر يسمو فوق القامة ورقه كورق الخروع لا يثمر. الوسيط 1 : 358
- **الرشاد** : بقلة سنوية من الفصيلة الصليبية ، تزرع و تنبت برية . الوسيط 1: 359
- **أرشم** الشجر : أورق . **الرشم** : أول ما يظهر من النبت . الوسيط 1: 360
- **أرشى** الشجر و الحنظل : امتدت أغصانه كالجبال . **الرشاء** : أحد خيوط اليقطين أو الحنظـــــــل . **الرشـــــــاة** : عشـــــــبة تشـــــــرب للإســـــــهال . الوسيط 1: 360
- **الشبت** : نبات عشبي من الفصيلة الخيمية.الوسيط 1 : 489
- **الشجر** : نبات يقوم على ساق صلبة . و قد يطلق على كل نبات غير قائم . واد شجير : كثير الشجر. المشجر : منبت الشجر . **الشجراء** : الشجر الملتف المتكاثف. الوسيط 1: 491 –2
- **الشريان** : شجر من عصاء الجبال تتخذ منه الأقواس . الخصائص 2 : 309
- **الشوحط** : ضرب من شجر جبال السراة تتخذ منه القسي.الوسيط 1 : 493
- **الشوع** : ضرب من النبت و هو شجر البان .الخصائص 3 : 172 ،6
- **الشقدة** : عشبة كثيرة اللبن و الإهالة يقال لها القشدة.الوسيط 1 : 507
- **الشقارى** : شقائق النعمان ، نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود. الوسيط 1 : 508 – 9
- **الشكير** : الخوص حول السعف ، وما ينبت حول الشجرة من أصلها. الوسيط 1 : 510
- **الشلجم** : السلجم وهو اللفت.الوسيط 1 : 511
- **الشلاشل** : الغصن من النبات.الوسيط 1 : 511
- **الشمار** : بقلة من الفصيلة الخيمية ، يؤكل ورقه و سوقه.الوسيط 1 : 512

- **شمرخ** العدق : خرط شماريخه و ـ الشمراخ :-- العثكال عليه بسر . و ـ العنقود عليه عنب الوسيط 1 :513
- **الشمام** : نبات من الفصيلة القرعية. الوسيط 1 : 515
- **الشهدانج** : بزر شجرة القنب ، و يسمى بالشرانق أو الشنارق.الوسيط 1: 517
- **الشوفان** : نبات علفي من الفصيلة النجيلية.الوسيط1 : 519
- **الشوك** : ما يخرج من الشجر أو النبات دقيقا صلبا محدد الرأس كالإبر. الوسيط 1: 520
- **ربشت** الأرض : كثر عشبها و اختلف ألوانه . أربش الشجر : تفطر و أورق . و ـ أخرج ثمره الوسيط 1: 334 – 5
- **الشونيز** : الحبة السوداء ، و هي المعروفة بحبة البركة .الوسيط 1 : 521
- **أشاح** المكان : أنبت الشيح . الشيح : نبت سهلي من الفصيلة المركبة رائحته طيبة. الوسيط 1 : 522
- **أشاشت النخلة** : صار حملها شيشا . الشيش : التمر الذي لا يعقد نوى أو يكون نواه ضعيفا و يصير حشفا إذا جف .
- **أشاصت** النخلة : حملت شيصا لعدم تلقيحها أو سوء تأبيرها . **الشيص** : تمر لم يتم نضجه لسوء تأبيره أو لفساد أخر . الشيصاء : الشيشاء . الوسيط 1 : 522
- **الشيعة** : شجرة دون القامة لها قضبان فيها عقد و زهرها أصغر من الياسمين . الوسيط 1 : 522
- **الشاي** : نبات يغلي ورقه و يشرب . الوسيط 1: 523
- **عرش** فلان : بنى عريشا . و ـ الكرم عرشا : رفع أغصانه على الخشب . العرش : سرير الملك . العرش : السقف و المظلة ، و أكثر ما تكون من القصب. و عرش الطائر : عشه الوسيط 2 : 614

والمشترك فيها جميعا أنها من الخشب والقصب أو الغاب والألياف وكلها نبات .

- **عشب** المكان : نبت عشبه فهو عاشب . التعاشيب : القطع المتفرقة من العشب . **العشب** : الكلأ الرطب و لا يقال له حشيش حتى يهيج . الوسيط2 : 623 كانت العرب تقول : أعشب المكان ، و عند كثرة العشب قالوا اعشوشب . الخصائص 3 : 267
- **عشش** الطائر : اتخذ عشا . العش : ما يجمعه الطائر من حطام العيدان و غيرها يجعله في شجرة . العشعش : العش المتراكب بعضه فوق بعض . الوسيط 2: 624
- **العكرش** : نبات عشبي من الفصيلة النجيلية ، منبسط مداد .الوسيط 2 : 641

- **فرش** النبات : انبسط على وجه الأرض . أفرش الشجر : أغصن . الوسيط 2 : 707
- **القش** : ردئ التمر . و – ما يتخلف من القمح والأرز بعد درسهما . الوسيط 2: 764
- **المشظ** : الذي يدخل في اليد من الشوك ونحوه . و – الخشبة التي يسكن بها قلق نصاب الفأس . المشظة : الشظية من الشوك أو من الجزع . الوسيط 2: 906
- **المشا** : الجزر ، أو نبت يشبهه واحدته مشاة . الوسيط 2 : 907
- **النشم** : شجر من الفضيلة الزيزفونية كانت تتخذ منه القسي . الوسيط 2: 961
- **الهشرة** : الشجرة يسقط ورقها سريعا . **الهيشر** : عشب معمر شائك من الفصيلة المركبة الوسيط 2: 1026
- **هش** الرجل الشجرة : ضربها بالعصا ليتساقط ورقها . وفي التنزيل العزيز " وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي" (طه 18) . وهش الخبز ونحوه : رق وجف حتى صار سريع الكسر . الهشيش من كل شئ : الهش . و- الهشيم . الوسيط 2: 1026

وكأن الهاء من هوى :أي نزل بعصاه فنتج صوت الشين عن ارتطامها بالأغصان .

- **الوشع** : الشئ القليل من النبت في الجبل . و- شجر البان . و – زهر البقول . و- الشيء القليل من طلع النخل . الوشيع : خشبة علي رأس البئر يقوم عليها الساقي . و- خشبة الحائك التي تسمي الحف . و- سقف البيت . و- شيء كالحصير يتخذ من الثمام. و ـ سياج من قضبان متشابكة على أوتاد يحوط بها البستان أو الحظيرة أو الفناء . . و ـــ الخص . و ـــ ما يبس من الشجر فقط . الوسيط 2 : 1076

و الصفة الأساسية في العناصر الأخيرة أنها من النبات أو ما يتخذ منه .

2- منتجات و مصنوعات النباتات

- **الأشل** : معرب الأصل أكدي **aslu** حبل (ج) أشول . الكبير1 : 321
- **البرش** : حصير صغير من سعف النخيل أو ليفه يجلس عليه . الكبير 2: 225
- **الخشاش** : عود يجعل في أنف البعير يشد به الزمام . الوسيط 1 : 244

- **الخيش** : ثياب يتخذ من مشاقة الكتان و من أردئه . (ج) أخياش ، و خيوش و - : نسيج غليظ من مشاقة الجوت ، تصنع منه الغرائر و الجوالق . الوسيط 1 : 274
- **الشكبان** : مخلاة مشبكة يجمع فيها الزراع الحشائش . الوسيط 1: 509
- **الشماج** : ما خبز من الرز و الشعير و نحوهما أقراصا غلاظا . و ــ ما يرمى من العنب بعد أكل الصالح منه. الوسيط 1 : 512
- **الشال** : رداء كالطيلسان يوضع على المنكبين و يلف على الصدر أو يوضع عليه . و - نسيج رقيق يلف عمامة . (وكان يصنع من الكتان ثم القطن) . الوسيط 1 : 520
- **الشوم** : خشب صلد يستعمل في صنع مقابض أيدي العدد والآلات . الوسيط1 : 521
- **الشيت** : ضرب من النسيج الخفيف المصنوع من القطن . الوسيط1 : 521
- **الشيز** : خشب أسود تعمل منه الأمشاط والجفان ويقال لهما الشيز. الوسيط 1 :522

نحن الآن أمام **ثمانين** كلمة في العربية ارتبطت بالنبات منها **خمسة و ستون** مثلت أسماء للنباتات المختلفة ، و جاء الباقي لأسماء منتجات أو مصنوعات من النبات مضافا إليها الكلمات المصرية السابقة . كانت الظاهرة المشتركة فيها ظهور الشين في بنيتها ، و ربما يعود ذلك إلى الأصل النباتي الذي رأيناه في المحور الأول حول أصل كتابة الشين و يمكن تحري صوتها كما يلي:-

ثالثا : الشين صوت طبيعي من النبات :

يعتقد الباحث أن الإنسان قد أدرك صوت الشين وانتشاره و تعرف عليه من النباتات نفسها ، من الأشجار المرتفعة و أجمات البوص و الغاب في مناقع المياه عندما تداعبها أو تعصف بها الريح ، فتحف الأوراق بعضها ببعض فينتج هذا الصوت .

و ربما أدرك المصري القديم أن مرد ه إلى الأوراق دون سواها فاستخدم كلمة **ac** كتسمية للخشب الشهير بالأرز الذي استورده من كبنة (جبيل) في لبنان . فإذا جردها من أوراقها التي تمثلها (**ش**) و قام بتصنيعها لصارت **aA,** - بمخصص غصن الشجرة الدال على المصنوعات الخشبية _ بمعنى "عود ، قضيب من الخشب

، عمود ، صاري في مركب " . و بالمخصص السابق و الباب **A**a بمعنى " باب "[72].

كما يمكن للإنسان أن يدركه خلال مسيره في حقول الذرة أو القصب ، فيحرك السيقان فتحف الأوراق ببعضها فينتج هذا الصوت . و يمكن اكتشاف من بداخل الحقل إنسان أو حيوان بالاستماع لهذا الصوت فقط و ليس بالرؤيا التي تتعذر بسبب ارتفاع أعواد القصب و الذرة عن قامة الإنسان .

و يدرك هذا الصوت بصورة أوضح إذا كانت تلك النباتات جافة يابسة كأعواد القمح قرب الحصاد ، أو حين يمسك الإنسان بورقة نبات جافة و يهشمها في يده ، أو بصفحة من البردي أو الورق و يطبقها بصورة غير منتظمة . ويرجح هذا رأى عثمان بن جنى عندما أيد أحد آراء اللغويين المتقدمين حول أصل اللغة فيقول :-
" وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ،كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندى وجه صالح ، ومذهب متقبل " . [73]
و هذه محاولة للإنصات لهذا الصوت عبر بعض الأعمال المتصلة بالنباتات فى مفردات اللغتين المصرية القديمة و العربية كتطبيق لما سبق
- مرت بنا قبل كلمات **Sd** : رباط ، ضمادة . **sSd** : رباط ، عصبة للرأس **Sd**: حقيبة , **Sdw** : سور ، طوف . **Ss**: حبل **sSnw** : أحبال ، أربطة .
بتفحص الكلمات السابقة نجد أن الربط بالحبال أو غيرها عمل أساسي فيها ، إلى جانب الشين ، و الاختلاف فيما يزيد عن ذلك .
- هذه الشين يمكن تفسيرها عبر الفعل المصري القديم **S3S3** : يلف ، يجدل (حبلا) . و الذي استمر في الديموطية **S3S3** . و في القبطية ϣϣϫ و بنفس المعنى[74] . هذا الصوت طبيعي في عملية جدل الحبال مع الضغط عليها عند اللف أو الربط .
الغريب أن هذا المعنى نجده في العربية حيث يذكر عثمان بن جني (المتوفي في يناير 1002 / 392 هـ) ذلك فيقول في مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها :

---

[72] **FD** . 36-7

[73] **الخصائص** ، ج1 ، ص 48 – 47 .

[74] **Wb**. IV 413 : 12 ; **Er**. 522 : 8 ; **Crum** 607 a & **CED** . 260 : 2

"و من ذلك قولهم شد الحبل و نحوه . فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ، ثم يليه إحكام الشد و الجذب ، و تأريب العقد ، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين لا سيما و هي مدغمة فهو أقوى لصنعتها و أدل على المعنى الذي أريد بها ..... فأما الشدة في الأمر فإنها مستعارة من شد الحبل و نحوه لضرب من الاتساع و المبالغة " .[75]

- الفعل المصري **tS** و تحويله إلى الرباعي بالتضعيف **tStS** و هو نفسه في العصر اليوناني **dS , dSdS** " حطم الرؤوس ، درس القمح ، دهس ، دق ، طحن " .[76]

و يعتقد الباحث أن **S** هذا الفعل نتيجة لهذا الصوت الطبيعي الصادر من النباتات الجافة عند الدرس و الجرش و القشر و الدش و منتوج ذلك من الدشيشة ، ثم سحبت فيما بعد على الأواني الفخاريةوتحطيم الرؤوس أو الزجاج .الخ

- الفعل **sS** : يكتب ، يرسم ، يلون [77] . ويكون ذلك على البردي حيث احتكاك الفرشاة أو يد الكاتب مع صفحة البردي ، أوعلى الحجر حيث عمل الأزميل و الأدوات المساعدة له . و يمكن تعضيد ذلك من قول الثعالبي في تفصيل النقوش : " النقش في الحائط ، الرقش في القرطاس ، الوشي في الثوب ، الوشم في اليد ، الرشم في الحنطة أو الشعير " . و في الآثار المختلفة : " الخدش و الخمش أثر الظفر . والجحش أثر السقطة و الانسحاج " .[78]

- **SnS** : يمزق [79] . و يصنف الثعالبي باب الشق فيقول : " الشق في الثوب ، شق الجيب ، شك الدرع ، تشققت الأرض " .[80]
- و مثله الفعل **sS** : يقطع كتان [81] .

---

[75] **عثمان بن جني** : الخصائص ، ج2 ، ص 165

[76] **Wb**. V , 329 – 330 & **FD** . 301.

عبد القادر محمود عبد الله : الكتابة الأبجدية ... ، ص 128-9

[77] **Wb** . III , 475 , 6 ff . & **FD** . 246 .

[78] **أبي منصور بن عبد الملك محمد الثعالبي** : فقه اللغة ، دار ابن خلدون - اسكندرية (بدون) ص 61 .

[79] **FD** . 269

[80] **أبي منصور الثعالبي** : فقه اللغة ، ص 160-1

[81] **FD**. 246.

- **Sd –cAa** : قطع بسكين ، قطع شجرة[82] و كلها تضم "ش" أساسية في بنيتها . و في القطع يذكر الثعالبي " وشر بالميشار ، نشر بالمنشار ... الشرشرة : القطع[83] " و في الكسر يذكر : " شج الرأس ، هشم الأنف ، شدخ رأس الحية ،هشم الثريد .. الزهك مثل السهك و هو الجشّ بين حجرين و الجرش و الجش " من الدق "[84]

كما يصنف الثعالبي الأصوات فيقول : " القشيب ، صوت الماء تحت ورق أو قماش : الشخب صوت اللبن عند الحلب . الشخيخ صوت البول ، النشيش صوت غليان القدر و الشراب . النشنشة صوت المقلي . و قشقشة السلة . الخشخشة و الشخشخة صوت حركة القرطاس و الثوب الجديد و الدرع . الحفيف صوت حركة الأغصان و جناح الطائر و حركة الحيّة " .[85]

و هكذا فإنه يمكننا سماع " تفشي الشين " في عمل المنشار عند قطعه الخشب ، و في جرش الحبوب، و شق الجيب و الكتان و في حركة الماء تحت الورق الجاف (النباتات عند سقايتها) أو القماش ، و من السلة المصنوعة من البوص إذا ضغط عليها ، و كذا حركة القرطاس المصنوع من الورق أو البردي .

و بعد هذه الشنشنة من النباتات و العمل فيها فهل يكون صوت حركة الأغصان حفيفا ؟ يعتقد الباحث أن الحفيف هنا بقصد به حركة الأغصان والتي بمعنى الاحتكاك .

- هذا الصوت يدرك بوضوح في عمل آلة **sSSt** :الصلاصل [86] . و قد كررت الشين لتكرار صوتها أثناء تحريكها . وما يقابلها في العربية : شخشيخة والفعل : شخشخ ، والمصدر: شخشخة .

و في العربية يقولون :

الجرش : صوت يحدث من أكل الشيء الخشن . الوسيط 1 : 122

الخشخاش : كل شيء يابس إذا حك بعضه ببعض فصوّت . الوسيط 1: 243

خرشمت الضبع : صوتت في أكلها . الوسيط 1 : 243

---

[82] **FD**. 262.

[83] **أبي منصور الثعالبي** : فقه اللغة ، ص 155-6

[84] المرجع السابق ، ص 162-3

[85] المرجع السابق ،ص 149-51

[86] **FD**. 248.

شحذ السيف و نحوه : أحد أسنانه . الوسيط 1 : 493

- و كأن "ش" تشير إلى صوت احتكاك السيف أو السكين بحجر السن الخشن + حذّ من أحدّ أسنانه ، والتي تفيد المعنى بذاتها . هذه الشين نجدها في **snSmSm** كفعل في المصرية بمعنى " يحد — يسن " [87].

شنشن القرطاس أو الثوب الجديد و نحوه : تحرك فصوت صوتا خفيفا . الوسيط 1: 515

فقش البيضة : فضخها و كسرها بيده ليخرج ما فيها الوسيط 2 : 723

و هكذا تدل الشين مباشرة على صوت الكسر . و يؤكد ذلك بالجذر فقأ العين أو البثرة : شقها فخرج ما فيها .و فقس كإبدال من الشين الوسيط 2 : 722

حيث لا صوت للعين حين تشق - كالبيضة ذات القشرة اليابسة .

القرشة : صوت الجوز و نحوه إذا حركته . الوسيط 2 : 753

مشع القثاء و نحوه : مضغه فسمع له جرس عند المضغ . الوسيط 2: 906

قارن **Sspt** بمعنى خيار في المصرية (ربما للصوت الذي يحدثه عند قضمه و أكله).

الهمشة : صوت الجراد حين يختلط و يزدحم .الوسيط 2 : 1035

و من أصوات الحشرات " **كشيش** الحية بجلدها .. و يقول العرب سمعت للجراد **حترشة** و هي صوت أكله " . [88]

و هكذا فحركة الجراد و احتكاكه ببعض أو بيابس النبات على الأرض كالحية تسير بين خشاش الأرض فيحدث ذلك الصوت أو عند أكل الجراد ،وحركة الماء تحته .

و هكذا خرج صوت الشين من النباتات نضرها و يابسها . و بها يمكن تفسير وجود "ش" في بنية أسماء النباتات ثم سحبت على أصوات اليابس و الخشن من الأشياء . ثم صارت لكثير من الأصوات حتى و إن لم يسمع لها تلك الشنشنة .

اعتبر علماء المصريات **S** صوتا احتكاكيا مهموسا ، مخرجها حنكي لثوي[89] . و هناك اتفاق بين علماء العربية المتقدمين و المحدثين في اعتبارها أيضا من الأصوات

---

(87)**FD** . 234

(88) **الثعالبي** : 148

المهموسة ، التي لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق بها[90]، كما اعتبروا كلا من الشين والجيم صوتا لثويا حنكيا . حيث يحدث صوت الشين في موضع حدوث الجيم : " غير أن تيار الهواء يكون مندفعا بضغط أضعف ، فلا يحرك الوترين الصوتيين ، و يختلف عنه كذلك في حركة أعضاء النطق في مخرج الصوت ، حيث لا تلتصق مقدمة اللسان بالغار (الحنك الأعلى) بل تقترب منه مما يعمل على تضييق مجرى الهواء فيصطدم معظمه باللثة ، و ينتشر داخل الفم محدثا احتكاكا مسموعا" .[91]

و **التفشي** من صفات الشين و يعني انتشار الهواء من الفم ، و يوصف الشين بذلك "لانتشار الصوت عن خروجها حتى يتصل بحروف طرفي اللسان .. و عندما يصطدم باللثة و يرتد إلى الخلف منتشرا داخل الفم محدثا الأثر السمعي الذي يميز صوت الشين و الذي يسميه اللغويين العرب - و هم على صدق- بالتفشي "[92] .

و النتيجة الآن أن الإنسان أدرك صوت الشين من الطبيعة حوله - و تمشيا مع التطور الفكري الذي صاحبته زيادة في مفردات اللغة - بدأ الإنسان يستخدم الشين في مفردات تتصل بالعمل في النباتات أو غيرها و أخيرا للتعبير عن بعض الأصوات عامة .

النتائج

مما سبق يقترح الباحث أن علاقة الإنسان بالشين صوتا و كتابة كانت كما يلي :-

1- أن الإنسان أدرك صوت الشين بداية من الطبيعة ، حيث احتكاك أوراق النباتات بعضها ببعض مما يحدث هذا الصوت ، و ذلك قبل معرفة الإنسان للكتابة .
2- أنه لما ارتبط هذا الصوت و صدر من الأشجار و النباتات نضرها و يابسها ، فإنه بدأ بكتابة الشين بصورة تصويرية تمثل نباتات ، و ذلك في أقدم كتابتين في الشرق الأدنى القديم في مصر و العراق . كتعبير و محاكاة طبيعية لهذا الصوت فجاءت زهرة اللوتس للتعبير عنها في مصر ، و سنبلة القمح أو الشعير في العراق القديم مما يعني أن كلا منهما قد اقتبس نباته من بيئته .
3- و للسبب السابق فإنه كتب بها عددا لا بأس به من أسماء النباتات و الأشجار - مع الوضع في الاعتبار الظروف الأخرى لنشأة باقي أسماء النباتات — و التي تضاعفت في العربية عن المصرية القديمة كتطور طبيعي للغة العربية الحية .

---

[89] **Loprieno A.,** Ancient Egyptian , Cambridge University press (1995) 33-4 table 3.1 ; in Coptic p. 40 tab. 3.6 **& Peust C**., Egyptian Phonology , pp. 115-6

[90] **عبد الحميد ابراهيم الأصيبعي** : الدراسات الصوتية عند علماء العربية ، ط1 ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس – ليبيا (1992) ص 66-7

[91] المرجع السابق ، ص 43-4

[92] المرجع السابق ، 86-7

4- احتفاظ العربية بالكثير من البدايات و الظواهر اللغوية من اللغات الأقدم في المنطقة ، بما يشير إلى أن تاريخها لا يرجع فقط إلى بداية تدوينها كتابة ، و أن مرحلة نضجها و شبابها في الشعر الجاهلي قد سبقتها مراحل عدة لهذا التطور .

5- لما أصبحت الميزة الرئيسة للشين أنها تحاكي صوتا طبيعيا ، فإنها صارت تستخدم في بنية كلمات تعبر عن أصوات مختلفة كالنداء و الشدو و الإنشاد و التشنيع .الخ ..... بعيدا عن الأشجاروالنباتات بعد ذلك .

6- لقوة و انتشار هذا الصوت فإن صار يستخدم في كلمات غير قليلة للتعبير عن القوة ، و ربما كان ذلك لقوة الأشجار و النباتات التي عكست طبيعة هذا الصوت .

Abbreviations

CED. = Coptic Etymological Dictionary, by Cerny j., Cambridge (1976).

Crum. = Crum W.E., A Coptic Dictionary, Oxford (1939).

ER. = Erichsen W., Demotisches Glossar, Copenhagen , (1954).

FD . = A Concise Dictionary of Middle Egyptian, by Faulkner R.O., Oxford (1976).

WB. = worterbuch der Agyptischen Sprache, by . Erman A und Grapow H. , Leipzig (1926 – 53).

الاختصارات

الوسيط : مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة (1985)

الكبير : مجمع اللغة العربية ، ج 1 ، القاهرة (1970) . ج 2 ، القاهرة (1982) . ج 3 ، القاهرة (1992) .

نهر الأردن بحث في الجانب الشرقي
بين المصادر التاريخية والاكتشافات الأثرية الحديثة

د. محمد وهيب•

مقدمة:-

تنبع أهمية نهر الأردن من الدور الحضاري الذي اضطلع به منذ فجر التاريخ وحتى وقتنا الحاضر، حيث عبر الكثيرون منطقة النهر في كلا الاتجاهين، فمنهم الأنبياء والرسل والشعوب والجيوش،فكان العبور بمثابة الاستمرار والتواصل عبر المخاضات التي تشكلت بفعل الطبيعة والجسور التي أنشأها الانسان فيما بعد.

نهر الأردن في اللغة تعني كلمة الأردن في الهندية القديمة النهر الخالد YORDON حيث أن "YOR" تعني سنة، و"don" فتعني نهر أما في السامية فإن كلمة الأردن مشتقة من الجذر"النزول" وتعني: الجدول الذي ينحدر بسرعة، وهو اسم يصف بدقة نهر الأردن وخصوصا في المنطقة العلوية فوق بحيرة طبريا.

وهناك مصطلح آخر لنهر الأردن في اللغة العربية وهو الشريعة (مكان السقاية) وأحيانا يطلق عليه اسم الشريعة الكبيرة. اما أقدم مرجع لاسم نهر الأردن وجد في السجلات المصرية للسلالة الحاكمة التاسعة عشرة والتي وثقت النهر تحت اسم yar-ar-du-naوالذي يشبه الاسم الكنعاني ياردون(YARDON).[1]

مصادر نهر الأردن

تتكون منابع نهر الأردن جراء ذوبان الثلوج في قمة جبل الشيخ يغذي نهر الأردن أربعة روافد، وعند تقاطع هذه الروافد يبدأ نهر الأردن بالجريان باتجاه الجنوب وهذه الروافد هي:

- نهر ليدان: المصدر الرئيسي النابع من غرب جبل الشيخ
- نهر بانياس: ينبع من سوريا ويتحد مع نهر ليدان عند بحيرة الحولة، ومنبعه الرئيسي هو عين ليدان التي تقع في موقع دان في فلسطين.
- نهر الحاصباني: يعتبر المصدر الذي ينبع من لبنان من غرب جبل الشيخ ويجري موازياً لنهر الليطاني ومن ثم يبدأ نهر الأردن.
- نهر البراغيت: وهو جدول ينبع من غرب وادي الشيخ في لبنان، ويصب في نهر الحاصباني.[2]

البيئة:

المناخ

• د.محمد وهيب ـ معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث ـ الجامعة الهاشمية.

[1]Encyclopedia Britannica. 1966 Vol. 13, London 1966 p. 181 – 82 + Har,E, 1978 The pride of Jordan 1978,BA, 41. No2,p 65- 75

[2]Lynch,L 1849 Expedition to the River Jordan and the Dead Sea Philadelphia.

يختلف مناخ الجزء السفلي عن مناخ الجزء العلوي من نهر الأردن. فالجزء السفلي ذو مناخ معتدل، بنما الجزء الأوسط والجنوبي مناخه صحراوي، ويعتبر المناخ الحار والانحرافات الكثيرة التي تحدث على ضفتي النهر من العوامل التي تسببت بنمو الغابات الكثيفة.

الحياة النباتية والحيوانية:

كانت منطقة الزور تدعى قديماً غابة(goan) التابعة لنهر الأردن والتي تعني (الكبرياء) ومن بين المزروعات التي كانت في المنطقة، القطن، الأرز، السكر والعديد من النباتات الاستوائية الاخرى. وقد كان وادي الأردن مليئاً بالنباتات مثل الصفصاف، ألاكاسيا والطرفاء، الدفلى، النباتات الشوكية، البوص، ذرة المكانس والشجيرات الصغيرة.[3]

كانت هذه المنطقة موطنا للأسود التي انقرضت في القرن التاسع عشر وكذلك الغزلان، النمور، ابن آوى، الذئاب، الخنازير البرية والضباع. وتواجدت في المنطقة أكثر من مائة نوع من الطيور، 23 نوعاً منها في الزور و45 نوعاً كانت تعبر الوادي في رحلاتها السنوية، كما تواجدت ايضا الفئران الصحراوية، البط البري مالك الحزين، الجهلول، النورس، الحمام، الحجل، الصقر، اللقلق، السنونو والرو. وقد تواجدت كل هذه الأنواع في منطقة نهر الأردن لكونها بقعة مائية.[4]

نبذة تاريخية:

يملك نهر الأردن شهرته من صفاته الجغرافية الفريدة ومن الارتباط التاريخي والروحي لموقعه بأحداث عديدة حيث يجري نهر الأردن في منطقة تسمى وادي الأردن وهو جزء من وادي الصدع العظيم الذي يمتد من قارة اسيا وحتى قارة إفريقيا ويتميز بالمرتفعات المحيطة به من كلاً الجانبين.[5]

وقد بنيت جسور كثيرة على نهر الأردن خاصة في المنطقة الواقعة قبل مصبه في البحر الميت وذلك لتسهيل حركة العبور وذلك لتسهيل حركة العبور بين جانبيه، ولعب الجانب الشرقي دوراً هاماً في العصور القديمة ودلت نتائج المسوحات والتنقيبات على ذلك كما سنوضح.

الاكتشافات الأثرية الحديثة:

أظهرت المسوحات التي جرت في عدة مناطق في وادي الأردن التواجد الدائم للإنسان فيها ـ خاصة في الجانب الشرقي ـ وذلك منذ العصر الحجري وحتى العصور الحديثة، وقد تم دعم هذه الأدلة من خلال عمليات التنقيب التي تمت في الجانب الشرقي من نهر الأردن ابتداء من نهر اليرموك وحتى البحر الميت.

---

[3] Har 1978, 70.

[4] Palestin.e and Trans Jordan, Oxford, 1943,

[5] Bender,F,U D Geology of Jordan, Germany, Berlin.

وأكدت عمليات الحفر والمسح المتعددة أن الضفة الشرقية من النهر كانت مأهولة أكثر من الضفة الغربية للنهر ويعود ذلك لتعدد الموارد المائية الموجودة. ومع ذلك فإن ضفتي النهر كانتا مرتبطتين بمنطقة البحر المتوسط من خلال الطرق التجارية المنتشرة في المنطقة والمرتبطة بالمراكز الحضارية في الأردن ودمشق.

لقد وثق زوار المنطقة بلا استثناء خلال القرن التاسع عشر والعشرين معلومات تتعلق بالحياة البيئية ومنها النباتات والحيونات والمواقع الأثرية والتاريخية ومنذ1أقدم العصور ابتداء من العصر الحجري القديم.

خلال العصر الحجري القديم 45.000 - 20.000 ق.م

تميز الجانب الشرقي من نهر الآردن بانتشار مواقع هذه الحقبة التي تؤرخ ما بين 45.000 -20.000[6] عام قبل الميلاد في كل من موقع المرزة الشمالي [7]والمرزة الشمالي الشرقي وموقع أبو ألوبة وموقع طبقة فحل ووادي الحمة(32) ووادي الحمة(34)[8] حيث تؤكد هذه المواقع استيطان الإنسان الأول واعتماده على ما توفر الطبيعة له من موارد.

خلال العصر الحجري الانتقالي 20.000 - 10.300 ق.م

وتؤرخ هذه الفترة ما بين 20.000 - 10.300 عام قبل الميلاد حيث استمرت مناطق الجانب الشرقي لنهر الأردن مأهولة وخاصة في موقع طبقة فحل[9] حيث كان الإنسان ما زال غير مستقر ويأوي للكهوف والمغاور ويعتمد على الصيد والمصادر الطبيعية.

خلال العصر الحجري الحديث 15.000 - 4200 ق.م

كشف عن بقايا هذا العصر في وادي زقلاب[10] وكذلك في موقع أبو حامد[11] حيث استطاع الإنسان من بناء قرى زراعية[12] متطورة أسهمت بشكل واضح في تطور

[6]Deborah, O 2001 The Paleolithic Period, including the Epipoleolithic in Archaeology of Jordanl, Macdonald, B, Adams, R and Bienkowskip (eds) p 31-65.

[7]Mohesisen,1988 Survery of Prehistoric Care Sites in the Northen Jordan Valley. In A.N Garrard and H.G Gebel (eds) The Prehistory of Jordan 503-23. British Archaeological Reports. P.515.

[8]Edwards,P.C. etal 1988 Late Pleistocene Prehistory in the Wadi al-Hammeh Jordan Valley. In A.N Garrard and H.G Gebel(eds) The Prehistory of Jordan 525- 565.Oxford, British archaeological Reports.

[9]Moheisen, M and H. Wada 1995 An analysis of the microlithic at Kharaneh IV, phase D, square A20/37 paleorient 21.1: 75 – 75.

[10]Banning E, 1995 Herders or Homesteaders A Neolithic Farm in Wadi Ziglab, Jordan Biblical Archaeologist, 58 1:2-13.

[11]Dollfus, G and Kafafi, Z1988 Abu – Hamid Village du 4e millenaire de la vallee du Jordain, Amman: Economic.

المستوى الحضاري للجانب الشرقي من نهر الأردن من حيث طرز العمارة والأدوات، وتطور الزراعة وتدجين الحيوانات.[13]

خلال العصر الحجري النحاسي 4200 - 3200ق.م

ظهرت خلال هذا العصر مدن كبيرة على الجانب الشرقي من نهر الأردن وخاصة في الجزء الجنوبي حيث يتواجد موقع تليلات الغسول [14]وطبقة فحل[15] ومواقع أخرى في وادي الكفرين ووادي الأردن بشكل عام حيث تميزت هذه المواقع باستمرار التطور الحضاري واستخدام الحجارة ومعدن النحاس جنباً إلي جنب.[16]

خلال العصور البرونزية المبكرة 3200 - 2200 ق.م

تعددت مواقع هذه الحقبة التاريخية وخاصة فترة العصر البرونزي المبكر الحقبة الأولى وحتى الحقبة الثالثة[17] وظهرت قرى ومباني وأدوات تؤكد هذه الحقبة وتوضح أنماط الاستيطان في كل من موقع تل أم حامد الشرقي[18] وكذلك في كل من تل اكتانوا في منطقة حوض الكفرين[19] وتل الحمام[20] ومواقع أخرى عديدة.[21]

خلال العصر البرونزي المبكر الحقبة الرابعة 2200 - 2000 ق.م ظهرت هذه الحقبة في عشرات المواقع على طول امتداد وادي الأردن الجانب الشرقي من نهر الأردن في مواقع تل أبو النعاج، تل الحيات ، تل أم حماد[22]، وكذلك في تل اكتانوا[23] وفي تل أبو هابيل الشمالي وأبو الخرز وأبو قرف قرب دير علا وفي تل الحندقوق.[24]

---

[12]Dollfus 1993 Recent Researches at Abu Hamid, ADAJ,37,241 – 261.

[13]Rolefson,G 2001 The Neolithic Period in Jordan, Archaeology of Jordan,P. 67-105.

[14]Bourke, S 1997 The urbanization Process in the south Jordan Valley: Renewed Excavation at Teleilat Ghassul 1994/1995 in M. Zaghloul etal(eds) studies in the History and Archaeology of Jordan-VI:249- 59 Amman.

[15]Bourke,s, 1999 Preliminary report on the university of Sydney, s Eighteenth and Nineteenth seas ella (Tabeqat Fahl) in 1996/1997 ADAJ,45,120.

[16]Bourke,s, 2001 The Chalcolithic Period,p. 107- 162.

[17]Jotte, A,H 1993 Settlement and society in the early bronze I and II.

[18]Betts, A 1992 Excavations at Tell um-Hammed. The Early Assemblages (EBI-II) Edinburgh University Press.

[19]Prag, K 1991 Preliminary Report on Excavations at tell Ikatanu, Jordan, Levant 21,33-45.

[20]Prag 1993 Excavations at Tell el-Hammam 1990, Syria, 70(1.2) in K. Yassine(ed.) the Archaeology of Jordan: Essays and Report 159-207. Amman, University of Jordan.

[21]Ibrahim,M etal 1988 The East Jordan Valley Survey 1975 (parts 1-2) in Kassine (ed.) The Archaeology of Jordan: Essay and Reports 159 – 207. Amman, University of Jordan.

[22]Ibrahim etal 1988: 191.

خلال العصر البرونزي المتوسط 2000 - 1600 ق.م

ازدهرت الحضارة في الشرق خلال هذه الفترة التاريخية وخاصة مواقع الجانب الشرقي من نهر الأردن حيث ازداد الاستيطان قرب نهر الأردن في مناطق مثل وادي العرب[25] وفي وادي زقلاب[26] وفي طبقة فحل والحمة[27] وظهر تنوع في العمارة المدنية والعسكرية والدينية خلال هذه الحقبة.

خلال العصر البرونزي الأخير 1600 - 1200 ق.م

استمرار الاستيطان خلال هذه الحقبة في عدة مواقع منها في تل المقبرة، تل أبو الخرز، تل الساخنة السعيدية، كريمة ، تل المزار.[28]

خلال العصر الحديدي 1200 - 533 ق.م

استمر الاستيطان خلال هذه الفترة حيث انتشرت المواقع على طول امتداد النهر من الجانب الشرقي وظهرت المخلفات الأثرية والأدوات المؤرخ لهذه الحقبة في مواقع تل أبو الخرز[29] ودير علا[30] واستمر الاستيطان خلال العصر الحديدي الثاني في مواقع نمرين[31] وطبقة فحل وتل السعيدية.[32]

خلال العصر الهلنستي 533 -1م

---

[23]Prag, K 1989 The Intermediate Early Bronze – Middle Bronze Age sequences at Tell Iktanu Reviewed BASOR, 264, 61-72.

[24]Prag, K 1989 The Intermediate Early Bronze – Middle Bronze Age sequences at Tell Iktanu Reviewed BASOR, 264, 61-72.

[25]Hanbury Tension,J 1984 Wadi Arab Survey 1983, ADAJ 28: 385-424

[26]Banning Land Fawcettc/ 1983 Man- Land relationship in the Ancient Wadi Ziglab ADAJ 27:291-309.

[27]Petocz, D and Villiersl 1984 Wadi Hammeh Survey ADAJ 28:77- 81.

[28]Yassine etal 1988 The East Jordan Valley Survey, 1975, in K.H. Yassine (ed) Archaeology of Jordan Essays and Reports, 159- 207>

[29]Fischer, J 1994 Tell Abu al-Kharaz. The Swedish Jordan Expedition 1992. Third Season, ADAJ 38,127-45.

[30]Franken,H 1969 Excavations at Tell Dier Alla Liden and Bourken, H 1997 pre classical pella in Jordan, Aconspectus of ten Years Work Palestine Exploration Quarterly 129, 94 – 115.

[31]Flangen, J etal 1994 212-216 Tell Nimrin preliminary Report on the 1993 Season. ADAJ. 38,205-44.

[32]Tubb, J 1988 Tell es- Saidiyeh: Preliminary Report on the First Three Seasons of renwed excavations, Levant 20:23-88

رغم ندرة مواقع هذه الفترة في منطقة وادي الأردن إلا ان ما تم الكشف عنه في مواقع مثل تل السعيدية[33]، تل المزار[34]، دير علا[35] ما هو إلا دليل واضح على أهمية المنطقة خلال تلك الفترة التاريخية وارتباطها بالعصر الهلنستي.

خلال العصر الروماني1 - 333م

وخلال العصر الروماني شهدت الأردن تطوراً واضحاً في إنشاء المدن والمرافق التابعة لها وحظيت منطقة الجانب الشرقي من نهر الأردن بإنشاء مدينة طبقة فحل Pella[36] وأكدت نتائج التنقيبات الأثرية تنوعاً في طرز العمارة والزخارف في هذه المواقع[37] إضافة إلى ما تم الكشف عنه من بقايا الطرق وخاصة طريق أريحا ـ حسبان عبر نهر الأردن.[38]

خلال العصر البيزنطي 333 - 636م

وخلال العصر البيزنطي استمر الازدهار في منطقة الجانب الشرقي من نهر الأردن وظهرت المباني المدنية والدينية مثل الكنائس وإضافة إلى ما تم الكشف عنه حديثاً في طبقة فحل[39] وخاصة كنائس الموقع[40] ومواقع بيزنطية [41]منتشرة هنا وهناك على طول امتداد النهر ولا يفوتنا الاكتشاف الحديث وهو مغطس السيد المسيح.[42]

خلال العصور الإسلامية 636 - 1400م

[33]Pritchard, J 1985, Tell es- Saidiyeh Excavations on the Tell 1964- 1966 Philadelphia,PA: university of Pennsylyvania.

[34]Yassine and Teixidor 1988 Ammonite and Aramic Inscription from Tell el- Mazar in Yassine, Archaeology of Jordan. P 137-42.

[35]Van der Kooij 1987 Tell Deir Alla, (East Jordan Valley) during the Archaemenid period: some Aspect of the culture in H. sancisi.

[36]Mc Nicoll, A etal 1982 Pella in Jordan I, An Interim Report on the joint expeditions of Sydney and the Collage of Wooster Excavations at Pella 1979-1981. Canberra.

[37]Mc Nicoll A etal 1992 pella in Jordan The Second Interim of the joint expeditions of Sydney and college of Wooster excavations at pella 1982-1985 Sydney.

[38]Mc Nicoll A etal 1992 pella in Jordan The Second Interim of the joint expeditions of Sydney and college of Wooster excavations at pella 1982-1985 Sydney.

[39]Mc Nicoll A etal 1992 pella in Jordan The Second Interim of the joint expeditions of Sydney and college of Wooster excavations at pella 1982-1985 Sydney.

[40]Mc Nicoll, A etal Pella in Jordan II, Sydney.

[41]Piccirillo, M 1985 Rural Settlement in Byzantine Jordan in A. Hadidi(ed) studies in History and Archaeology of Jordan II. 257-61 Amman, Department of Antiquities

[42]Waheeb, M, 2001 Wadi al- Kharrar, in AJA, 106, p445.

وخلال الفترة اللاحقة للعصر البيزنطي استمر الجانب الشرقي يقوم بدوره بشكل فعال خلال العصور الأموية والعباسية والفاطمية وأظهرت التنقيبات الأثرية استيطاناً إسلامياً في كل من طبقة فحل حيث كشف عن بقايا قرية كبيرة[43] إضافة إلي مواقع أخرى على طول امتداد نهر الأردن.

طبوغرافية النهر:

يجري نهر الأردن 200 كيلومترا في وادي الصدع العظيم ("وادي الأردن) الذي يبلغ طوله 644 كيلومترا ممتدا وحتى إفريقيا قبل 20 مليون سنة حدث تغير في قشرة الأرض السطحية، حيث حدث صدعان متوازيان في قشرة الأرض بدأ في موزمبيق وبحيرة نياسا مروراً بأثيوبيا والبحر الأحمر والعقبة ووادي عربة والبحر الميت ونهر الأردن. وتظهر الخرائط بوضوح حافتا الصدع على جهتي البحر الأحمر ووادي الأردن.

تكون الجزء السفلي من وادي الأردن نتيجة لصدع رابع حدث قبل مليوني سنة، ويشكل هذا أخفض بقعة على وجه الأرض حيث تصل إلي 783 متراً تحت مستوى سطح البحر، وكانت المنطقة من بحيرة طبريا حتى البحر الميت تعتبر تجمعاً مائياً واحداً يطلق عليه بحيرة اللسان، وفي مرحلة الجفاف جفت بحيرة اللسان تاركة وراءها بحيرة طبريا والبحر الميت.

يختلف نهر الأردن عن باقي أنهار العالم، إذ أنه يصعد في بعض الأحيان فوق مستوى البحر، ولكن مجراه في المجمل تحت مستوى سطح البحر حتى أنه ينحدر إلي 1400 متراً تحت مستوى سطح البحر إلي أن يصب في البحر الميت.

وصف الرحالة:

ذكر اليعقوبي منبع نهر الأردن فقال في الحديث عن جند الأردن:"مدينة طبرية وهي مدينة الأردن وهي في أسفل جبل على بحيرة جليلة يخرج منها نهر الأردن المشهور".[44]

وقال ابن الفقيه:"وقال ابن شوذب تغور المياه قبل يوم القيامة إلا بئر زمزم ونهر الأردن[45] وهو الذي قال عز وجل:"إن الله مبتليكم بنهر".[46]

[43]Walmsley, A 1992 The social and economic regine at Fihll (Pella) between the 7th and 9th centuries. In p. canivet and J.P.Rey Coquais (eds) La Syrie du Byzance al'Islam VIIIe siecles, 249-61, Ddamascus.

[44]Walmsley, A 1992 The social and economic regine at Fihll (Pella) between the 7th and 9th centuries. In p. canivet and J.P.Rey Coquais (eds) La Syrie du Byzance al'Islam VIIIe siecles, 249-61, Ddamascus.

[45]Walmsley, A 1992 The social and economic regine at Fihll (Pella) between the 7th and 9th centuries. In p. canivet and J.P.Rey Coquais (eds) La Syrie du Byzance al'Islam VIIIe siecles, 249-61, Ddamascus.

وقال ابن حوقل:"وحوران والبثنية رستاقان عظيمان من جند دمشق مزارعهما مباخس ويتصل أعمالهما بحدود نهر بين الذي عند البلقاء وعمان الذي جاء في الخبر انه نهر زكي الحوض وأنه ما بين بصري وعمان. كما انه وضعه على رسمه لصورة بلاد الشام فكانت بحيرة طبريا على الطرف الأعلى وكانت بحيرة زغر على الطرف السفلي.[47]

وقال المقدسي:"ونهر الأردن ينحدر من حلف بانياس فيتبحر بإزاء قدس ثم ينحدر إلي طبريا ويشق البحيرة ثم ينحدر في الأغوار إلي البحيرة المقلوبة وهي مالحة جداً وحشة مقلوبة نتنة فيها جبال وليس فيها أمواج كثيرة.[48]

وأضاف في موضع آخر:"وأما سيحان وجيحان وبردان فإنهن أنهار طرسوس وأذنة والمصيصة يخرجن من بلد الروم ثم يفضن في البحر وكذلك سائر أنهار الشام إلا نهر بردى والأردن فإنهما يفيضان في البحيرة المقلوبة".[49]

وتحدث عن المسافات فقال:"وتأخذ من بيت المقدس إلي بيت جبريل أو إلي مسجد إبراهيم أو إلي نهر الأردن مرحلة مرحلة... وتأخذ من نهر الأردن إلي عمان مرحلة.[50]

وقال أبو عبيد البكري:"... مدينة بانياس، وها هنا ينبع ماء نهر الأردن وعليه الأرحاء، ويذكرون أنها كانت تقف يوم السبت فلا تطحن، وكان انخسف نصفها وتعلق الناس بالمسيح أن ترفع فأبى ورفع رجله حتى انخسف نصف الأرحاء، وفيها أحيا المسيح بنت أدران الملك بعد عشرة أيام، وعمل العجائب في تلك المدينة".[51]

وقال موضحاً في موضع آخر:"والبحيرة المنتنة بأرض العراق وهي لاتقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الأردن، فإذا انتهى إلي البحيرة المنتنة خرقها وانتهى إلي وسطها، وهو نهر عظيم لا يدري اين غوصه من غير أن يزيد في البحيرة المنتنة شيئاً".[52]

وجاء في معجمه:"الأردن نهر بأعلى الشام، وهو نهر طبرية قال يعقوب:وأصل هذه التسمية في اللسان النعاس، ومن حديث مكحول"أن جزيرة العرب لما افتتحت قال رجل عند ذلك: أبهوا الخيل والسلاح، فقد وضعت الحرب أوزارها فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرد قوله عليه وقال: لاتزالون تقاتلون الكفار حتى يقاتل بقاياكم الدجال ببطن الأردن، أنتم من

---

[46] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 249.

[47] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 249.

[48] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 249.

[49] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

[50] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

[51] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

[52] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

غربيه، والدجال من شرقيه". قال الراوي: ما كنت أدري اين الأردن حتى سمعته من رسول الله ﷺ.[53]

وفيما ذكره الزهري :"وأما أنهار الشام فكثيرة أيضا أعظمها وادي الأردن، ومبدأ هذا النهر من جبل باوان الذي بأرض القدس ومساحته من هذا الموضع إلي أن يقع في البحر الرومي مائة وعشرين فرسخاً[54] كما أنه أضاف في موضع آخر قال:"وبمقربة من بيت المقدس الجبل المسمى بجبل بلدان، ومنه ينبعث النهر المسمى بنهر الأردن، وفي هذا الجبل كان الجذع الذي تحته عيسى ابن مريم عليه السلام، ويقال ان في هذا الجبل أشجاراً كلها مائلة تنوي السجود".[55]

ومما ذكره الإدريسي:"وبين وادي الأردن وبيت المقدس مسافة يوم واحد من قبل أن تصل إلي وادي الأردن مدينة أريحا وبينها وبين الوادي ثلاثة أميال، وعلى الوادي المسمى الأردن كنيسة عظيمة على اسم شنت يوحنا يسكنها رهبان الإغريقيين، ووادي الأردن يخرج من بحيرة طبريا ويصب في بحيرة سادوم وعاموراء اللتين كانتا مدينتي قوم لوط فغرقهما الله بذنوب أهلها ومما يلي قبلة وادي الأردن برية متصلة"[56]. وأما ياقوت فقد اجتهد في تفسير معنى كلمة الأردن وقال:"قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف: هما أردنان: أردن الكبير وأردن الصغير، فأما الكبير فهو نهر يصب إلي بحيرة طبرية، بينه وبين طبرية، لمن عبر البحيرة في زورق اثنتا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر، فتسقي أكثر ضياع جند الأردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه إلي البحيرة التي عند طبرية، وطبرية على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة، فهذا النهر أعني الأردن الكبير، بينه وبين طبرية البحيرة، وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور، فيسقي ضياع الغور، وأكثر مستغلتهم السكر، ومنها يحمل إلي سائر بلاد الشرق، وعليه قرى كثيرة ومنها بيسان وقراوا وأريحا والعوجاء وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين، ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً، فيسقي ضياع الغورو ضياع البثنية ثم يمر حتى

---

[53] أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب،ج1،ص137-138.

[54] أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب،ج1،ص137-138

[55] أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب،ج1،ص137-138

[56] الإدريسي، محمد بن محمد(ت560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب،1989،ص 361-362.

يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي".[57] وقال ابن السعيد المغربي:"ونهر الأردن المعروف بالشريعة يخرج من بحيرة طبرية ويمر بالغور حتى يصب عند أريحا في هذه البحيرة الميتة فلا يزيد".[58]

كما ذكره شيخ الربوة حيث قال:" نهر الأردن وهو الشريعة نهر غزير الماء من بانياس ويمتد إلي الحولة فيعمل بحيرة تسمى بحيرة قدس باسم مدينة دمنتها بالجبل، وقدس ملك لتلك الأرض، وينصب إلي تلك البحيرة أنهار وعيون ثم يمتد في الخيطة إلي جسر يعقوب إلي تحت قصر يعقوب إلي أن يصل إلي بحيرة طبريا فيصب فيها، ثم يخرج إلي الغور ويخرج من حمامات طبرية مياه ساخنة مالحة هي من العجائب في سخونتها ثم نهر يصب في بحيرة طبرية ويخرج من الحمة التي هي قرية يقال لها جدر وفي هذه العين منافع كثيرة لأمراض كثيرة في الناس يخرج من الحمة نهر كبير يلتقي هو والخارج من بحيرة طبريا إلي مكان يقال له المجامع في الغور ويصيران نهراً واحداً، وكلما امتد منحدراً غرز ماؤه وكثر وينصب إليه من بيسان من أعين إلي هذا النهر وينصب إليه أعين أخري ويمتد إلي بحيرة زغر المالحة المنتنة وتسمى بحيرة لوط فينصب فيها ولا يخرج منها.

وهذه البحيرة لاتزيد في الشتاء لزيادة المياه المنحدرة إليها فإنها مياه كثيرة ولا تنقص في الصيف، ولا يزال هذا النهر فيها ليلاً ونهاراً، وللناس في مغيض الماء فيها أقوال فمن الناس من قال أن الماء بحر أرض بعيدة يخرج فيها فيسقيها ويزرعوا عليه ويشربوا من مسيرة شهرين، ومن الناس من يقول أن أرضها شديدة الحرارة ومعادنها كبريتية ملتهبة فهي لاتزال ترفأ بخاراً متحللاً بخلقة الماء الداخل ويتحلل بخاراً كذلك، وقيل بل هي خسفة في الأرض متصلة ببحر القلزم، وقيل بل هي خسفة لا قرار لها ... ونهر الشريعة كأنه في الاعتبار فلك دائرة يطلع من أول الغور من بحيرة قدس ويتوسط ببحيرة طبرية ويغور في بحيرة زغر".[59]

وقال أبو الفداء:"بحيرة زغر وهي البحيرة المنتنة ويصب فيها نهر الأردن وهو نهر الشريعة ويغيض الماء فيها ولا يخرج منه شيء من الأنهار بل مغيض لتلك المياه العظيمة..."[60]

---

[57] الإدريسي، محمد بن محمد(ت560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب،1989،ص 361-362.

[58] الإدريسي، محمد بن محمد(ت560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب،1989،ص 361-362.

[59] شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الدمشقي(ت727هـ) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، مكتبة المثنى(د.ت) ص107-109.

[60] أبو الفداء، إسماعيل بن محمد(ت732هـ) تقويم البلدان، اعتنى بطباعته جوزيف رينود، ماك يسلان،باريس، دار الطباعة السلطانية 1840 ص39.

كما أضاف في موضع آخر:" نهر الأردن وهو نهر الغور ويسمى الشريعة أيضاً، وأصله من أنهار تصب من جبل الثلج إلي بحيرة بانياس ويخرج منها نهر الشريعة المذكور ويسير ويصب في بحيرة طبريا، ثم يخرج من بحيرة طبرية ويسير جنوبا ويصب في الشريعة بعد انفصالها عن بحيرة طبرية نهر اليرموك بين القصير وبين بحيرة طبرية،وتسير الشريعة وهي نهر الأردن المذكور في وسط الغور جنوبا ويتجاوز بيسان عند طول 58 وعرض 32 و 50 دقيقة ويتجاوزها ويسير جنوبا إلي أريحا عند طول ست وخمسين وثلث وعرض إحدى وثلاثين وكسر ثم يسير جنوباً ويصب في البحيرة المنتنة".[61]

وقال ابن الوردي:" والأردن هو نهر يخرج من بحيرة طبرية ويحط في بحيرة سدوم وعامورا مدائن لوط".[62]

وذكر ابن تميم المقدسي:"والأردن هو النهر المعروف بالشريعة المذكورة في قوله:" إن الله مبتليكم بنهر" ويقال أن يحيي بن زكريا عليه السلام صبغ عيسي بنهر الأردن".[63]

أما الحميري فقال:" الأردن، نهر بالشام وهو نهر طبرية عليه مدن وكل من على جنبيه أردني"[64]

أما مجير الدين الحنبلي فقد ذكر وصفاً لحدود نهر الأردن وأضاف: إن الله أمر عيسي بن مريم عليه السلام أن يدعو الناس إلي دين النصارى غمسه يحيي في نهر الأردن ولعيسي نحو ثلاثين سنة، وخرج من نهر الأردن وابتدأ بالدعوة.[65]

ونهر الأردن في الشعر في قول عائشة الباعونية لما بنى الملك الظاهر برقوق جسر الشريعة:

بني سلطاننا برقوق جسراً ... بأمر والأنام له مطيعة
مجازاً في الحقيقة للبرايا ... وأمر بالمرور على الشريعة[66]

---

[61] أبو الفداء، إسماعيل بن محمد(ت732هـ) تقويم البلدان، اعتنى بطباعته جوزيف رينود، ماك يسلان،باريس، دار الطباعة السلطانية 1840 ص39

[62] أبو الفداء، المصدر نفسه،ص48.

[63] أبو الفداء، المصدر نفسه،ص48.

[64]ابن تميم المقدسي،أبو محمد بن تميم(ت765هـ) مثير الغرام إلي زيارة القدس والشام(تحقيق) أحمد الخطيمي،بيروت،دار الجيل، 1994 ص285، ويقصد بصبغ هو تعميد السيد المسيح في مياه نهر الأردن.

[65] الكردي، محمد علي الصوريكي، الأردن في شعار العرب،ط2،عمان، وزارة الثقافة والتراث القومي، 1988،ص105.

[66] عبد الغني النابلسي، عبد الغني إسماعيل بن عبد الغني(ت1143هـ) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986،ص137.

وكان عبد الغني النابلسي قد مر بالغور في رحلته سنة 1105/ 1693م وذكر نهر الأردن قائلاً:

يا سقا الله أراضي أريحا جانبا مشرقاً وقفراً فسيحاً
ورعا ثم للشريعة نهراً بزلال المياه كان طفيحاً[67]

الخلاصة:

لعب نهر الأردن دور الحدود، وقد تم تجسيره بسبب وجود 45 مخاضة كونتها الطبيعة فيه. ويصب في نهر الأردن العديد من الينابيع والجداول من الجبال الشرقية والغربية مما أدى إلي انجراف التربة إلي نهر الأردن وبالتالي تكونت هذه المخاضات.

وشكل نهر الأردن حاجزاً بين سكان الضفتين، ولم يكن في وسع أحد أن يعبر النهر إلا عبر هذه المخاضات التي جاء ذكر بعضها في كتب الرحالة.ومن أهم المراجع التاريخية عن هذه المخاضات في العهد البيزنطي هي خارطة فسيفساء مأدبا، اكتشفت هذه الخارطة عملية القيام بعبور النهر من خلال بنائين يمر بينهما خط أفقي يربط برجين تحتهما قارب، وقد أظهرت صور قديمة بان عبور النهر كان يتم بواسطة قوارب يسيرها السكان عن طريق شد أنفسهم بواسطة حبال، ويطلق عليها المحليين اسم (فلوكة).

وكان الرومان أول من بنى جسراً على نهر الأردن بين القرنين الأول والثالث الميلادي، وما زالت آثار بعض هذه الجسور موجودة في عدة مناطق اسفل بحيرة طبريا (حوالي ثمانية كيلو مترات إلي الجنوب قرب وادي اليرموك في دامية).

واستمر بناء الجسور على نهر الأردن خلال الحقب التاريخية المتلاحقة حيث اشتهر منها ما يلي:

- جسر ديجانية
- جسر المجامع
- جسر الشيخ حسين
- جسر دامية والذي يعرف أيضا بجسر الأمير محمد
- جسر المنداسة
- جسر النبي والذي يعرف أيضا بجسر الملك حسين
- جسر الملك عبد الله

وكان العثمانيون قد بنوا جسراص خشبياً على نهر الأردن لتسهيل العبور في كلا الاتجاهين إلا أنهم دمروا الجسر لاحقاً عام 1917م لمنع الجيوش البريطانية من دخول الأردن.

[67] Piccirillo, M 1997 The Mdaba Map, Travelling Through the Byzantine Umayyad Period, Jerusalem.

ومن أهم نقاط العبور الحالية جسر الملك حسين (للنبي سابقاً) الذي يربط عمان بالقدس وسائر مناطق غربي نهر الأردن، وجسر الشيخ حسين وجسر بنات يعقوب (المجامع) على طريق دمشق - سكة حديد المنشية يلاحظ أن الدراسة قد اوضحت العلاقة بين الاستيطان المكثف الشرقي من نهر الاردن عبر العصور ابتداء من العصر الحجري وحتى نهاية الفترات الإسلامية، ولعل الدافع وراء هذا الاستيطان هو توفر عناصر الطبيعة التي جذبت الإنسان للاستقرار في هذه المنطقة ومن أهم تلك العناصر وفرة المياه وخاصة نهر الأردن والينابيع المتدفقة عبر السفوح باتجاه نهر الأردن إضافة إلي ملائمة المناخ وخصوبة التربة، وقد أكدت الدراسة ازدياد النشاط السكاني في هذه المنطقة خلال فترة العصور البرونزية وخاصة العصر البرونزي المتوسط الذي شهد ازدياد في حجم الاستيطان وتطوراً في اساليب العمارة والفنون واستمر ذلك بوتيرة ثابتة خلال العصور اللاحقة مثل العصر الحديدي، الروماني، البيزنطي والإسلامي، كما تبين وجود الاستيطان الموسمي في المنطقة حيث تم الإقامة في عدد من المستوطنات الزراعية في الجانب الشرقي من نهر الأردن خلال فصل الشتاء ثم لا يلبث السكان أن يتركوا هذه المستوطنات حال قدوم فصل الصيف الحار وهكذا على مدار العام.

ويشار إلي أن، وجود نهر الأردن قد أكد التواصل الحضاري ما بين الجانبين الغربي والشرقي منه كونه شريان الحياة الذي يغذي جانبي مجراه والأماكن المحيطة، حيث كان ولا زال نهر الأردن يمثل عامل الاستقرار نتج عنه تطور حضاري في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والدينية بحيث لم تفعل تلك التجمعات السكانية من حوله الجانب الروحي فتم الكشف عن أماكن العبادة والصلاة في هذه المنطقة ابتداء من العصور البرونزية وحتى وقتنا الحاضر. ولا يفوتنا ذكر ما تم الكشف عنه حديثاً ألا وهو مكان عماد السيد المسيح قبالة مدينة أريحا على الجانب الشرقي من نهر الأردن لما يمثله هذ الحدث الديني من أهمية كبرى لنهر الأردن ودوره الحضاري حيث ما زال محط أنظار الحجاج ومقصداً للسياحة البيئية بما يحويه من أنواع النباتات والحيوانات والطيور. وقد ركز الجغرافيون العرب في وصفهم لنهر الأردن ومحيطه على منابع النهر وجريانه من المناطق المرتفعة نحو أخفض بقعة على سطح الكرة الأرضية ومن ثم مصبه في البحر الميت الذي وصف بأنه بحر لا حياة فيه، كما ربطه البعض بالأحداث الدينية مثل(غمس) السيد المسيح فيه (العماد) كما وردت إشارات إلي أسماء بعض القرى والمدن التي كانت متواجدة على طرفي النهر والتي تتأثر بفيضان النهر خلال موسم الشتاء.

ولا يحافزنا شك أن وصوفات الرحالة رغم أنها جاءت مقتضبة احيانا وغير ومليه إلا انها أفادت في تعريف القارئ بكافة الأحوال المرتبطة بنهر الأردن ابتداء من منابعه وحتى مصبه.

الفكر المعماري وراء ابتكار المروحيات الإسلامية

أ.د. مصطفى نجيب•

تمهيد:

من المؤكد أن معمارى العالم الإسلامى كانوا فى تفكير دائب لتقديم كل ما هو جديد فى مجالهم، ولم يركنوا إلى ما هو مورث أو ما قد ابتكروه فيما قبل ذلك.

فقد اشتغل المعمار المسلم فى مجال المروحيات – فى بعض أقاليم العالم الإسلامى على اختلاف مواقعها – على عناصر معمارية سواء كانت من ابتكارات أسلافه قبل الإسلام كعرب الشام الذين ابتكروا المثلثات الكروية[1]، وأصبحت من رصيدهم فى مجال الحضارة الإنسانية، أو من رصيد من سبقهم وورثوه من الحضارات السابقة عليهم كما فعل معماريو المغرب والأندلس، إذ قاموا باستغلال القبو المتقاطع وأجزائه[2] فى هذا المجال ومزجه بترس الطبق النجمى.

فكر المعمارى الشامى :

فبالنسبة لعرب الشام بعد دخولهم الإسلام ظلت تقاليدهم المعمارية فى مجال المثلثات الكروية تتبع ما هو مألوف (ش1) إلى أن توصلوا – ربما بفعل تأثيرات سلجوقية – حول منتصف القرن 6هـ/12م فى العهد الزنكى لنمط آخر ولكن منبثق من المثلث الكروى ذاته، إذ عمدوا إلى تزوية جوفه بزاوية منفرجة تتوسطه – بتأثير من رجل القبو المتقابل المزواه (لوحة 3) – التى يزيد انفراجها كلما صعدت لأعلى ، مما ساعد إلى إيجاد ضلعين منفرجين بأعلاه وقد ساعد التقاء هذه الإضلاع على إيجاد قطب متسع مثمن أو أثنى عشرى الأضلاع (لوحة 4، 5، 6) بدلاً من المحيط الدائرى القديم الذى كان ملائماً لاتكاء قبة ضحلة عليه مباشرة، وكان مصدر إلهامه فى هذا الابتكار رجل القبو المتقابل ذات الزاوية المنفرجة التى أخذها وضمنها وسط المثلث الكروى، وبذلك ظهرت لديهم الفكرة الأولى للأرجل المروحية المخوصة فى ثوبها الجديد ولكنها

• أ.د/ مصطفى نجيب، أستاذ الآثار والعمارة الاسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

[1] أنظر : فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية "عصر الولاة" المجلد الأول، ص 139، القاهرة الطبعة الثانية، 1994.

[2] أنظر : Dokmak, A. : Estudio de los Elementos Islamicos en la Arquitectura Mudéjar en Espana a troves do las bovedas do mocarabes y de ejemplos de la Epigrafia Arabe. Tesis Doctoral, vol., I Madrid, 2001. PP. 79-90, Fig. 3-6, Fota, 1-9.

(رسالة دكتوراه غير منشورة، محفوظة بالمكتبة الخاصة للزميل الدكتور/ أحمد دقماق – بالقاهرة).

قصيرة نظراً لانطلاقها من أعلى الجدران وبعدها عن أرضية المكان المغطية له كما نتج عن قصر الأرجل اتساع القطب مما جعلهم يتخذونه كمنطقة انتقال للقباب مرة أخرى ولكن فى شكلها الجديد، مع استخدام طريقة المعالجة بالمثلثات ذات الوتر المنحنى أسفل القبة مباشرة حتى لا تكون مضلعة كالقطب المتكئة عليه (لوحة : 6،4)، وبذلك ظهر للوجود الجيل الثانى من المثلثات الكروية "المخوصة"، وهى ما نطلق عليها الأرجل المروحية فى منهجنا.

فكر كل من المعمارى السلجوقى بإيران والأناضول :

كان للمعمارى السجلوقى الإيرانى محاولة مبكرة نتيجة لمخزون تراثى بدءاً من النصف الثانى من القرن (5هـ/11م)،(ش 4،3)، وبمشاركة تالية من زميله الأناضولى، واللذين طورا ما لديهما من حيث ما انتهى إليه المعمارى الشامى بزيادة رشاقة الأرجل المروحية وامتدادها لأسفل قريباً من أرضية المكان فانعكس هذا الامتداد على اتساع قطبها فجاء محدوداً صغيراً بشكل رشيق وفى هذه الحالة قلما يتوج بقبة – عكس نظيره الشامى – وإن توج بها فهى محدوده الاتساع للغاية، وإن كان فى الأغلب الأعم مصمتاً، أو يترك مفتوحاً (لوحة7) ليتوج بفانوس خشبى أو بقبيبة صغيرة، وهذا ما نطلق عليه الجيل الثالث فى منهجنا، والذى ظهر كقبو مستقل له كيانه، لا كأرجل مروحية اتخذت كمنطقة انتقال للقباب – وفى هذه الحالة هى جزء من كل – ولكن كقبو مستقبل متكامل، وهو ما سعى إليه كل من معمارى إيران والأناضول فى المحاولة السابقة.

وبذلك أخضعا صاحب الابتكار الأول – وهو المعمارى الشامى – لتقاليدهما هو وقرينه المصرى (لوحة8)، وما أضافه المعمارى الأناضولى فى هذا المجال يكمن فى تعدد أشكال أقطاب أقبيته، إذ قدم تشكيله متنوعة فى هذا الصدد، منها المثمن الرشيق، وهو أقل كثيراً من القطب الشامى فى الحجم، والمسدس والمربع والمعين بانحراف زواياه، والمتقاطع المسلوب الأطراف والنجمى أيضاً المتعدد الرؤوس، ولكن يوجد فارق بينه وبين المغربى، إذ إن أرجله مروحية مخوصة غائرة لا مزواه، بارزة لإلتقاء زواياه بزوايا القطب النجمى المحصورة بين رؤوسه، وهذا فارق جوهرى بينهما.

أما ما تلا ذلك من ظهور هذه المثلثات المتطورة، فكان من نصيب المعمارى الشامى[3] دون سواه – خلاف ما حدث فى الجيل الثالث – إذ شغل جوف المثلث

[3] إذا كان هذا يعد ابتكاراً آخر يحسب له فى مجال الحضارة الإنسانية – وهذه حقيقة – فإن هذا جاء بزيادة فاعلية تلك المثلثات بشغلها بحطات المقرنصات، وبذلك حصلوا على مناطق انتقال زادت ارتفاعاً مع توالى الزمن، وإن كانت قد بدأت بسيطة فى القباب المبكرة التى أنتجها وقد ظهر هذا جلياً فى كل من القبة الوسطى= =بالقاعة الغربية للمدرسة الظاهرية البرانية 610هـ/ 1213م "بحلب"، وقبة المدفن الملحق

بمقرنصات حلبية بدأت محدودة الحطات (لوحة2) ثم زادت حتى وصلت إلى 14 حطة على يد المعمارى المصرى هذه المرة ببعض القباب الجركسية.

وبهذا نجد أن هذه المثلثات عادت كما بدأت كمنقطة انتقال للقباب الكبيرة فى كثير من أقاليم العالم الإسلامى، خاصة الشام ومصر.

فكر المعمارى المغربى الأندلسى :

أما معماريو المغرب والأندلس، فقد قاموا فى هذا المجال بالسير على نهج التقاليد القديمة للمثلثات الكروية الشامية، لا بحصرها بين أربعة عقود مفترقة – كالشامية – ولكن بحصرها بين ثمانية عقود أو أكثر مفترقة ومتقاطعة، وقد اتخذت أيضاً كمنطقة انتقال للقباب ذات الضلوع (لوحة 1) – كما يسميها علماء الأندلسيات – فكانت ذات مظهر مختلف عما ألفناه بمناطق انتقال القباب المبكرة التى كانت مكونة من أربعة مثلثات فقط بينما فى هذا الابتكار الجديد وصلت لثمانية أو أكثر مما زاد من عددها، وهذا التعدد ذو المظهر الجديد يعتبر إضافة إلى الرصيد الحضارى المعمارى الأندلسى، وقد أعتقد بعض علماء الأندلسيات أنها مصدر إلهام للمعمارى المصرى فى مجال أقبيته المروحية ولكن الأمر لدينا خلاف ما يعتقدون[4].

أما فى مجال المروحيات فقد عمد معمارى المغرب والأندلس إلى القبو المتقاطع وأجزائه – نصفه أو ربعه – (لوحة 9) بحصره بين أرجل المقرنصات ذات الدلايات

بالمدرسة العادلية الكبرى 612–619هـ/1215–1222م "بدمشق"، والقبة التى تعلو وسط حرم "إيوان قبلة" كل من مدرسة الفردوس 633هـ/ 1235م، وخانقاه الفرافرة 635هـ/ 1237م، وكلتاهما بحلب أيضاً. عن هذه العمائر فقط انظر : محمود مرسى : العمائر الدينية والمدنية الباقية فى مدينة دمشق خلال العهدين الزنكى والأيوبى. المجلد الأول ، ص 248 – جامعة القاهرة، 2002م (رسالة دكتوراه غيرمنشورة، محفوظة بالمكتبة الخاصة لـ أ.د/ مصطفى نجيب – بالقاهرة).

وقد ظهرت الفكرة نفسها فى وقت معاصر تقريباً بالعمائر المغربية الأندلسية، وفى فترة تالية بعمائر القاهرة فى عصر دولة المماليك البحرية بدءاً من الربع الأخير من القرن 7هـ/ 13م بقبة فاطمة خاتون "أم الصالح" 682–683هـ/1283–1284م "بالخليفة فى القاهرة"، وقد أستوعبت مقرنصات تلك القبة داخل عقود نصف دائرية كمساعد لها، ولكن ما لبثت الأمثلة التالية أن رفضت هذا المساعد وظهرت بدونه كنظيراتها الشامية وظلت تنمو وتزدهر طوال الدولة البحرية وأصبحت لها السيادة فى قباب الدولة الجركسية أيضاً، بل وفى القباب المصرية الطراز فى قاهرة العصر العثمانى وإن شاركتها نظم أخرى.

[4] راجع : مصطفى نجيب أقدم قبو مروحى بمصر والقاهرة حاشية 1 "بحث تحت النشر".

التى اتخذت كحليه زخرفية معمارية، لا كعنصر معمارى بحت مثلما حدث على أيدى معمارى الشام وإيران والأناضول ومصر.

وفى هذه الحالة لن تكون تلك الأرجل مخوصة غائرة، ولكن مزواه بارزة كحواف القبو المتقاطع بعد تقنين حجمه فى موضعه الجديد، ولكن ما أضافوه ويحسب لهم فى مجال الحضارة الإنسانية هو الفصل ما بين أعلى أرجل القبو وتعددها بشكل أكثر عما كانت عليه قديماً – لتستوعب قطباً كان فى الأغلب الأعم نجمياً أيا كان عدد رؤوسه والتحمت الأرجل المتعددة المزواه البارزة لملء الفراغ بين رؤوس القطب النجمى، لأنها الأنسب لمئله (ش 5، 8 لوحة 10)، وكان المؤثر فى ذلك ترس الطبق النجمى الناضج (ش2) الذى ابتكره الفنان المسلم على اختلاف مواقع أقاليمه – وسرواته المحيطة به[5]، ما هى إلا أرجل ذلك القبو، إذ أن المتفحص للقبو المغربى الأندلسى ذى القطب النجمى وأرجله المحيطة به، يرى أن الطبق النجمى كان وراء هذا الابتكار، والفارق الوحيد بينهما أن الأول نفذ بشكل مسطح لشغل أسطح رأسية أو أفقية، بينما الثانى نفذ بطريقة مجسمة لشغل مناطق انتقال قباب أو أسقف أفقية ممتدة أو بواطن أقبية طولية أو عقود تتدلى منها أرجل المقرنصات، حاصرة فيما بينها تلك المروحيات النجمية القطب، فكانت معالجة زخرفية معمارية فى مجال المروحيات، ولكن مختلفة عن معالجة معمارى كل من الشام وإيران والأناضول ومصر، لاختلاف أصل الاشتقاق والاستخدام.

---

[5] إذا كان هذا يحسب للمعمارى المغربى الأندلسى فى مجال المروحيات فى العمائر الباقية بدءاً من سنة 531هـ/1137م بمسجد القرويين "بفاس"، فإن المعمارى السلجوقى نفذ الفكرة نفسها تقريباً ولكن بباطن قبابه كحلية زخرفية فى فترة متأخرة عنه نسبياً، وذلك بقباب دير ماربهنام "بالموصل" والتى تعود مبانية للتجديدات التى حدثت سنة 559هـ/ 1164م، وذلك بقبة كل من الحجرة رقم 10،4 (ش6)، أما قبيبة المدبح التى تتوج الحجرة رقم 6 فنتيجة لصغرها فإنها محصورة بين المنطقة الملساء المكورة بقمة التفصيصات التى انتهت مبكراً وقطب القبة الغائر على هيئة قبيبة صغرى، وقد نفذت الفكرة نفسها بباطن القبة المخروطية المسماه بقبة ويلادة ق 6–7هـ / 12–13م "بسنجار"، وقبة الست زينب 637–657هـ/ 1239–1259م "بنفس المدينة". =

=عن هذه العمائر فقط أنظر : عادل نجم عبو : القباب العباسية فى العراق. جامعة بغداد 1967م، المجلد الأول، ص 72–73 ، 110،88–185،168،113. المجلد الثانى ، ش 68، 71، 73–75، 83–84، 101، 171. (رسالة ماجستير غير منشورة، محفوظة بمكتبة قسم العمارة بكلية الهندسة– جامعة القاهرة، تحت رقم 721046ع.ق، رمز 44، مسلسل 101).

الخلاصة :

يتبين لنا مما سبق أن أرجل القبو المروحى المشرقى أكثر تركيباً (لوحة 7، 8) من الأقبية الأخرى، فالقبو المتقاطع كل رجل من أرجله الأربع ذات حافة بسيطة بارزة (لوحة 9)، وكذلك المروحى المغربى لاشتقاقه منه (لوحة 10)، والمتقابل ذو الزاوية الغائرة (لوحة 3)، أما القبو المروحى المشرقى فذو أرجل جمعت بين هيئة رجل كل من القبو المتقاطع والمتقابل فى كيان واحد، وهذا يرجع لالتقائها فى قطب معمارى أثر فى تكوينها فجعلها المعمارى بهذه الهيئة السابقة (لوحة 7،8) كما أن تلك الأقطاب أياً كانت هيئتها بالقبو المشرقى، سواء الأناضولى أو المصرى أو الشامى – بعد خضوعهما للتقاليد الأناضولية – مع ما أضافه لها المعمارى من لواحق – المعينات الممطوطة أو غيرها – ساعدت على زيادة أرجله من واحدة بكل ركن من أركانه الأربعة فى بداية أمره، لثلاث أرجل، بل وصلت إلى خمس بكل ركن منه . وهذا قمة النضوج المعمارى (لوحة 8).

أما القبو المروحى المغربى، فنظراً لاشتقاق أرجله من أرجل القبو المتقاطع وأجزائه، فإن تعددها جاء من دمج ترس الطبق النجمى بوسطها (ش2)، وهذا ما ساعد على زيادتها بشكل ملحوظ (ش 5،8 لوحة 10)، ويعتبر هذا تطوراً ملموساً لا يقلل من شأنه، لأن القبو المتقاطع فى بداياته وإن كان بعضه ذا قطب نجمى أيضاً (لوحة 9) أو وريدة أو جامة مستديرة مفتوحة أو مصمتة تشغلها زخارف، فرغماً عن هذا استخدمت هذه الأقطاب كحلية فقط، ولم تدمج بأرجله معمارياً وبذلك لم يؤثر فى تعددها بل ظلت كما هى أربع أرجل، واحدة بكل ركن منه. أما ما قام به المعمارى المغربى، فهو دمج الترس النجمى فى الكيان المعمارى للقبو مما جعله عنصراً مؤثراً فيه – لا كحلية مثلما كانت به قديماً – مما ساعد على تعدد أرجله حتى وصلت إلى ثمان أو أكثر تبعاً لتعدد رؤوس القطب – الترس النجمى – وهذه قمة أخرى من قمم النضوج المعمارى.

هذا، وقد انتقلت تلك الأقبية المروحية المغربية الأندلسية إلى كثير من بلدان المشرق الإسلامى وظهرت بعمائرها، سواء كان هذا بتأثير مباشر من هناك لرحيل معماريين ومزخرفين إليها، أو كنوع من توارد الأفكار التى أنتجت نفس الملابسات والمحكات فى مجال العمارة والزخرفة، فكان النتاج واحداً.

وقد ظهر هذا بمصر (لوحة 11، 12) بتأثير مباشر لهجرة كثير من المعماريين والفنانين إليها أثناء حرب الاسترداد الإسبانية، بالإضافة لتأثيرات سلجوقية من الشام وإيران والأناضول، وقام المعمارى المصرى بصهرها فى بوتقة واحدة فأنتجت مزيجاً غير مألوف فى مجال المروحيات التى اتخذت كحلية معمارية زخرفية.

مراجع البحث

أ- مراجع عربية:

1- أسامة طلعت:

العمارة الإسلامية فى الاندلس. القاهرة، 2000م.

2- عبد العزيز الدولاتلى:

مدينة تونس فى العهد الحفصى. "تعريب محمد الشابى وعبد العزيز الدولاتلى". تونس، 1986م.

ب- رسائل عربية: ماجستير:

1- ابراهيم محمد ابراهيم ابو طاحون:

المدارس المملوكية فى طرابلس الشام وتطورها "دراسة معمارية أثرية". مجلدان- جامعة الاسكندرية 1996م.

(رسالة ماجستير غير منشورة، محفوظة بالمكتبة الخاصة للزميل الدكتور/ ابراهيم أبو طاحون- بالقاهرة).

2- عادل نجم عبو:

القباب العباسية فى العراق. مجلدان- معهد الدراسات الإسلامية- جامعة بغداد 1967م.

(رسالة ماجستير غير منشورة، محفوظة بمكتبة قسم العمارة بكلية الهندسة- جامعة القاهرة،تحت رقم 721046 ع.ق.رمز 44/ مسلسل 101).

دكتوراه:

3- محمود مرسى:

العمائر الإسلامية الدينية والمدنية الباقية فى مدينة دمشق خلال العهدين الزنكى والأيوبي - 3 مجلدات- جامعة القاهرة 2002م.

(رسالة دكتوراه غير منشورة، محفوظة بالمكتبة الخاصة لـ أ.د. مصطفى نجيب بالقاهرة).

ج-أبحاث عربية:

1-مصطفى نجيب:

أقدم قبو مروحى بمصر والقاهرة. "بحث تحت النشر".

د-مراجع أجنبية:

1-Barrucand, M. Bednorz, A.:

Moorish Architecture in Andalusia. Taschen, 1992.

2-Erdmann, k.:

Dos Anatolische karavansaray. Berlin, 1961.

3-Pepe, A.U.:

Persion Architecture. Soroush press, tehran, 1976.

ه- رسائل أجنبية:

1-Dokmak, A.:

Estudio de los Elementos islamicos en la Arquitectura Mudejar en Espana a troves de los bovedas de mocatabes y de ejemplos de la epigrafia Arabe. Tesis Doctoral, I, vol. Modrid, 2001.

(رسالة دكتوراه غير منشورة محفوظة بالمكتبة الخاصة للزميل الدكتور/ أحمد دقماق- بالقاهرة).

مثلث الكروى البسيط قبل تطوره

المثلث الكروى البسيط قبل تطوره

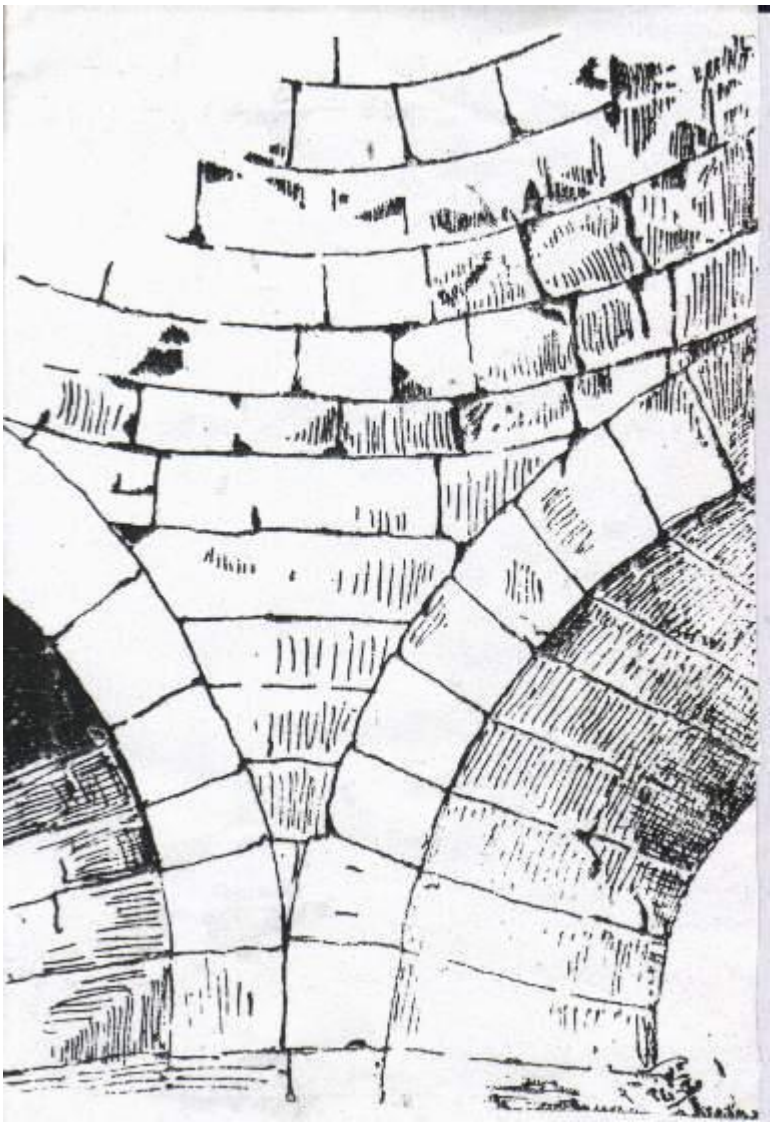

شكل (١) مثلث كروى حقيقى، الذى ابتكره عرب الشام منذ القرن ٤م، وطوروه ليكون ابتكارهم الثانى فى مجال المروحيات

نقلاً عن: فريد شافعى

المثلث الكروى بعد تطوره على أيدى معمارى الأندلس، وزيادة تعدده وحصره بين عقود مفترقة ومتقاطعة لا مفترقة فقط كالقديم

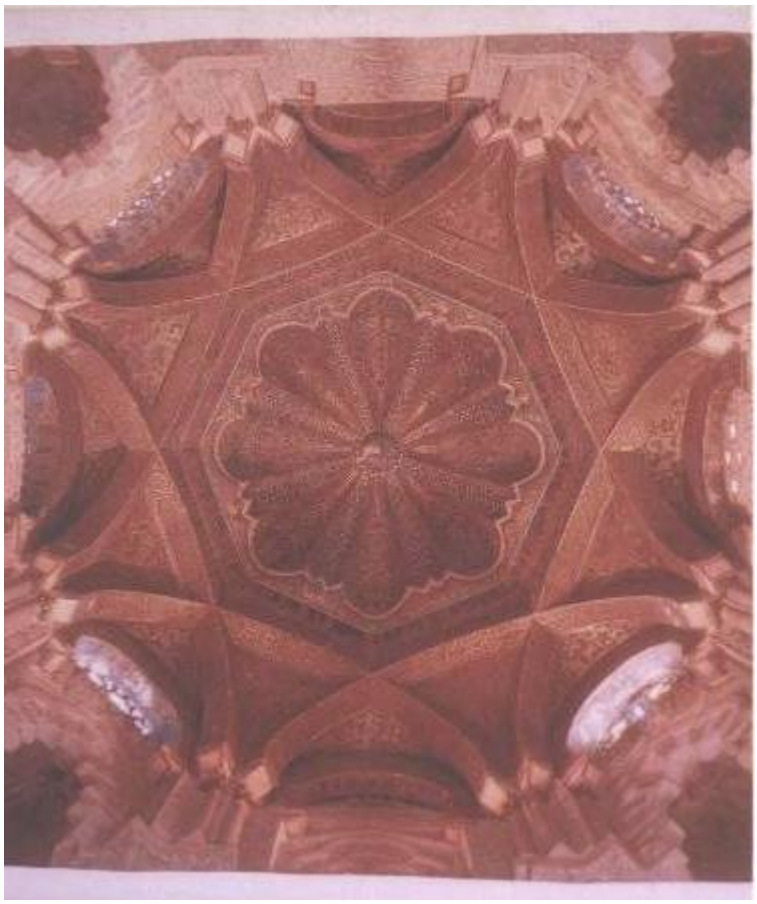

لوحة (١) قبة المحراب بجامع قرطبه فى زيادة الحكم المستنصر (٣٥٤هـ/٩٦٥م)
وقد قامت على منطقة انتقال من تقاطع وافتراق ثمانية عقود حصرت فيما بينها ثمانية مثلثات كروية فاكتسبت مظهراً جديداً يخالف ما كان سائداً قبل ذلك، وهذا التطور يحسب للمعمارى الأندلسى فى مجال الحضارة الإنسانية
نقلاً عن: Barrucand & Bednorz

**المثلث الكروى بعد تطوره على أيدى معمارى الشام،
وشغله بحطات المقرنصات التى زادت مع الزمن
وأصبحت من أكثر مناطق الانتقال ارتفاعاً**

**لوحة (٢) المدرسة العادلية الكبرى (٦١٢-٦١٩هـ/١٢١٥-١٢٢٢م) "بدمشق"،
منطقة انتقال قبة المدفن الملحق بالمدرسة، وهى على هيئة مثلثات مقلوبة
شغلت بالمقرنصات وهذه المثلثات المقرنصة هى أحد التطورات التى
ألحقها المعمارى الشامى بالمثلثات الكروية
نقلاً عن: محمود مرسى**

القبو المتقابل الذى استلهم منه معمارى الشام تطوير المثلث الكروى ليصبح مزوى الجوف مكوناً أول أرجل مروحية

لوحة (٣) المدرسة الحلوية (٥٤٣هـ/١١٤٨م) بحلب - نصف قبو متقابل يتوج دخلة حجر المدخل الرئيسى للمدرسة

صورة مهداة من أرشيف صور المكتبة الخاصة للزميل الدكتور/ محمود مرسى

المثلث الكروى بعد تطوره بشغل وسطه بزاوية القبو المتقابل واستخدامه كأرجل مروحية فى مناطق انتقال القباب

لوحة (٤) قبة ابن المقدم (قبل ٥٩٧هـ/قبل ١٢٠٠م) "بدمشق"، منطقة انتقال القبة وهى على هيئة أرجل مروحية، وهى تمثل الجيل الثانى من المثلثات الكروية المتطورة على أيدى المعمارى الشامى، ولكن بعد مضى أكثر من ٨ قرون على الابتكار الأول لأجداده
نقلاً عن: محمود مرسى

لوحة (٥) خانقاه سلار وسنجر الجاولى (٧٠٣هـ/١٣٠٣-١٣٠٤م) بشارع مارسينا - القاهرة، قبو مروحى يعلو بسطة السلم المؤدى لداخل الخانقاه، وهو ذو قطب مفتوح اثنى عشرى الأضلاع، بتأثير من الأقطاب الشامية المتسعة، ويعد هذا القبو أقدم مثل باق بعمائر مصر
تصوير المؤلف

لوحة (٦) المدرسة القرطائية(٧١٦-٧٢٦هـ/١٣١٦-١٣٢٥م) "بطرابلس الشام"، منطقة انتقال القبة التى تعلو محراب ايوان قبلة المدرسة، وهى على هيئة أرجل مروحية تحصر فيما بينها شكلا اثنى عشرى ارتكزت عليه رقبة القبة

نقلاً عن: إبراهيم ابو طاحون

القبو المروحى بعد أن أصبح عنصراً قائماً بذاته - وهو الجيل الثالث فى منهجنا - وقد تم هذا على أيدى معمارى كل من إيران والأناضول

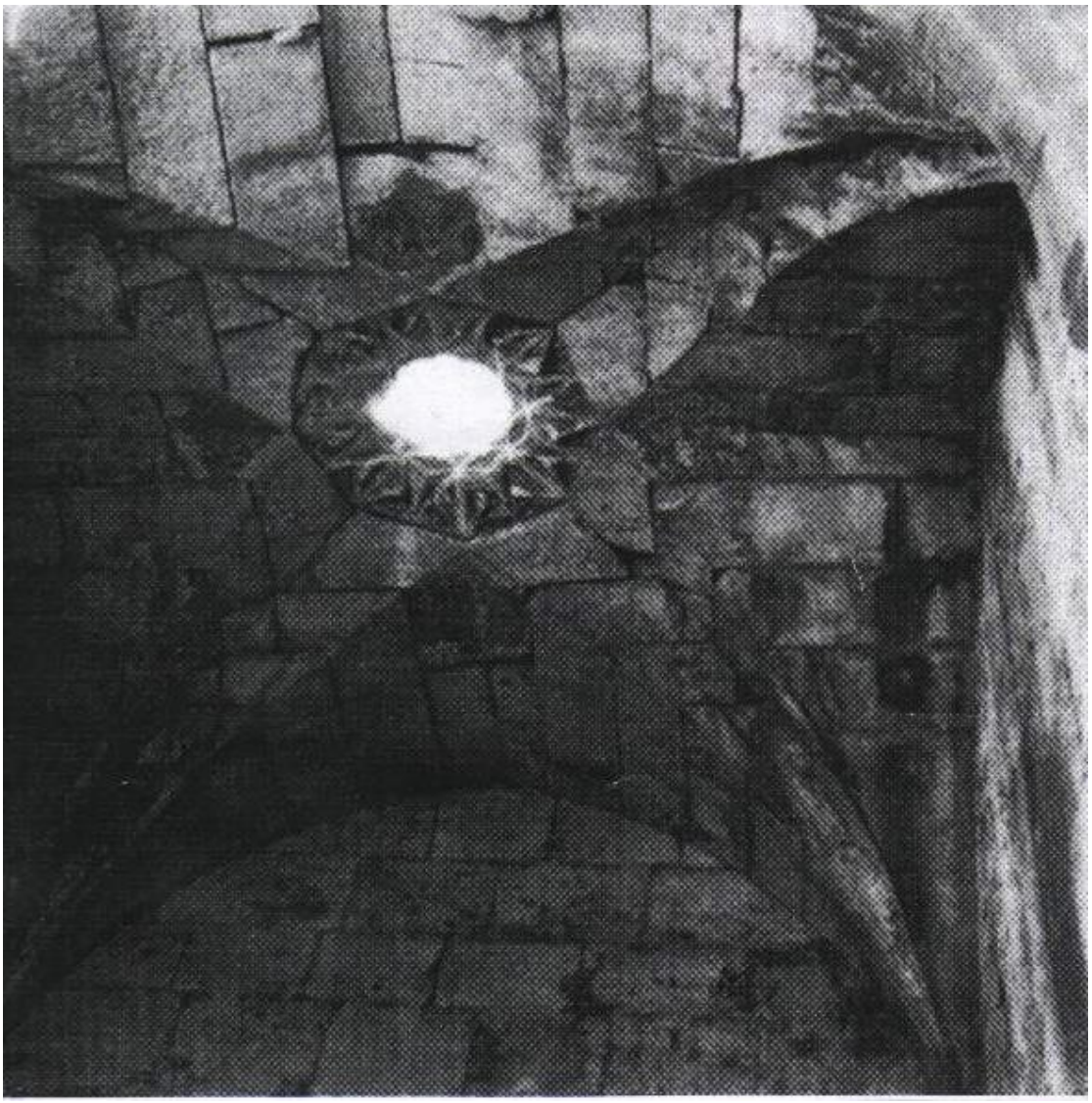

لوحة (٧) خان ألارا (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) "قرب الانيا - طريق قونية بالأناضول"، قبو مروحى بسيط ذو قطب مفتوح يغطى المصلى الملحق بالخان، وهو ذو أرجل رشيقة ممتدة مما ساعد على تقنين قطبه

نقلاً عن: Erdmann

لوحة (٨) خان الخليلى (٩١٧هـ/١٥١١م) بالقاهرة، قبو مروحى يغطى دركاة المدخل الجنوبى للخان، وهو ذو أرجل رشيقة ممتدة يتوسطها قطب مركب، مما ساعد على زيادة أرجله إلى خمس فى كل ركن منه، وهذا قمة النضوج المعمارى الذى لم يحدث قبله ولا بعده
تصوير المؤلف

القبو المتقاطع البسيط الذى شغف به فيما بعد معماريو المغرب والاندلس وعملوا على تعدد أرجله بشكل مقنن صغير

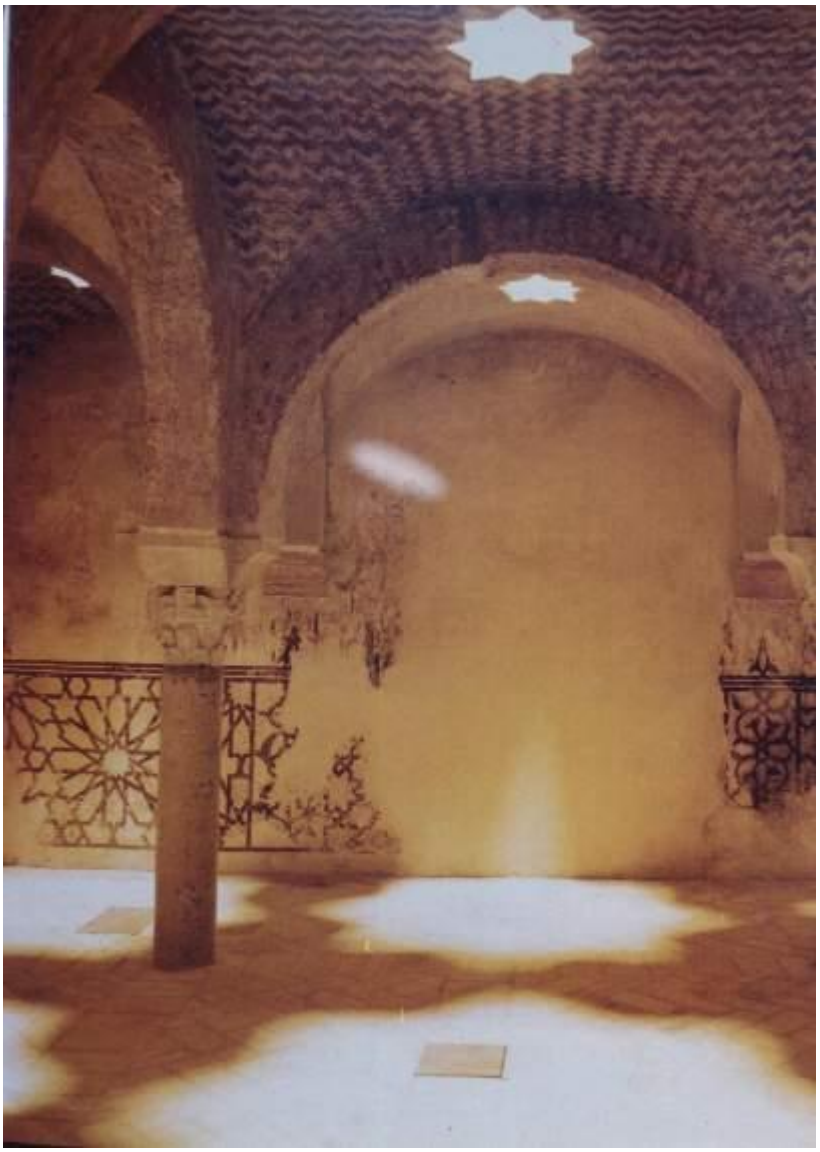

لوحة (٩) دير سانتا كلارا (القرن ٨هـ/١٤م) عصر المدجنين بمدينة توردسيوس أسبانيا، أقبية متقاطعة بسيطة يتوسط كل منها فتحة نجمية - كانت مغشاة بالزجاج الملون - لادخال الضوء للحجرة الدافئة لحمام القصر
صورة مهداه من أرشيف صور المكتبة الخاصة للزميل الدكتور/ أحمد دقماق بالقاهرة

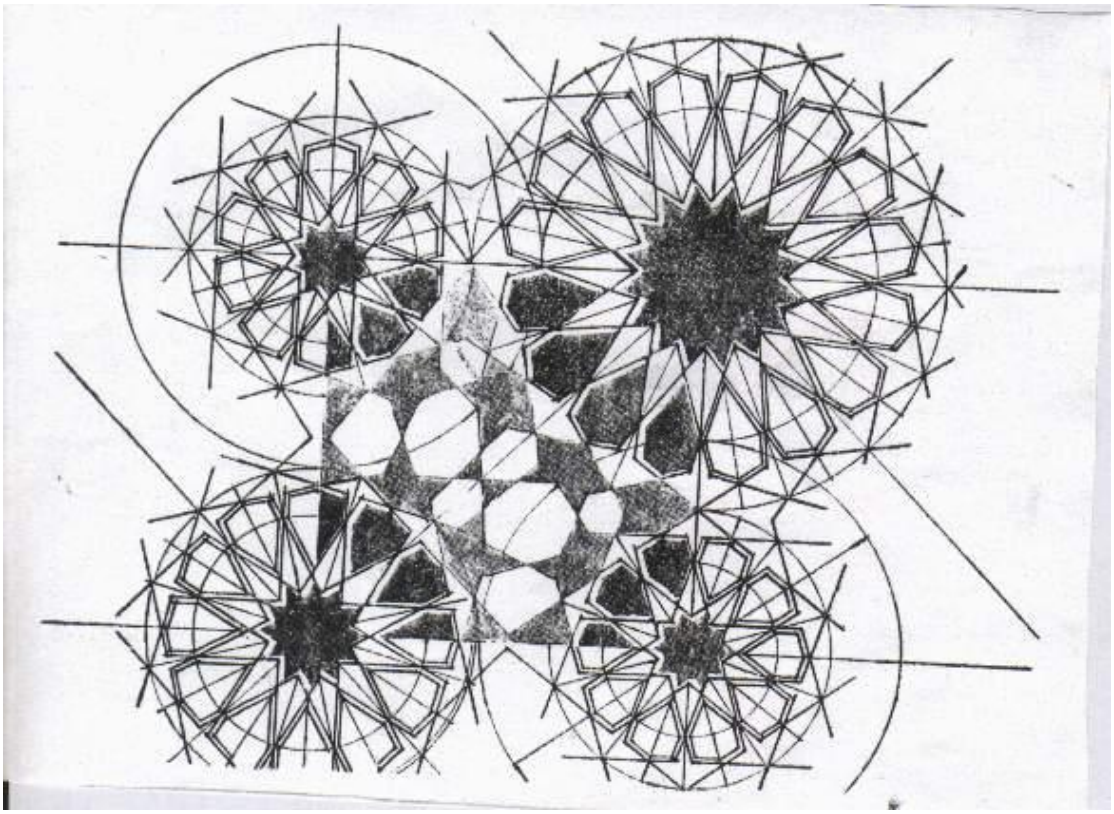

شكل (٢) مجموعة من الاطباق النجمية الناضجة التى ابتكرها الفنان المسلم فى اقطار عدة من العالم الاسلامى، وكانت أحد الروافد التى استلهم منها المعمارى المغربى الاندلسى ابتكاره للقبو المروحى فى الغرب الاسلامى، والذى امتاز بقطبه النجمى وارجله المتعددة المزواة البارزة لتملأ فراغ ما بين رؤوسه، وهى خاصية امتاز بها عن غيره

نقلاً عن: فريد شافعى

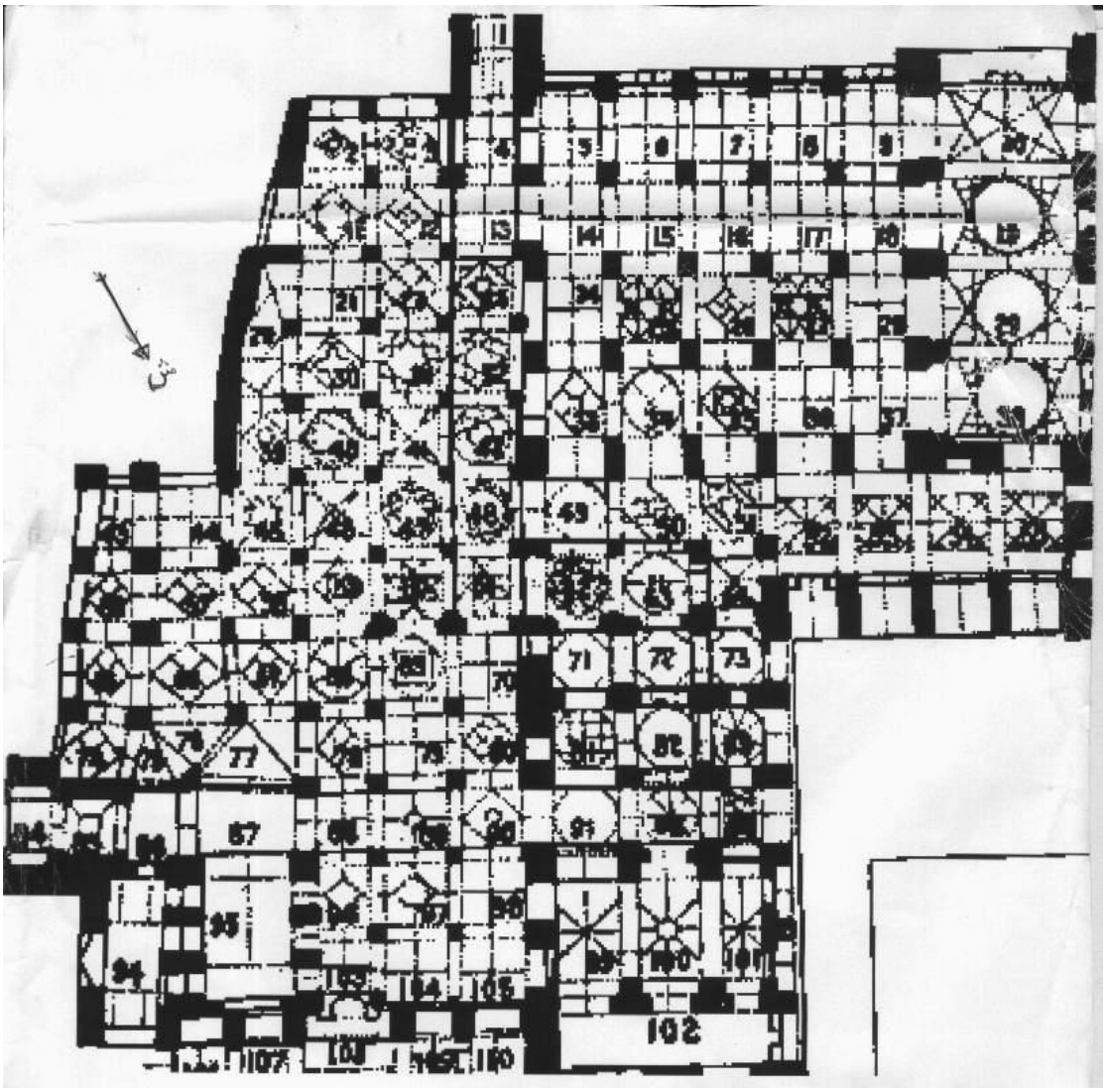

شكل (٣) المسجد الجامع "بأصفهان"، مسقط للجانب الجنوبى من رواق قبلة المسجد يبين مدى تنوع التغطيات المروحية التى تم انجازها فى بداية عهد السلطان ملك شاة السلجوقى بأمر من وزيره نظام الملك فيما بين سنتى (٤٦٥-٤٦٨هـ/١٠٧٢ - ١٠٧٥م)

نقلاً عن: Popc.

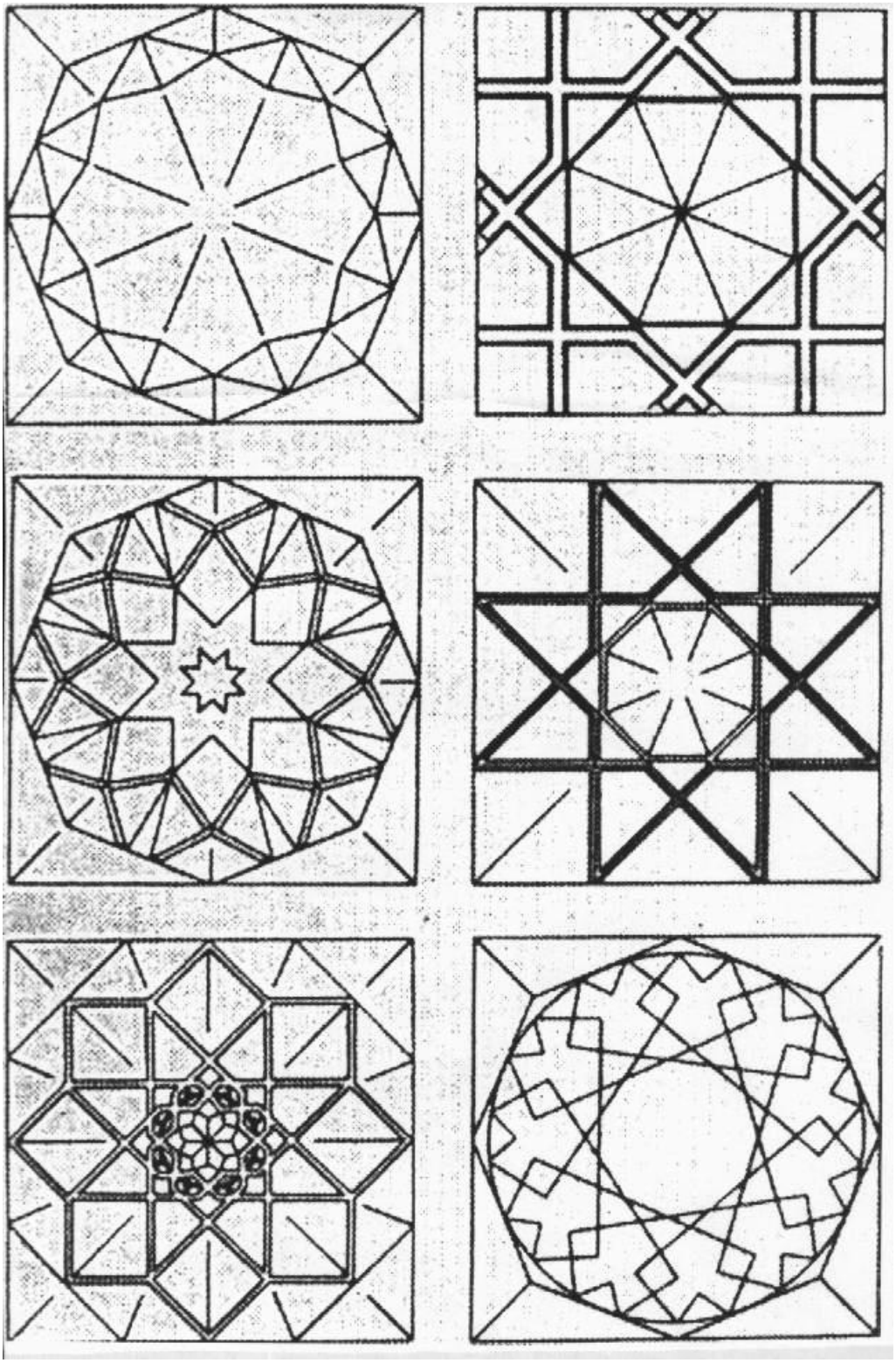

شكل (٤) المسجد الجامع "بأصفهان"، تفصيل لبعض الاقبية المروحية - سالفة الذكر - المغطية للجانب الجنوبى من رواق قبلة المسجد
نقلاً عن:Hillen brand

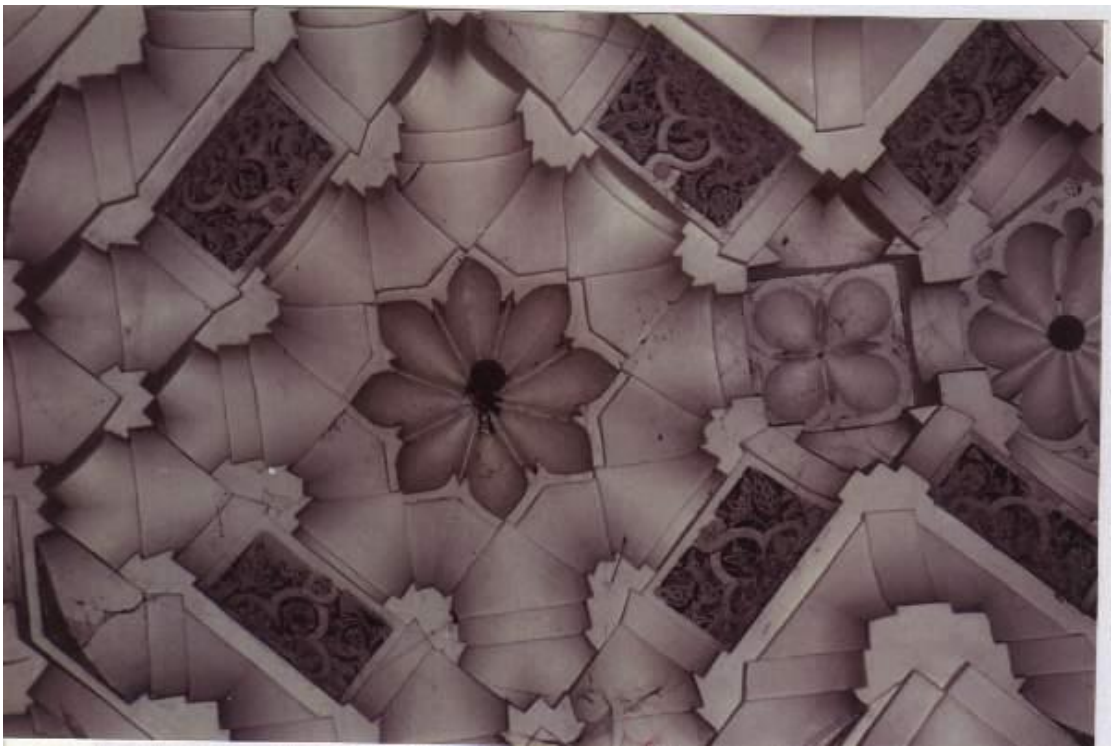

لوحة (١٠) جامع القرويين (٥٣١هـ/١١٣٧م) "بفاس"، تفصيل لوسط القبو الطولى ذى المقرنصات التى تحصر فيما بينها كثيراً من الاقبية المروحية المغربية ذات الاقطاب النجمية والارجل المتعددة المزواة البارزة التى اثرت على كثير من عمائر بلدان المشرق وخاصة مصر

نقلاً عن: Dokmak

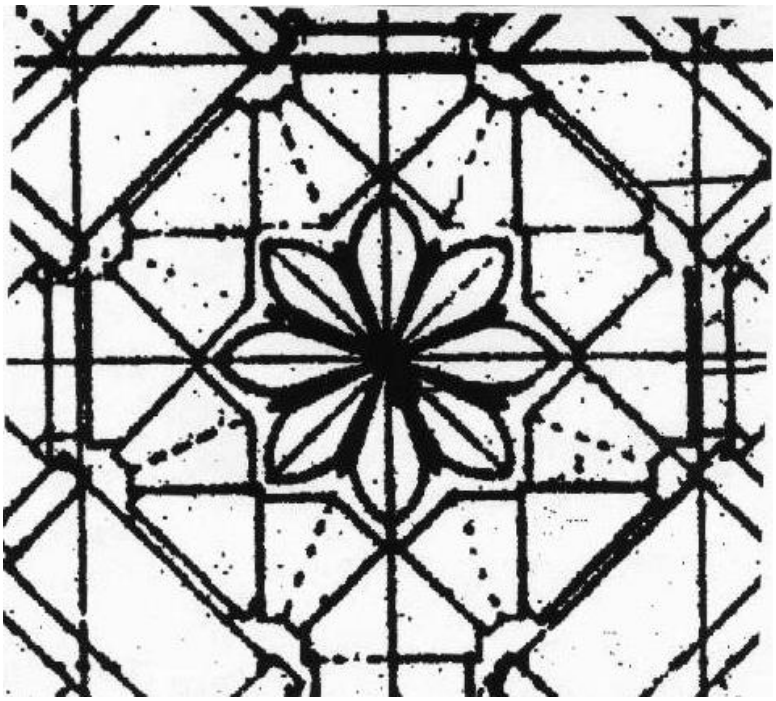

شكل (٥) جامع القرويين "بفاس"، تفريغ مفصل لاحدى مروحيات القبو السابق

نقلاً عن: Dokmak

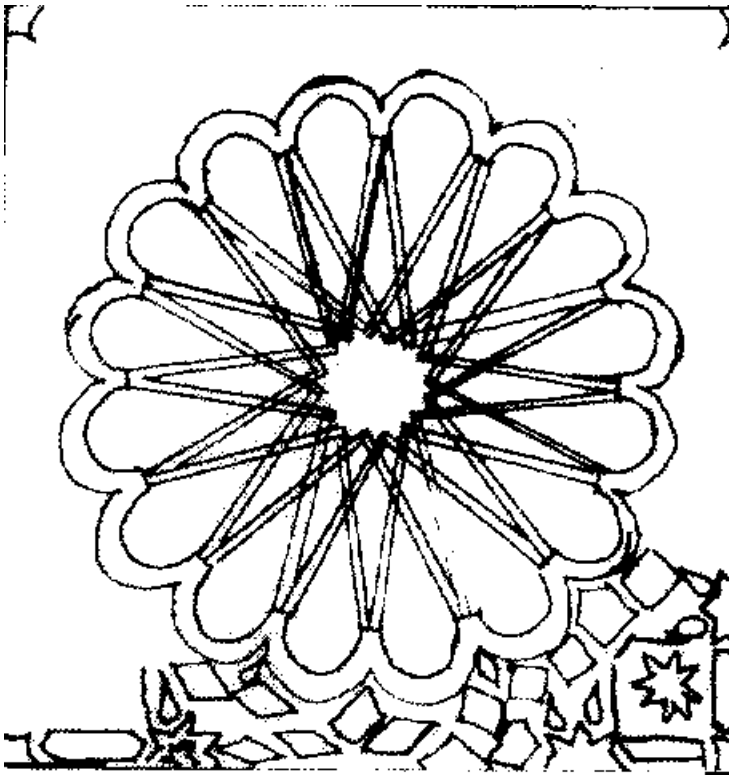

شكل (٦) ديرمار بهنام (٥٥٩هـ/١١٦٤م) "بالموصل"، طبق نجمى يزين باطن قبة الغرفة رقم ٤ بالدير، وقد استخدم كحلية زخرفية

نقلاً عن: عادل نجم عبو

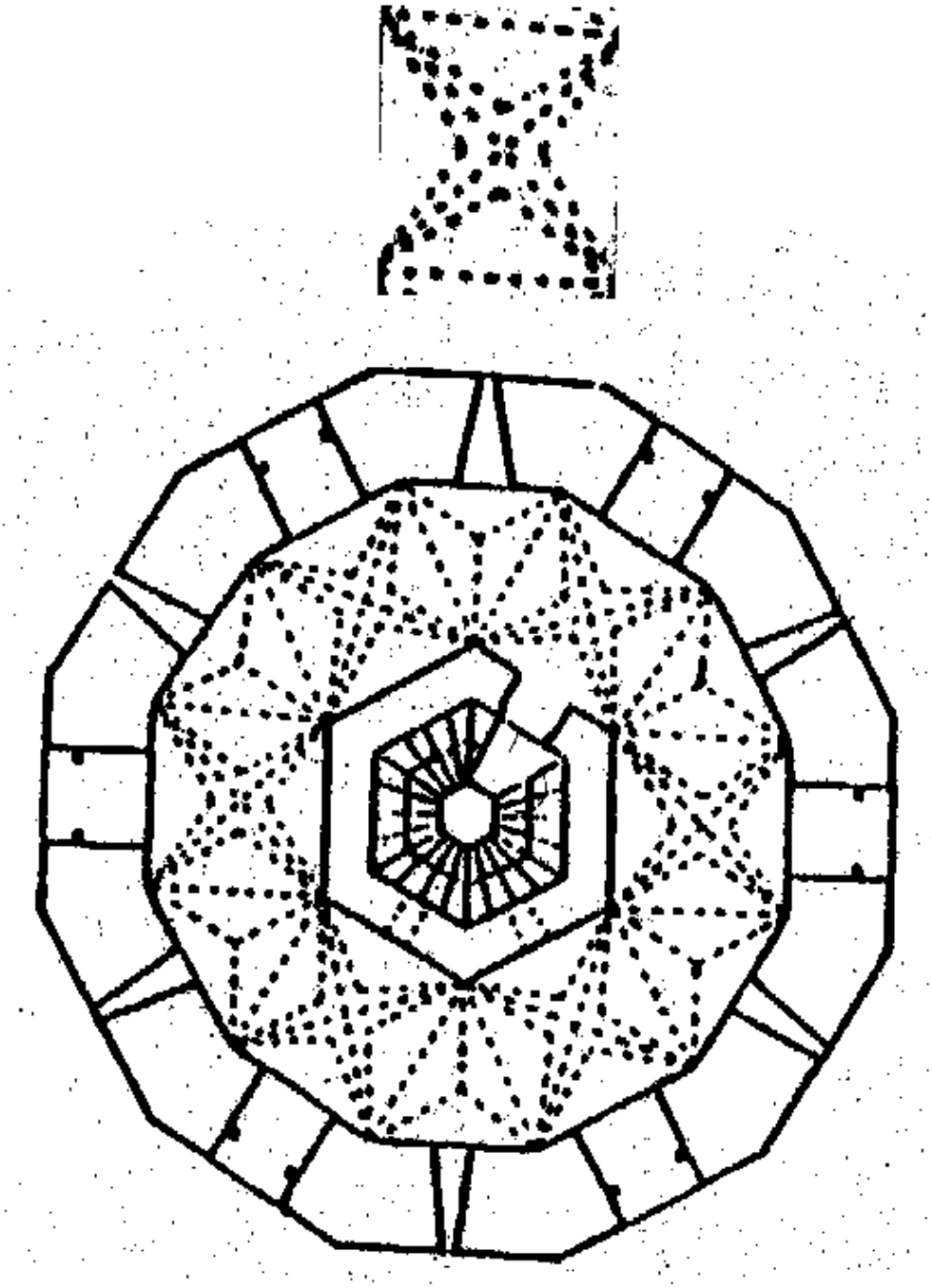

شكل (٧) برج الذهب (٦١٧هـ/١٢٢١م) "بإشبيلية"، الطابق الثانى من البرج، وتتميز أقبيته المتقاطعة بأن أرجلها تلتقى مع بعضها مباشرة كالوضع التقليدي القديم، إلا أن أرجل الفواصل التى تعترض هذه الأقبية عبارة عن ربع قبو متقاطع برجل واحدة مزواة بارزة

نقلاً عن: اسامة طلعت

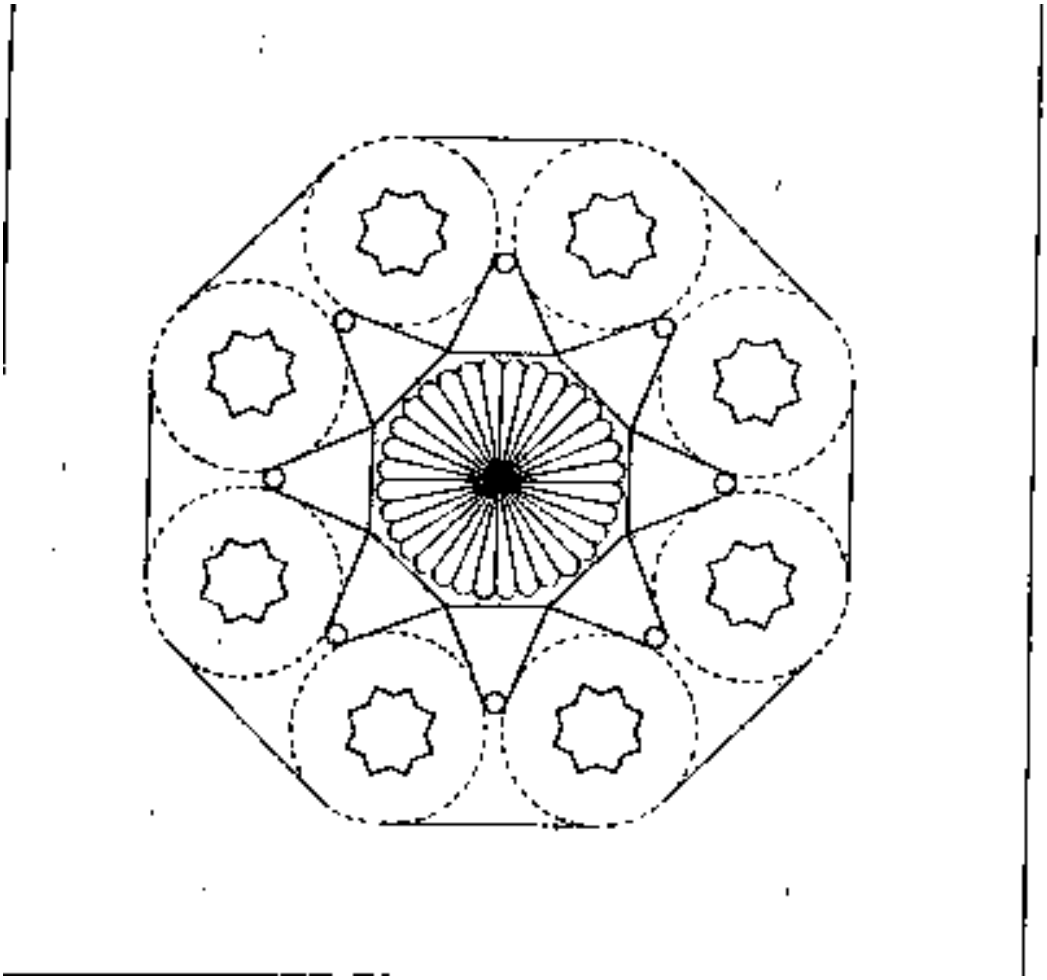

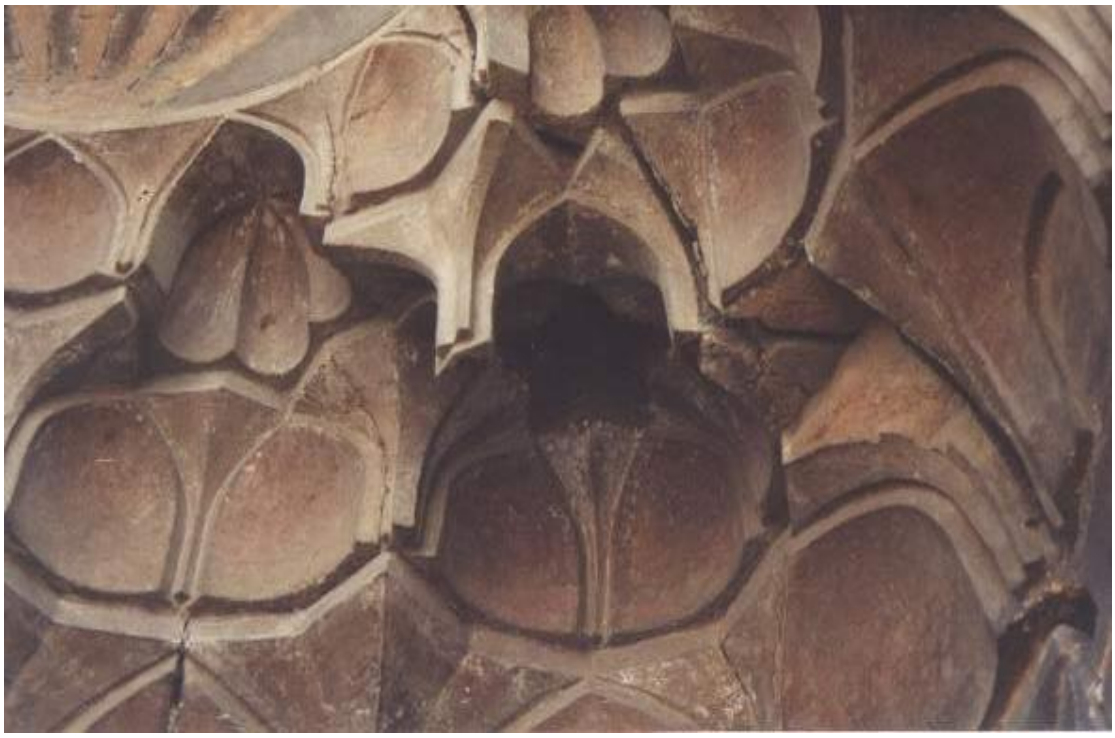

لوحة (١١) مدرسة سنقر السعدى (٧١٥-٧٢١هـ/١٣١٥-١٣٢١م) بالسيوفية بالقاهرة، منطقة انتقال طاقية المدخل الرئيسى للمدرسة، وهى تتكون من حطات مقرنصة حاصرة فيما بينها أقبية مروحية واشباهها ذات تأثير مغربى أندلسى بالاضافة لاخر سلجوقى

تصوير المؤلف

لوحة (١٢) مدرسة سنقر السعدى "بالقاهرة"، تفصيل لمقرنصات طاقية المدخل السابق، يبين قبواً مروحياً ذا قطب نجمى متأثر بالأقبية المروحية المغربية

تصوير المؤلف

المدرسة المستنصرية
تخطيطها وزخرفتها•

المقدمة :

ان المدرسة المستنصرية التي تعد من مفاخر امتنا العربية الإسلامية والتي تعتبر آية من آيات العمارة الإسلامية واثر باق على مدى الزمن يعبر عن خلود هذه الأمة وكبريائها الذي كان وسيظل الى المستقبل البعيد شامخاً يحدث الأجيال العربية والإسلامية عن مفاخر أمتهم التي أعطت الكثير والتي أبدعت أنارت بعلمها ودينها ومبادئها جميع ارجاء العالم الذي كان في تلك الفترة ينظر إليها بالسمو والعظمة.

ان هذه المدرسة تعد بزخرفها وجمالها وتصميمها آية من آيات الفن الإسلامي الذي ظل عبر القرون وعبر مراحل التاريخ صفحة ناصعة بيضاء تهتدي بها الأجيال لعلمها وجمالها ورغم تعرض أجزائها للخراب إلا أنها ظلت مزدهرة بالفن الإسلامي العباسي.

لقد عنى المسلمون بزخرفة العمائر كما شأنهم ببقية الفنون الاخرى، الا ان هذه المدرسة شغلت فكري، ولحبي بها وتطلعي لمعرفة خفاياها وبنائها الجميل، وزخرفتها التي دفعني للكتابة والبحث عنها من خلال مصدرين الاول وهي المدرسة المستنصرية،والثاني بين أخبارها المتناثرة في الكتب والمؤلفات والمراجع التي ألفها أساتذة كرام سبقوني بالبحث عنها.

وسوف أتكلم باختصار حول تاريخها وبعض المعلومات حول ما يخص بنائها وأقسامها وزخارفها.

وانني اشكر هيئة الآثار لمساعدتي بالصور.

تشير المراجع والمصادر القديمة والتي تبحث وتهتم في أمور التاريخ والبلدان والادب والتي تؤكد بان هناك العديد من العمائر والمنشآت التي أنشأها الناس في مدينة السلام خلال العصر العباسي الزاهر منها الجوامع والمدارس والبيمارستانات والقصور والدور والحمامات والأسواق والخانات والمقابر وغيرها من المباني الدينية والمدنية وهذه تعد بالعشرات بل بالمئات، ولسوء الحظ ان قسم او العديد من هذه الآثار تعرضت للدمار واتلف اما من قبل عوامل الطبيعة او من الهجمات الشرسة التي تعرضت لها هذه الآثار النادرة وهذه الحضارة الزاهرة بعلمها ومبانيها العريقة التي توضح مدى براعة الفنان المسلم من الاستفادة من الحضارات العراقية السابقة وهضمها واستيعابها واخذ الجميل منها وتكوينه فناً اسلامياً ظل باقياً على مدى القرون وأثر في المجتمعات مما يفخر له وسيظل علماً للحضارة العربية الإسلامية[1].

• أ.د. ناهض دفتر- قسم الآثار – كلية الآداب - جامعة بغداد.

[1] خالد خليل حمودي / زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي.

فلو لاحظنا ان هذه الجامعة المستنصرية تضافرت في دمارها وازالة بعض معالمها كل من يد الانسان العابثة وعوامل الزمن ومع هذا يدل هذا الاثر على رقي الريازة العربية الاسلامية في العصر العباسي وجودة مزخرفيها وتفننهم في تجميل واجهات مبانيهم والاهتمام في تزويقها وزخرفتها[2]. وفي مدينة السلام اليوم العديد من الآثار التي تشهد على ما ذكرت من رقي الزخرفة وتفننهم بها مثل القصر العباسي وقبر معروف الكرخي وضريح الشيخ عمر السهروردي وباب الظفرية المعروف بالباب الوسطاني .

ويمكننا ان نستخلص من ذلك ما وصلت اليه العناية بزخرفة العمائر وتجميلها وحتى الابنية العسكرية كالاسوار ونلاحظ سيطرة ومقدرة الفنان المسلم في عملها واتقانها.

ولقد عنى المسلمون بزخرفة العمائر في مختلف العصور واقتبسوا من الفنون القديمة تلك العناصر التي تلائم الدين الاسلامي وتتناسب مع ذوقهم الفني الى ان تطورت واخذت مجراها وكون الفنان المسلم زخرفة خاصة مميزة عن تلك الزخارف القديمة بحيث اصبحت الزخرفة عنواناً من عناوين الفن الاسلامي.

ان العمائر في العصر العباسي تمتاز بضخامتها واتساعها، ومظهرها القوي وكثرة استخدام الزخارف المجسمة ولاسيما في واجهات العمائر واستخدامهم الاجر[3].

الجامعة المستنصرية هي احدى الآثار العباسية والتي سوف اذكر باختصار تاريخها وملحقاتها واذكر زخرفتها بصورة مفصلة اكثر.

انها من الناحية التاريخية تعتبر اول جامعة في العالم الاسلامي اهتمت بدراسة علوم القرآن الكريم والسنة النبوية والمذاهب الفقهية الاربعة وهي الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي وكذلك تدرس علوم العربية والرياضيات وقسمة الفرائض والتركات ومنافع الحيوان وعلم الطب وحفظ قوام الصحة وتقويم الابدان في آن واحد[4].

ان الجامعة المستنصرية كانت اول جامعة اسلامية جمعت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الاربعة في بناية واحدة هي مدرسة الفقه.

ويمكننا القول بان العمارة الاسلامية قد اكتملت شخصيتها وبلغت اوج تقدمها واعظم شأناً في العصر العباسي وهذا الذي نؤكده او يؤكده ما تبقى من آثار تلك الفترة ، ونلاحظ في الابنية الباقية ببغداد في ذلك العصر رغم قلة عددها لكنها تعكس السمات

---

(2) كوركيس عواد / المدرسة المستنصرية ، ص2.
الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق / الفن الاسلامي ، ص9.
الدكتور زكي محمد حسن / فنون الاسلام ، ص54 و ص86.

(3) المصدر نفسه.

(4) ناجي معروف / تاريخ علماء المستنصرية ، ص27=
= ارنست كونل / الفن الاسلامي ، ص64.
الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق / الفن الاسلامي ، ص80.

البارزة للعمارة والزخرفة آنذاك وتدل على خبرة واسعة في التخطيط والبناء وعلى مقدرة ودراية في اختيار المواد المناسبة وحسن استعمالها وبداعة عمالها وطراز وعمل وانشاء البنايات وفق المناخ الخاص بمدينة السلام – بغداد - والظروف المناخية للقطر مهمة جداً من ناحية البناء ، خصوصاً الزخارف محافظة على شكلها ورونقها رغم مرور زمن طويل عليها، ونلاحظ الذوق الرفيع والمهارة في ابداع الاساليب الفنية ، وتنسيق الاشكال الزخرفية[5].

ان المستنصرية خير مثال للعمارة العباسية والتي شيدها الخليفة المستنصر بالله (623-640هـ/1226-1242م) في سنة (625هـ/1227م) واستغرق بنائها ستة اعوام وتكامل بنائها سنة (631هـ/1233م)[6].

وكان الخليفة المستنصر بالله قد امر بانشاءها وقد تولى عمارتها استاذ الدار مؤيد الدين ابو طالب محمد[7].

ومن الملاحظ ان المدرسة متكونة من ساحة وسطية مستطيلة الشكل في جهتها الشرقية مدخل له واجهة شاهقة مزخرفة تبرز عن جدران البناية بينما يطل على الساحة بما يشبه الايوان الكبير ويحيط بالساحة الوسطية حجرات وغرف من طابقين وعلى طرفي الساحة ايوانان كبيران متقابلان ويقابل المدخل المسجد وهو مسجد صغير وفي الجانب الجنوبي توجد قاعات كبيرة للدرس يتقدمها رواق مرتفع. ونلاحظ ايضاً في الجانب الشمالي في البناية من الخارج دار القرآن بقي منها ايوانها فقط وهو مقابل جامع الاصفية وقد زخرفت جميع الواجهات وبواطن الاواوين بزخارف جميلة تتخللها العناصر الزخرفية الاخرى.

ونلاحظ بوضوح العناصر الزخرفية الهندسية تتخللها النباتية بينما يمتد في اعالي الجدران من الخارج شريط زخرفي من كتابات توضح من بناها ومن قام باصلاحها مع العناصر الزخرفية التي تتخللها وقد كانت موضع اعجاب الرحالة والمؤرخين خلال التاريخ الطويل[8]. نلاحظ من المخطط الطابق الاول للمدرسة والثاني في شكل رقم (1) و(2).

---

(5) خالد خليل الاعظمي / المورد (عمارات بغداد في العصر العباسي) ، ص22.

(6) مديرية الآثار العامة / المدرسة المستنصرية وصف آثارها الباقية .
خالد خليل الاعظمي / المورد (عمارات بغداد في العصر العباسي) ، ص44.
كوركيس عواد / المدرسة المستنصرية – مجلة سومر ، العدد الاول ، الجزء الاول ، ص80.

(7) المصدر السابق ، ص79

(8) كوركيس عواد / المدرسة المستنصرية ببغداد ، ص79.
خالد خليل حمودي / زخارف الابنية البغدادية (آفاق عربية).
مديرية الآثار العامة / المدرسة المستنصرية (وصف آثارها الباقية).
خالد خليل الاعظمي / عمارات المستنصرية في العصر العباسي (المورد).

ان التاريخ يشير الى ان الخليفة العباسي المستنصر بالله استقدم امهر المهندسين واحذقهم فأستفرغوا ما في وسعهم في وضع قياساتها وتخطيط ابعادها ثم البناؤون والصناع على تشييد البناء وزخرفته وتجميله بالكتابات واستمروا على ذلك بضع سنين حتى تكاملت في جمادي الآخرة في سنة 631هـ[9].

تقع هذه المدرسة في الجانب الشرقي من بغداد على ضفة دجلة اليسرى قريباً من رأس الجسر الشمالي المسمى (جسر الشهداء) من جهته السفلى وعلى بعد عدة امتار منه.

وتمتد المدرسة على ضفة النهر مسافة يبلغ طولها اليوم زهاء (105) امتار...فحدودها الغربية ثابتة تنتهي بنهر دجلة اما سائر حدودها فيمكن تعيينها اليوم بشيء من الصعوبة بالنظر الى ان بعض العمائر المستحدثة قد لاصقتها او داخلت مرافقها فضاعت بذلك بعض المعالم من حدود المدرسة الشرقية والجنوبية ولاسيما الشمالية فنجد هناك الاسواق والحوانيت والمخازن قد زاحمتها في رقعتها كسوق الرماح وسوق دانيال وسوق المولا خانه وقهوة المييز. نلاحظ اليوم ان هذه المدرسة جدد بنائها واهتمت هيئة الآثار بها وازيل كل ما لحق بها من مباني واظهرت من جديد وهي شامخة اليوم. ان عمليات الصيانة التي جرت على هذه المدرسة واستمرت لسنوات طويلة، فلو لاحظنا الواجهة المطلة على نهر دجلة قبل الصيانة شكل رقم (3) وقد ظهر هذا الاثر الجميل بعد الترميم والصيانة شكل رقم (4 و 5 و6).

ان المدرسة المستنصرية مستطيلة الشكل طولها يوازي مجرى نهر دجلة وهو يبلغ الآن 104.80م وعرضها من الجهة الشمالية 44.20م ومن الجهة الجنوبية 48.80م فتكون المساحة (4836م^2) هذا باستثناء الرصيف الحالي الذي يمتد حيالها على النهر الى مسافة معدلها 11.80م[10].

ان المدرسة تحتوي على غرف للدرس والنوم والطعام وخزانة للكتب والادوية والمخازن الاخرى والمطبخ، وفيه ايوان الشافعية والحنفية وايوان دار القرآن وايوان المدخل[11].

اننا يمكننا ان نعين في الوقت الحاضر ارتفاع البناية بطابقيها بالنظر الى ان مستوى فرش أي ارضية المدرسة قد تغير كثيراً عما كانت عليه في ايام عزها وقد جرى في الماضي تنظيف المدرسة من الاتربة المتكدسة من قبل هيئة الآثار لاعادتها الى سابق حالها، ان هيئة الآثار قامت بصيانة هذا الاثر منذ سنوات طويلة ولكنها شهدت اليوم اروع حملة لاعادتها الى ما كانت عليه وخصصت المبالغ اللازمة لرعاية هذا

---

[9] كوركيس عواد / المدرسة المستنصرية ببغداد ، ص79.
[10] المصدر نفسه ، ص6 و ص80.
[11] كوركيس عواد / المدرسة المستنصرية ص86.

الاثر القيم. انني تكلمت حول زخارف المدرسة بعد الصيانة والتي وجدتها على جدران هذه المدرسة وبذلك اصبحت نموذجاً رائعاً للزخارف الاجرية في العالم الاسلامي اجمع.

زخارف المستنصرية :

تحتفظ المدرسة المستنصرية بزخارف تدل على ذوق رفيع وعلى مهارة في ابداع الاساليب الفنية وتنسيق الاشكال الزخرفية فيه.

هذا وقد زخرفت جميع الواجهات وبوطن الاواوين بزخارف هندسية بديعة تتخللها العناصر الزخرفية النباتية بينما يمتد في اعالي الجدران من الخارج شريط من كتابات تبين عمارتها وزخرفتها، والذي كان موضع اعجاب كل من زارها[12].

ان من الملاحظ ان المستنصرية كانت عبارة عن انقاض ظل قسم منها يحتفظ بالخطوط والزخارف كما يتضح من خلال بعض الصور التي تشهد على هذ القول في بداية القرن الماضي لما وصلت اليه من اهمال سابق كما في صورة شكل (3) وكذلك لو نظرنا الى الايوان القريب من جامع الاصفية لنرى من شكل (7) كيف تساقطت هذه الزخارف الجميلة كذلك نرى في الصورة الاخرى ركن من اركان الايوان القريب من جامع الاصفية شكل (8) كما نرى قسم من زخارفه الجميلة.

نلاحظ هنا عناية هيئة الآثار بهذا الاثر العريق وما انجزته خلال مدة طويلة على ترميم هذا البناء حيث اولت اهتمامها بهذا الاثر واعطته اهمية خاصة في انجازه وارجاع زخارفه الى محلها الاصلي قدر الامكان.

ان من الملاحظ من المستنصرية ان الجدران المحيطة بالصحن جميعها مزخرف وكذلك باب المدرسة فلو اخذنا جميع ارجاءه لرأينا طغيان الزخرفة عليه نلاحظ الشكل (9) وهو يمثل صحن المدرسة القريب في جامع الاصفية وهو يمثل الايوان وبعض الغرف نلاحظ الصورة قبل وضع الزخارف في محلها اما الشكل (10) نلاحظ قسم من جوانب المدرسة اعيدت زخارفها.

ان الزخارف انتشرت على اجزاء المدرسة المستنصرية فنلاحظ ذلك الباب الرئيسي، وكذلك نلاحظ صحن المدرسة والجدران المزخرفة المحيطة به فاننا نشاهد انها على الاغلب زخارف هندسية تتخللها الزخارف النباتية، ونلاحظ الزخرفة ايضاً بسقف مسجد المستنصرية الصغير وهي تشبه الحصير وتسمى الزخرفة الحصيرية، ونلاحظ فوق محراب المسجد زخارف ايضاً متنوعة وهي زخارف نباتية متراكبة[13].

ان جميع غرف المدرسة لم تزخرف واجهاتها من الداخل الا غرفة واحدة فقد كانت فيما يظهر للناظر خاصة ادارة المستنصرية[14]. وهي القاعة الوحيدة التي زخرفت. ان اجمل زخارف المدرسة الآن، هي التي تزين بواطن الاواوين ، وما من

---

[12] خالد خليل الاعظمي / عمارات بغداد في العصر العباسي (المورد) ص24.

[13] ناجي معروف / تاريخ علماء المستنصري ، ج1 ، ص442.

[14] المصدر السابق.

شك في ان كثير من الزخارف قد تلف بفعل العوامل المختلفة وضاع، فخسرنا بضياعه عنصر مهم وثمين من عناصر الفن الاسلامي مما لا يعوض عنه[15]. نرى ذلك في شكل (7-8) واضحاً ، واعيد بعضها اليوم ونلاحظ في خارج المدرسة وعلى جدرانها شريط يلتف حولها من الكتابات وتتخللها الزخارف النباتية ويحيط بها سلسلة من الزخارف.

نلاحظ عناية العرب المسلمون بزخرفة العمائر في العصر العباسي وما وصلت اليه العناية بها على اختلافها.

فلو لاحظنا طريقة اعادة الزخارف للجدران في المدرسة المستنصرية أي الى مواضعها، من قبل لجان الصيانة فانهم يأخذون الاشكال القديمة كمرجع لهم في اعادة الزخرفة ، فمن البقايا الباقية، يعيدون على نمطها باقي الزخارف. فنلاحظ كيفية عمل جميع الزخارف بصورة عامة[16]. فانهم بعد ان يدرسون الزخرفة الباقية من الاثر يأخذون النماذج الباقية ويحاولون تقليدها بما فيها من زخارف ان كانت هندسية او نباتية او خطوط.

انهم بعد ذلك كانوا يرسمون الزخرفة على الورق ثم يرسمونها على الفايبر او الكارتون. وبعد ذلك يرسم نموذج الزخرفة عليها ثم يأخذون قالب من معدن خفيف ويرسمون عليه الزخرفة بحيث تصبح وحدة زخرفية ويفرغ بطن الزخرفة ثم يأخذون نوع من الآجر.[17]

ثم تأخذ الطابوقة وترش عليها بصبغ حتى يطبع عليها الزخرفة المراد عملها ثم يبدأ العمل بتفريغ المناطق المراد حفرها بواسطة ادوات متنوعة للحفر وتهذب الوحدة الناتجة وتضم مع الوحدات المتنوعة وباسماء مختلفة بشكل عامي او علمي حسب رأي المدرب الفني مثل (شمسه واسمها القديم سيكرون) أي النجمة ان كانت معشرة او مثمنة او الى آخره والاسم الآخر مثل (طبل ، بادمية ، طرنجة، كنده ، هليطة ، وربع شمسه)[18]. فنلاحظ تسمية النجمة السداسية (ششه) او (شتكرون). اما الشكل الذي يشبه الصليب المعقوف فيسمى (بجار علي)[19].

---

[15] مصطفى جواد / (آثار بني العباس في العراق) مجلة الهلال ، ص41.

[16] هذا ما ذكره المدرب الزخرفي في موقع العمل السيد (صالح احمد القصير) وطرق عمل زخرفة المدرسة.

(17)وهناك انواع من الآجر منها المسمى (براك وهو الطابوق الفرشي العادي) والثاني (المطلي وهو طابوق فرشي اسمك من السابق) والديناري وهو صغير لا يستعمل بالزخرفة

(18) هذه التسميات اخذت من مدرب الزخرفة الذي يعمل في المستنصرية وحسب توصياته. وقد ذكرها المرحوم الدكتور كاظم الجنابي في محاضرته .

[19] نقصد بالصليب المعقوف السواستيكه وهو (يرمز الى الخير واليمن والبركة) نلاحظ ذلك في (تاريخ علماء المستنصرية / تأليف ناجي معروف / في ايوان الشافعية).

وبعد جمع الزخارف المتنوعة يوضع مخطط على الارض يشبه المصطبة فيها رسم كامل لزخرفة معينة مثل قوس من الاقواس فتركب الزخارف على الرسم فتوضع وحدة زخرفية متكاملة مع وحدة اخرى حتى يكمل الشكل فتقطع بعد اكمالها الى ارباع وتنقل الى الجدار لتثبيتها.

ان رغم الادوات المتوفرة لدى العمال الحاليين الا ان العمل السابق كان اكثر اتقان واجمل وباعتراف العاملين في المدرسة بان السابق هو اتقن وانهم كانوا اكثر اتقان واكثر تجربة وامهر وذلك لاحترافهم هذه الشغلة أي الزخرفة من اجدادهم القدماء. اذن ان الفن الاسلامي والفنان المسلم في تلك الفترة ابرع رغم الفارق الزمني وادواته البسيطة الا ان الفن كان اعمق وادق عندهم.

بعد هذا العرض لعمل الزخرفة نستطيع ان نقسم الزخارف المذكورة الى ثلاثة انواع رئيسية :

1- الزخارف الهندسية 2- الزخارف النباتية 3- الزخارف الكتابية

1- الزخارف الهندسية :

ان الطرق التي تبعت في تكوينها هي طرق متعددة ابرزها ثلاث هي طريقة تصفيف قطع الآجر باوضاع مختلفة وقد برز بعضها عن سطح الجدار احياناً مما يؤلف زخرفة تشبه في شكلها العام حياكة الحصير لذلك اطلق عليها اسم الزخرفة الحصيرية نرى مثل هذه الزخرفة بوضوح في السقف الموجود في مسجد المستنصرية وكذلك على الواجهة المطلة على نهر دجلة[20].

ونلاحظ ايضاً جدران الطبقة العليا من المستنصرية مزخرفة من خارجها بزخارف اعتيادية تتماثل في بعض وتختلف في بعضها الآخر وهي نفس الزخرفة المذكورة اعلاه أي الزخرفة الحصيرية.

وزخارف الآجر في هذه المدرسة تشابه زخارف القصر العباسي في بغداد ففي كليهما تبدو الزخرفة العربية باجلى مظاهرها ونرى التفنن في ذلك قد بلغ حداً قل ان نجد ما يماثله في المباني الاسلامية في العراق[21].

نلاحظ في الشكل (11) الواجهة المطلة على نهر دجلة وهي مزينة في طابقها العلوي بالزخارف الآجرية الهندسية.

ان الاشكال الهندسية البسيطة كالمثلث والمربع واشكال المعين والخماسي والسداسي كانت من مميزات الفن الاسلامي في الزخرفة وكذلك نلاحظ زخارف الاطباق النجمية وهي زخارف متعددة الاضلاع تركب بعضها الى جوار بعض بحيث

---

[20] خالد خليل حمودي / زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي ، ص93.

[21] مصطفى جواد / (آثار بني العباس في العراق) مجلة الهلال ، ص41.

يتألف منها شبه طبق في وسطه شكل نجمي. وقد اقبل المسلمون على استعمال هذا النوع من الزخارف في العصر السلجوقي[22].

لقد ساعد الفنانين المسلمين على التوفيق في هذا النوع هو معرفتهم ودرايتهم بالهندسة العملية والنظرية.

نلاحظ بالزخارف الهندسية التي تحتل مكان الصدارة بين تلك الانواع وتطغي على الجدران المحيطة بالطبق ، بالاخص بشكل يدركه الناظر بوضوح.

ان ابرز ما تمتاز به هو تنوع الاطباق النجمية التي استعملت النجوم ذات الرؤوس المتعدد منها ، ستة وثمانية وعشرة واثنتي عشرة واربعة عشر. وهذه النجوم التي تؤلف عماد تلك الزخارف نراها محاطة بمضلعات لوزية الشكل تدور حولها مضلعات مختلفة الاشكال او نجوم صغيرة خماسية واحياناً نجد مضلعات تدور في فلك هذا الشكل الزخرفي ، وبها اشكال منتظمة او غير منتظمة تفنن صانعها في ابتكارها كما ظهرت بينها مضلعات تؤلف اشكالاً تشبه الصليب المعقوف (السواستيكه). الى جانب ذلك استعملت اشكال هندسية اخرى نراها احياناً تضم نجوماً ومضلعات منتظمة وغير منتظمة واحياناً مضلعات اشكالها منتظمة او مختلفة الاضلاع.

ومما تتصف به هذه الزخارف هو تزيينها بزخارف نباتية في داخل الشكل الهندسي او خطوط متداخلة متشابكة بشكل يثير الاعجاب[23].

ان هذه الطريقة الثانية في الزخرفة أي التي ذكرتها حول استخدام الاشكال الهندسية كالاطباق النجمية والمضلعات تعتمد على الدوائر واقطارها التي تؤلف من تقاطعها والتقاءها الاشكال الجميلة ، وهي تدل على التطور الكبير الذي طرأ على هذا النوع من الزخرفة ونلاحظ مدى عناية الفنان وابداعه في هذا المجال وحبه لعمله واخلاصه في تنفيذه ، ونلاحظ انها لم تفقد رونقها وبهائها ، ونلاحظ الشكلين (12-13) وهو يوضح شكل النجمة والشكل الآخر رسم توضيحي للزخرفة .

نلاحظ ان صحن المدرسة محاط بجدران وهي مزينة بالزخارف الهندسية الجميلة كما نلاحظ ذلك في صورة رقم (10) ونلاحظ ان هذه الزخارف الهندسية يتخللها الزخارف النباتية او بداخلها او قسم منها تتخللها اشكال هندسية ونلاحظ الزخارف الهندسية فوق ابواب الغرف من الخارج على صحن المدرسة كما في الشكل (14-15).

كما نلاحظ الزخارف الهندسية في الاواوين،قد بولغ في اتقان بناءها وتجويد زخرفتها الهندسية والنباتية الدقيقة مما يدل على علو كعب القوم في الريازة[24].

---

[22] ابو صالح الالفي / الموجز في تاريخ الفن العام ، ص194.
الدكتور زكي محمد حسن / فنون الاسلام ، ص248.

[23] خالد خليل حمودي / زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي ، ص93.

[24] كوركيس عواد / المدرسة المستنصرية ببغداد ، ص86.

كذلك نلاحظ ايوان المدخل وقد زين ايضاً بالزخارف الهندسية التي تتخللها الزخارف النباتية كما في الشكلين (16-17) فالزخارف تبدو على جميع واجهات المدرسة من الداخل على واجهة الصحن. اما جميع واجهات الغرف من الداخل فلم تزخرف الا غرفة واحدة ان هذه القاعة هي الوحيدة من بين سبع قاعات كبرى زخرفت مما يدل على انها كانت لناظر المستنصرية[25].

كما نلاحظ الزخارف الهندسية واضحة على باب المدرسة الرئيسي والذي يتكون من اطار من الآجر غير مزخرف، ثم من اطار ثان مزخرف بخسفات عميقة متصلة ببعضها، ثم اطار ثالث غير مزخرف ، ثم اطار مدور نافر مزخرف كله، ثم اطار آخر مزخرف، بعد ذلك حبل مضفور زخرفي يكون اطار مدوراً نافراً ايضاً وهو بديع للغاية ، ثم عشرة اسطر كتابية من عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله، ثم حشوة من الزخارف الاجرية تحت الكتابة وفوق المدخل في وسط قطع مزخرفة من الآجر كتب فيها بالآجر آية' كريمة سوف نذكرها بالزخارف الكتابية القادمة كما في الشكل (18) ويلاحظ ان كل ما ذكرته حول المستنصرية هو بعد وترميمها من قبل هيئة الآثار لانها سابقاً كانت متساقطة الزخرفة الا قسم قليل منها كان لا يزال باقياً كما تشاهد منظر الواجهة قبل الترميم شكل (3) اذن الكلام الحالي حول الزخرفة انما هو بعد الصيانة.

اما النمط الثالث فقد استخدم زخارف هندسية قوامها قطع صغيرة من الآجر ذات احجام واشكال متباينة تؤلف في مجموعها شكلاً هندسياً وتظهر تارة بمستوى واحد من سطح الجدار وتارة اخرى تظهر اجزاء منها بارزة مما يكسبها تجسيداً ووضوحاً اكثر كما في الشكل (11) تظهر واضحة في زخارف الطبقة العليا فنلاحظ الشريط الزخرفي الذي على عرض الشباك الفوقاني وعلى امتداد المدرسة من ناحية نهر دجلة.

2- الزخارف النباتية :

لقد اهتم المسلمون بالزخارف النباتية، غير انهم ابتعدوا في بعض الاحيان عن مظهر النبات الطبيعي ، فظهرت زخارفهم النباتية مجردة كل التجريد بحيث لا يبقى من الساق والاوراق الا خطوط منحنية متتابعة. ويطلق على هذا النوع من الزخارف النباتية المجردة (الارابسك) وقوام الارابسك خطوط منحنية او مستديرة او ملتفة يتصل بعضها ببعض فتكون اشكالاً حدودها منحنية، وقد يكون بينها فروع وزهور ووريقات لها غصن او غصنان او ثلاثة او اكثر وقد يراعى في هذه الاشكال والغصون مبدأ التقابل والتوازن ، ومن الصعب ان نرى في الاشكال والفصوص مبدأ التقابل والتوازن ، ومن الصعب ان نرى في هذه الموضوعات الزخرفية صوراً حقيقة للنبات[26].

نلاحظ ان العنصر النباتي تأثر تأثراً بانصراف المسلمين نحو تقليد الطبيعة تقليد صادق وقد كانوا يستخدمون الجذع والورقة ولتكوين زخارف تمتاز فيها من تكرار

---

[25] ناجي معروف / تاريخ علماء المستنصرية ، ص442.

[26] ابو صالح الالفي / الزخرفي تاريخ الفن العام ، ص195.

وتقابل وتناظر وتبدو عليها مسحة هندسية جامدة تدل على سيادة مبدأ التجريد والرمز في الفنون الاسلامية[27].

ويوجد بالمستنصرية انواع من الزخرفة النباتية منها على شكل شريط يسمى عند العاملين على زخرفة المدرسة (زنجيل نباتي) وهو يحيط بالزخارف بصورة عامة كأطار ، وهناك النباتي (الزهري) المتناظر او يسمى نباتي متناظر (السليمي)[28]. وهناك زخرفة نباتية تسمى المتناظر المتراكب كما في شكل (12) في وسط النجمة الهندسية مثال ذلك في محراب مسجد المستنصرية فنلاحظ على المحراب هناك زخارف وهي من نوع زخرفة نباتية متراكبة غير متناظرة.

ان الزخارف النباتية استعملت احياناً في مساحات خصصت لها وبصورة مستقلة كما في الجزء العلوي لواجهة المدخل من الخارج فنلاحظها في القسم العلوى عبارة (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) بصورة واضحة كما في الشكل (18) ونلاحظها بين الكلمات والحروف والكتابات بصورة عامة على باب المستنصرية من الخارج. وكما ذكرت نلاحظها في الجزء العلوي من محراب المسجد. ونلاحظها أي الزخارف النباتية تملأ بواطن المضلعات الهندسية والاشرطة الزخرفية وبعض الاطارات التي تفصل بين الاشكال الهندسية او الممتدة بين المقرنصات الزخرفية وكذلك نلاحظها بين الكلمات والحروف في بوابة المدخل على شكل اغصان مورقة متموجة حتى تظهر الكتابة كأنها فوق مهاد زخرفي.

ونلاحظ ان العناصر الرئيسية للزخرفة النباتية تتمثل في عنصر واحد رئيسي هو المروحة النخيلية (البالمت Palmette) بشكلها البسيط او المفصص وانصافها او اشكالها المركبة. اضافة الى ذلك استعملت في ارضية بعض الكتابات ما يشبه الاوراق تنتشر في الفراغات بصورة منفصلة بعضها عن بعض[29].

نلاحظ ان هناك ظاهرة النمو فالبعض يمتد وتظهر منه الاوراق ثم تمتد هذه الاوراق فتنبت اوراق اخرى وكذلك تمتاز هذه الزخارف النباتية بظاهرة لم نشاهدها من قبل تلك هي دقة عناصرها بصورة عامة حتى نجدها في اغلب الاحيان تشبه الفروع او الخطوط المتشابكة تجعل المرء لا يسأم منها أي من النظر اليها كما نجح في اعطائها بالحيوية من خلال حركتها الانسيابية البديعة. ان الزخرفة النباتية في المدرسة المستنصرية تعتبر من ابدع انواع الزخرفة تعقيداً ونضوجاً بالنسبة لما وصل الينا من العصر العباسي. فنلاحظ الزخارف النباتية تتخلل الزخارف الهندسية كما في شكل (17)

---

[27] الدكتور زكي محمد حسن / فنون الاسلام ، ص250.

[28] السليمي (تسمية مدرب الزخرفة بالمستنصرية وهي عامية وتطلق على الزخرفة النباتية المتناظرة) ونسبة اسمها السليمي الى سليم باشا.

[29] خالد خليل حمودي / زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي ، ص93

فنلاحظها في داخل الاشكال الهندسية والنجمية كما في شكل (7-8) في الايوان القريب من جامع الاصفية.

3- الزخارف الكتابية (الكتابات) :

ان العناصر الكتابية في الكتابات العربية ساعدت على اتخاذها عنصراً مهماً من العناصر الزخرفية الجميلة. ونستطيع ملاحظة ان الكتابات التي نقرؤها على العمائر تتضمن في الغالب بعض العبارات الدعائية او الآيات القرآنية وقد يكون تسجيلاً للتاريخ وقد يقصد بها ان تكون عنصراً زخرفياً. والمعروف ان الفنانين المسلمين عمدوا الى سيقان الحروف ومداتها فزينوها بوريدات وبالزخارف النباتية ووصلوا بين بعضها بخطوط كانت في بعض الاحيان منثنية. وقد عمدوا احياناً الى كتابة الحروف المزخرفة الجميلة على ارضية من زخارف نباتية اخرى. وقد استخدم الفنانون المسلمون الاشرطة الكتابية على العمائر[30].

ان الخط العربي اكثر ملائمة واصلح في الزخرفة لما يمتاز به من استقامة وانبساط وتقويس ، والخطوط العمودية والافقية يسهل وصلها بالرسوم الزخرفية الاخرى وصلاً يتجلى فيه الجمال والاتزان والابداع[31].

ان للكتابة الزخرفية شأن عظيم في تاريخ الفنون الاسلامية إذ نستطيع ان نتخذها اساساً وسبيلاً لتاريخ العمائر والتحف ذات الكتابات ولان كل عصر ولكل اقليم في العالم الاسلامي اسلوب في الخط وزخرفته فيستطيع ذو الخبرة ان يدرسوا الزخارف الكتابية وان ينسبوا البناء الى العصر او الاقليم حسب نوع الخط. ان الاشرطة الكتابية وما فيها من جمال تبعد الملل لما فيها من زخارف هندسية او نباتية ولاسيما ان الفن الاسلامي يفرط في استعمال الزخارف افراطاً كبيراً ويحرص على ملأ وتغطية الفراغات والمساحات بهما كلما استطاع الفنان الى ذلك سبيلاً[32].

لقد شاع استخدام الخط النسخي في القرن السادس الهجري 12م وقد كان قبل ذلك لا يستعمل الا في المخطوطات[33]او بعض الاستخدامات المحدودة.

ان الكتابات وهي النوع الثالث من الزخارف في المدرسة المستنصرية نجدها في حقول متعددة تزين واجهة المدخل من الخارج كما نلاحظ ذلك في الشكل (18-19) كما تظهر بشكل شريط يمتد في اعالي الجدران الخارجية كما في شكل 11، وهذه الكتابات تؤدي وظيفتين معاً اولهما وسيلة للتعريف بالبناء ، والثانية عنصر زخرفي فنجد على واجهة المدخل عشرة اسطر افقية تتضمن تعريفاً بالبناية واهدافها وذكر

(30) ابو صالح الالفي / الموجز في تاريخ الفن العام ، ص196.
(31) الدكتور زكي محمد حسن / فنون الاسلام ، ص235.
(32) الدكتور زكي محمد حسن / فنون الاسلام ، ص235.
(33) ابو صالح الالفي / الموجز في تاريخ الفن العام ، ص197.

مؤسسها الخليفة المستنصر بالله مع تاريخ بنائها[34]. ونلاحظ ان هذه الكتابة تظهر فوق مهاد من زخارف نباتية قوامها اغصان يخرج منها اوراق او مراوح نخيلية نصفية سبق ان ذكرت بعض المعلومات عنها في الفقرة السابقة بالعناصر الزخرفية النباتية. وان هذه الزخارف النباتية تمتد بين الكلمات والحروف بشكل متموج. لقد اعيدت الكتابة كما في شكل (19) الى مكانها فوق باب المدرسة بعد ان اقتلعها الغزاة في فترات الاحتلال السابقة الى ان اعادتها هيئة الآثار بعد الترميم والصيانة. نلاحظ ان هناك على طول واجهة المستنصرية المطلة على نهر دجلة وعلى السوق المجاور وعلى جانبي المدرسة كتابة نقشت في الجدار واعادت زخارفها وكتاباتها الى محلها نلاحظ في صورة شكل (3) قبل الترميم نلاحظ اجزاء من الكتابة تظهر وهي المطلة على نهر دجلة. اما بعد الترميم واعادة الزخارف والكتابات في صورة شكل رقم (11).

ان الكتابات تعلو المدرسة داخل شريط من الخارج أي خارج المدرسة معظمها آيات قرآنية وعبارات دعائية اضافة الى التعريف بالبناية والغاية من تأسيسها واسم مؤسسها وتاريخ بنائها. اما نصوصها غير كاملة حيث تعرض معظمها للزوال او التشويه والتلف وقد تناولها الباحثون بالدراسة والتحليل واشار بعض الرحالة الى نصوصها ولكن زالت معالمها اليوم[35]. ونلاحظ الزخارف بين الحروف مثل خلايا النحل.

لقد انجزت الكتابات بطريقتين رئيسيتين فنراها في واجهة المدخل ذات حروف بارزة نحتت على قطع الآجر تتخللها زخرفة نباتية اما الاشرطة الممتدة فوق الجدران الخارجية فتظهر الكتابات بصورة وبحروف بارزة كبيرة نحت كل حرف منها بصورة منفصلة من قطعة او اكثر من الآجر بينما ملئت الفراغات بين الحروف والكلمات بورود ذات فصوص غائرة وهي متلاصقة ومتجاورة على شكل شبكة تضفي تجسيماً على الحروف الى جانب التجسيم الذي صممت به الحروف من خلال بروزها عن الارضية وحجمها الكبير[36].

وتضمنت نصوص المدخل للمدرسة المستنصرية كما يلي :

1- بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
2- قد انشأ هذه المدرسة رغبة في ان الله لا يضيع
3- اجر من احسن عملاً وطلباً للفوز بجنات الفردوس
4- التي اعدها للذين امنوا وعملوا الصالحات نزلا

---

[34] ناجي معروف / تاريخ علماء المستنصرية ، ص434 ، 444.
الدكتور مصطفى جواد / آثار بني العباس في العراق ، ص1057 الى ص1064 مجلة الهلال.

[35] خالد خليل حمودي / زخارف الابنية في العصر العباسي ، ص93.
ناجي معروف / تاريخ علماء المستنصرية ، ص434 ، 475.
مصطفى جواد / آثار بني العباس في العراق (مجلة الهلال) ، ص1057 – ص1064.

[36] خالد خليل حمودي / زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي ، ص93.

5- وامر ان تجعل المدرسة للفقهاء على المذاهب الاربعة
6- سيدنا ومولانا امام المسلمين وخليفة رب العالمين
7- ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين
8- شيد الله تعالى معالد الدين بخلود سلطانه واحيا
9- قلوب اهل العلم بتضاعف نعمه واحسانه وذلك في
10- سنة ثلثين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله

كما توزعت خمس كلمات وضعت داخل ثلاث نجوم زخرفية تعلو باب المدرس وكما يلي (جنات عدن) (ابوابها) (مفتحه لهم) انظر شكل 18.

11- الخاتمـــــة :

ان هـذا التـراث الزخرفـي العظـيم اصـبح مصـدر الهـام للفنـانين القـدماء والمعاصـرين ، وان العصـور التـي اعقبـت العصـر العباسـي قـد اشـتقت كثيـر مـن هـذه الزخـارف الجميلـة. لقـد انتشـرت الزخـارف علـى الابـواب والعمـارات السـكنية والدينيـة والعسكرية مثل (اسوار وفتحات النوافذ سواء في المساجد او القصـور والـدور الصـغيرة ولنـا خيـر شـاهد فيمـا موجـود فـي احياءنـا القديمـة فنلاحظ الزخـارف تملأ خـارج البنـاء وداخله وهذه الزخـارف او الوحدات الزخرفيـة المشتقة من الزخـارف الاسلامية اخذت قسم منها من تلك الفترة او من فترات اخرى.

ان المدرسة المستنصرية ظلت طـويلاً تعـاني مـن الاهمـال والـدمار الـى ان حـان الوقت الذي جاءت به هيئة الآثار لتبرز هذا الاثر المهم، ولاخراجـه الـى العيـان رغم مـا مضـى عليـه مـن الاهمـال لقـرون عديـدة. فلقـد ازيلـت عـن المستنصـرية وعـن جوانبهـا الاسواق التي لاصقتها والتي بنيت في فترات اخرى. وبعد ان ازالت ما لصق بها برزت هذه المدرسـة للنـاظر والسـائح شـامخة تحـدث النـاس عن ايـام عزهـا وعلمهـا وعصـرها الذهبي .

ان المدرسة المستنصرية تبدو اليوم بعد ان بعثت بها الحياة مرة ثانيـة ورغم مـا قامت به هيئة الآثار من العناية بها في السنين الماضية منذ بدايات القرن الماضـي، الا ان هذه المدرسة ظهرت بمظهر يختلف عما كانت عليه سابقاً من شموخ مع ابرازها للعيان بازالة ما لصق بها ونحن نتطلع اليها اليوم كونها احدى الشواهد الباقية من مدينـة السلام العباسية الخالدة.

المصادر والمراجع

1- المدرسة المستنصرية ببغداد (المصدر الرئيسي)
2- آثار بني العباس في العراق / الدكتور مصطفى جواد (مجلة الهلال) يونيو 1933
3- خطط بغداد / تأليف المستشرق الفرنسي كليمات هوار عربه وعلق عليه الاستاذ ناجي معروف
4- المدرسة المستنصرية ببغداد / السيد كوركيس عواد / مستل من مجلة سومر العدد الاول السنة الاولى (مطبعة التفيض) بغداد 1945.
5- تاريخ علماء المستنصرية / تأليف ناجي معروف الجزء الاول بغداد / مطبعة العاني
6- فنون الاسلام / الدكتور زكي محمد حسن / الطبعة الاولى 1948 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)
7- المدرسة المستنصرية (وصف آثارها الباقية وتاريخها) مديرية الآثار العامة
8- الفن الاسلامي (تاريخه وخصائصه) / تأليف الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق مطبعة اسعد بغداد 1965.
9- الفن الاسلامي / ارنست كونل (ترجمة الدكتور احمد عيسى) 1966 دار صادر - بيروت
10- الموجز في تاريخ الفن العام / ابو صالح الالفي (الهيئة المصرية العامة للكتاب) 1973.
11- زخارف الابنية البغدادية في العصر العباسي / خالد خليل حمودي مستل من مجلة آفاق عربية (العدد الثاني السنة الثانية) 1976.
12- المورد (مجلة تراثية فصلية) / تصدرها وزارة الثقافة والاعلام عمارات بغداد في العصر العباسي / خالد خليل الاعظمي دار الجاحظ المجلد الثامن العدد الرابع 1979.

شكل رقم – 1 –
يمثل مخطط الطابق الاول من المدرسة المستنصرية

شكل رقم – 2 –
يمثل مخطط الطابق الثاني من المدرسة المستنصرية

شكل رقم - 3 –
واجهة المدرسة المستنصرية المطلة على نهر دجلة ، ونلاحظ الجدار قبل الصيانة والترميم، ونلاحظ بقايا بعض الزخارف الجدارية وبعض الكتابات

شكل رقم – 4 –
عمليات الصيانة والترميم والصورة توضح شكل الصحن وربع الشافعية ونلاحظ الايوان القريب من جامع الاصفية على اليمين من الصورة اما على اليسار فنشاهد مدخل المسجد الصغير الذي يقابل ايوان المدخل

شكل رقم – 5 –
الصورة توضح زاوية خارجية للمدرسة المستنصرية. نشاهد عمليات الصيانة والترميم ونشاهد الشريط الاعلى قبل اعادة الكتابة. وهذه الزاوية المطلة على السوق

شكل رقم - 6 –
منظر آخر عمليات الصيانة واعادة الزخارف قرب ايوان المدخل ونشاهد في الصورة ربع الحنابلة وهو القريب من الجامع المقابل

شكل رقم – 7 –
هذه الصورة توضح ايوان القريب من جامع الاصفية. نلاحظ انه قبل الصيانة والترميم فنجد مدى الدمار الذي حل بهذا الايوان ونشاهد الزخارف وخصوصاً الشكل النجمي والصليب المعقوف

شكل رقم – 8 –
ركن من الايوان السابق نلاحظ تشابه زخارف الاواوين. وتشاهد بقايا الزخارف الهندسية والتي بداخلها زخارف نباتية. الصورة قبل الصيانة والترميم

شكل رقم – 9 –

صورة عامة توضح ربع الشافعية وربع الحنابلة وفي الوسط ايوان الشافعية ان هذه الصورة قبل ارجاع الزخارف على الجدران فنلاحظ اماكنها خالية وشاغرة

شكل رقم – 10 –
منظر عام للمدرسة المستنصرية نلاحظ الصحن محيط به الجدران والغرف وبعض الاواوين وربع الشافعية والحنابلة. نلاحظ ان الزخارف اعيدت على بعض الجدران

شكل رقم – 11 –
الواجهة المطلة على نهر دجلة بعد الصيانة. نلاحظ الزخارف الهندسية على شكل شريط على طول المدرسة ثم تحتها شريط من الكتابات الا ان الكتابات الحديثة لا توجد زخارف نباتية تتخللها لان الصيانة لم تكمل فيها

شكل رقم – 12 –
نجمة ذات زخارف نباتية من المدرسة المستنصرية عن مجلة آفاق عربية

شكل رقم – 13 –
رسم تخطيطي لزخارف هندسية نلاحظ الاشكال النجمية
الرسم خاص بالمستنصرية عن مجلة آفاق عربية

شكل رقم – 14 –
واجهة من واجهات الغرف المطلة على الصحن هذا الجزء القريب من نهر دجلة نلاحظ الزخارف الهندسية فوق فتحات الغرف أي ابوابها ثم اعادة الترميم الباقي في الطابق الاعلى

شكل رقم – 15 –
احدى الواجهات المطلة على صحن المدرسة. نلاحظ انواع من الزخارف الهندسية الجميلة. واشكال من المضلعات والنجوم تتخللها في كل وحدة زخارف نباتية. او اشكال هندسية اخرى

شكل رقم – 16 –
صورة تمثل ايوان المدخل الا ان الباب سابقاً كان مغلق
الصورة قديمة تمثل المدرسة في احدى ادوار صيانته قديماً الا ان هذا الايوان قد فتح فيه باباً يطل على السوق وهو الباب الرئيسي نشاهد الزخارف الهندسية المحيطة به.
ان فتحة او واجهة هذه الصورة لايوان المدخل تطل على الصحن مباشرة

شكل رقم – 17 –
احدى نماذج الزخارف الهندسية والتي تتخللها الزخارف النباتية

شكل رقم - 18 –
الباب الرئيسي المطل على السوق. الباب بعد الصيانة نلاحظ اشكال من الزخارف الهندسية كإطارات ثم نلاحظ الزخارف النباتية بين الحروف وفوق كلمة بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. ونلاحظ ايضاً الزخارف الكتابية وهي التي تذكر حول بناء المدرسة وتاريخها وبانيها

شكل رقم – 19 –
قسم من الزخارف الكتابية او الكتابات الموجودة على المدرسة المستنصرية وهذا الجزء موجود على الباب الرئيسي للمدرسة. نلاحظ ترميم قسم من الكتابة. ونشاهد الزخارف النباتية متخللة بين الكتابات وبين الحروف. هذا الجزء الآن موجود على باب المدرسة الرئيسي بعد صيانة وارجاع وتكملة نصه

المدرسة المستنصرية
تخطيطها وزخرفتها

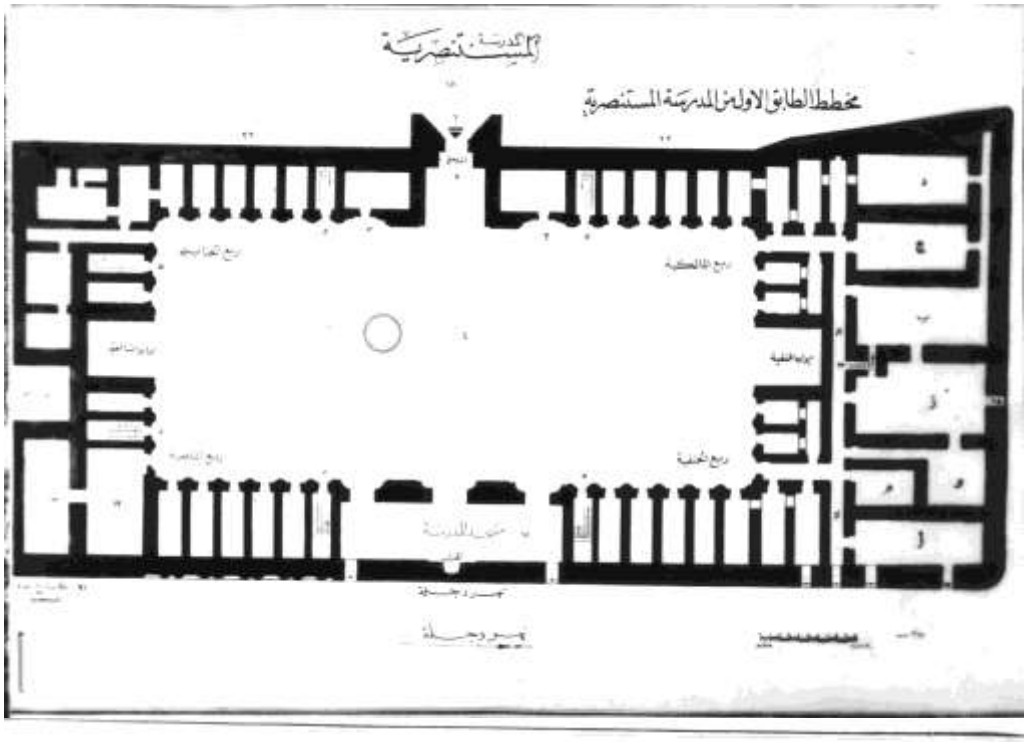
المدرسة المستنصرية
مخطط الطابق الاول من المدرسة المستنصرية

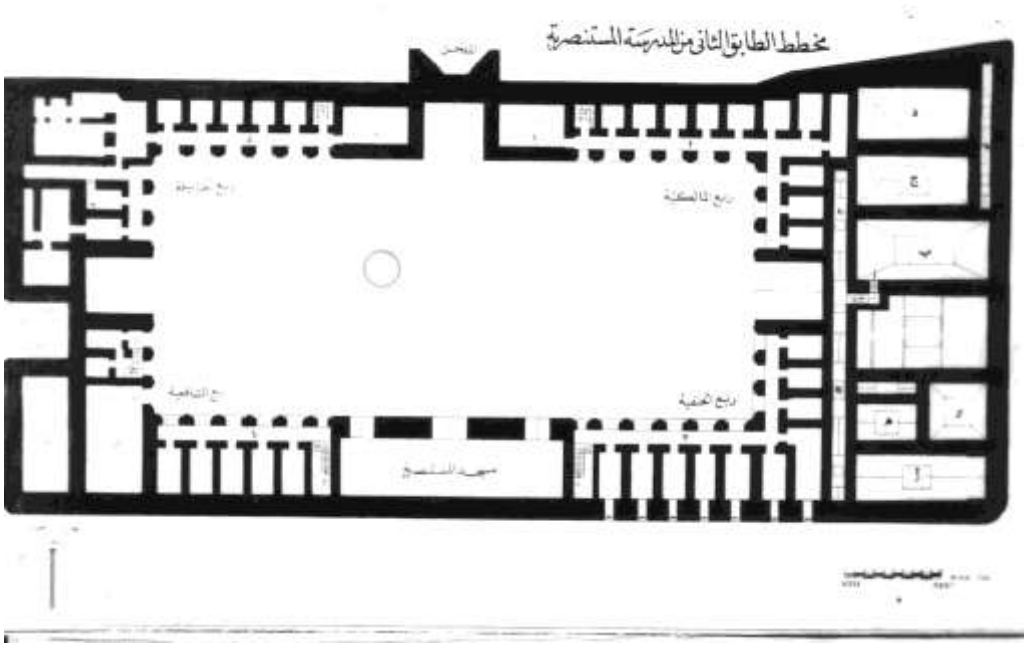
مخطط الطابق الثاني من المدرسة المستنصرية

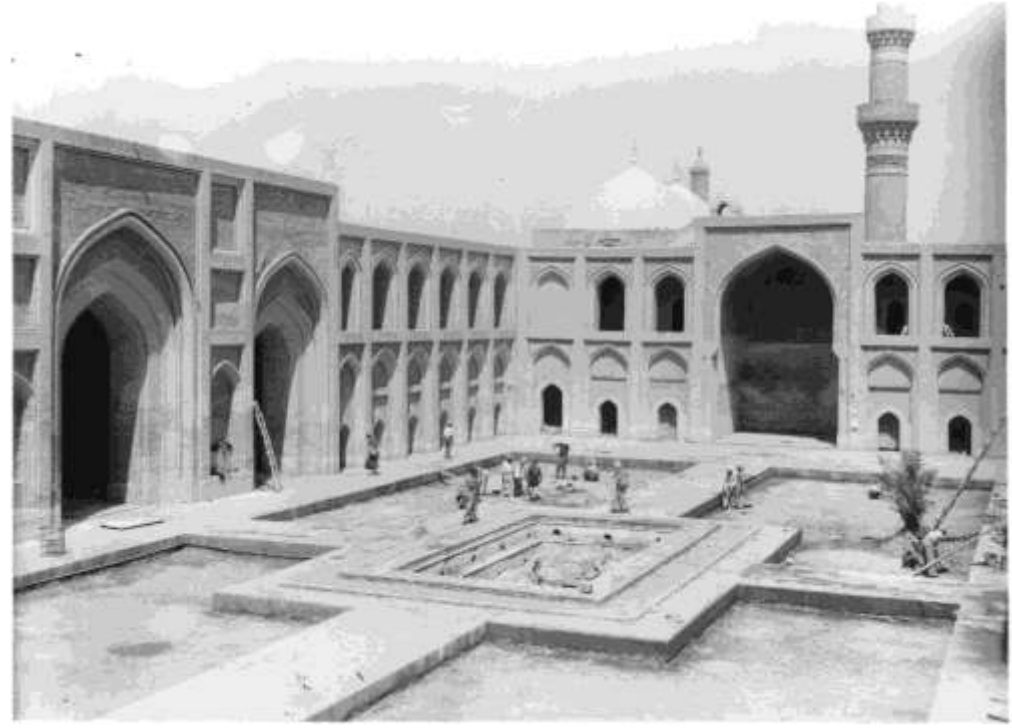

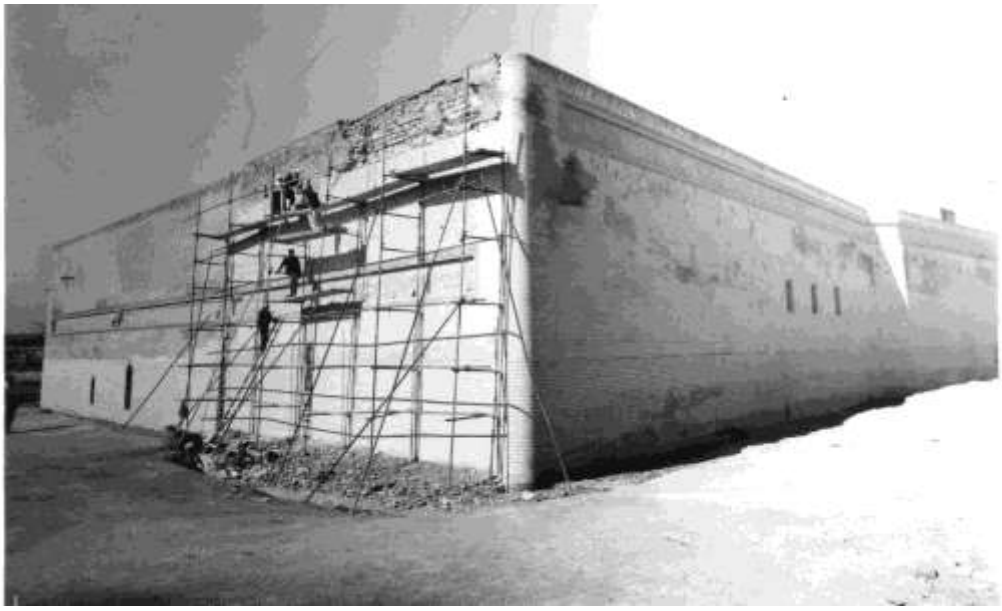

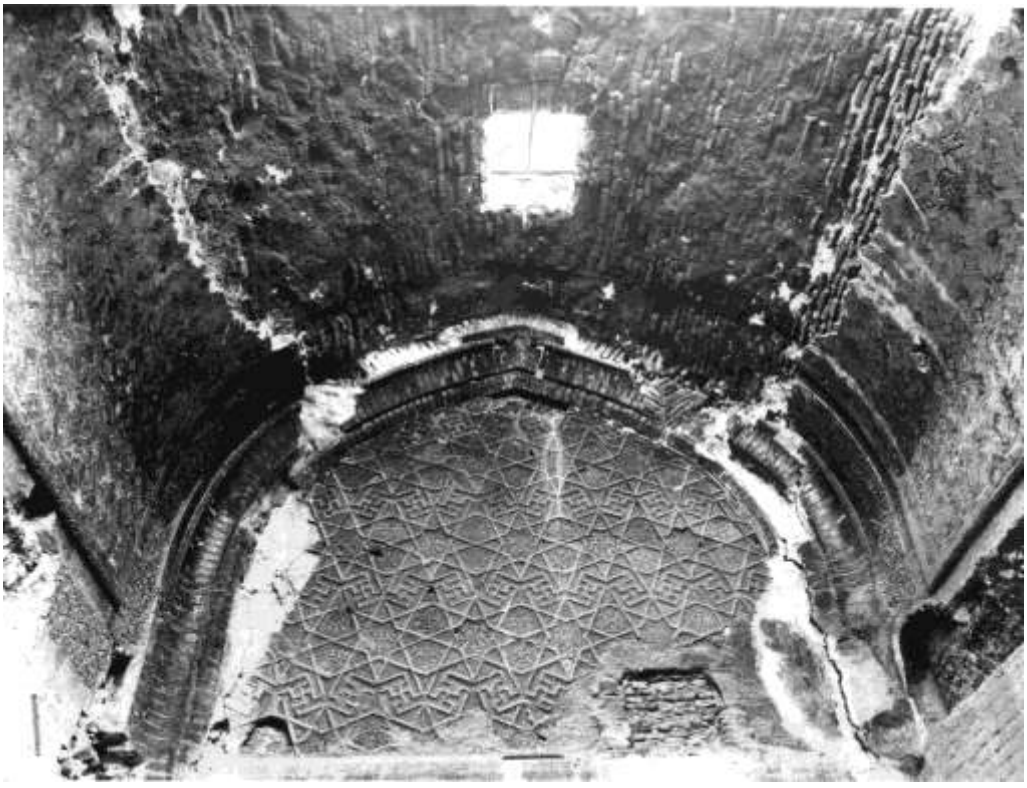

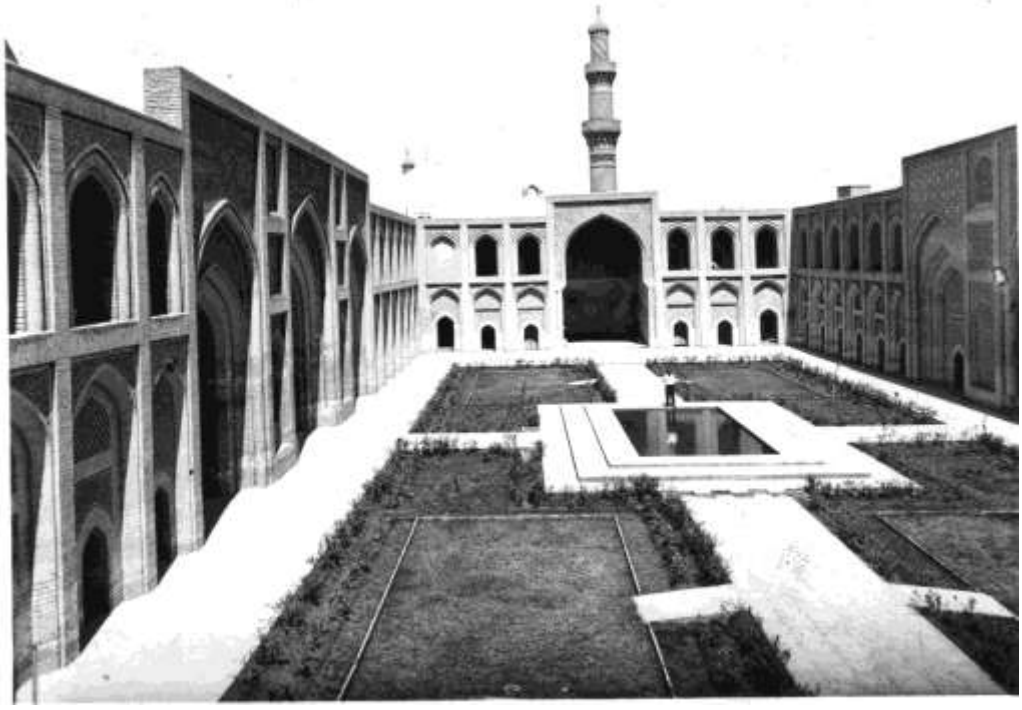

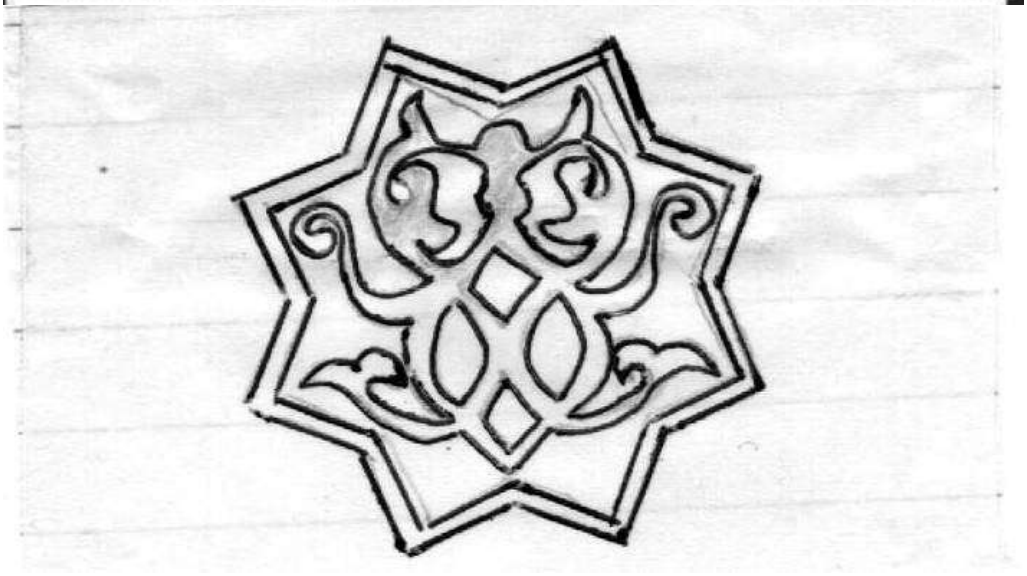

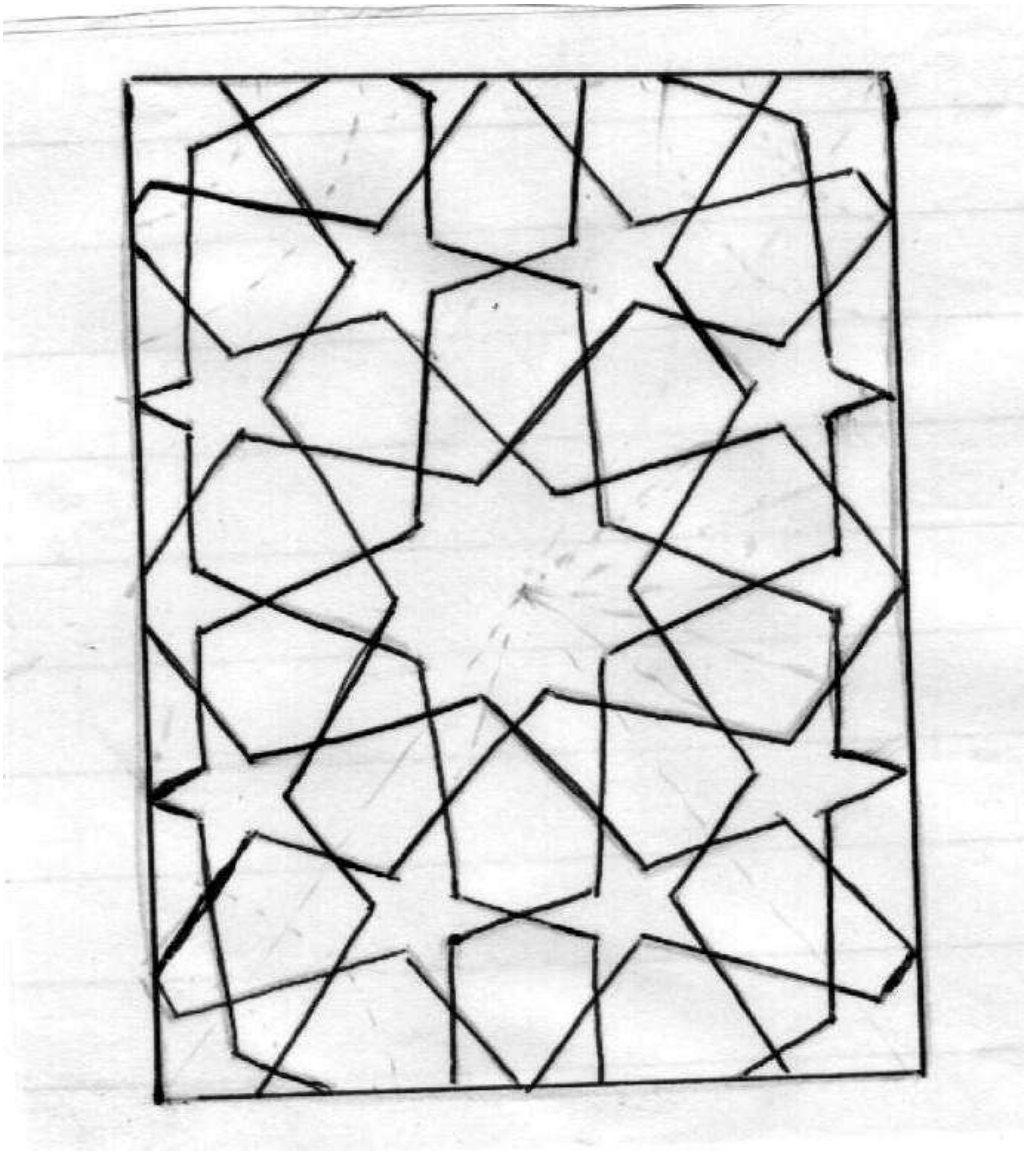

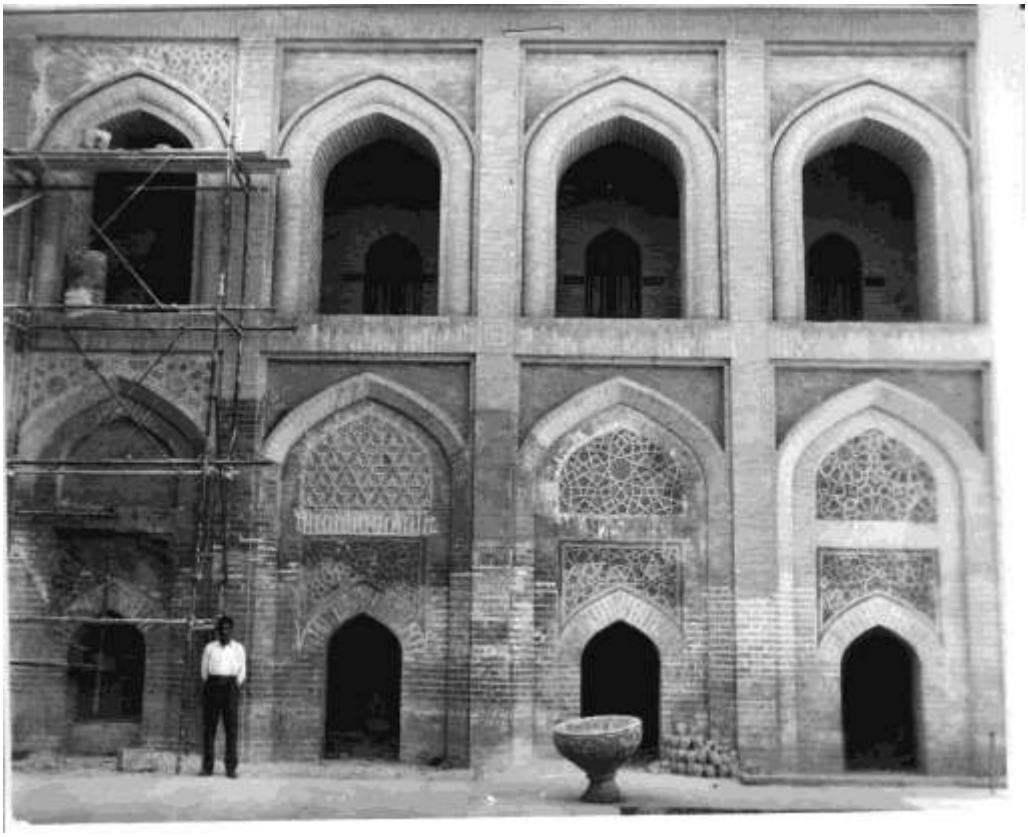

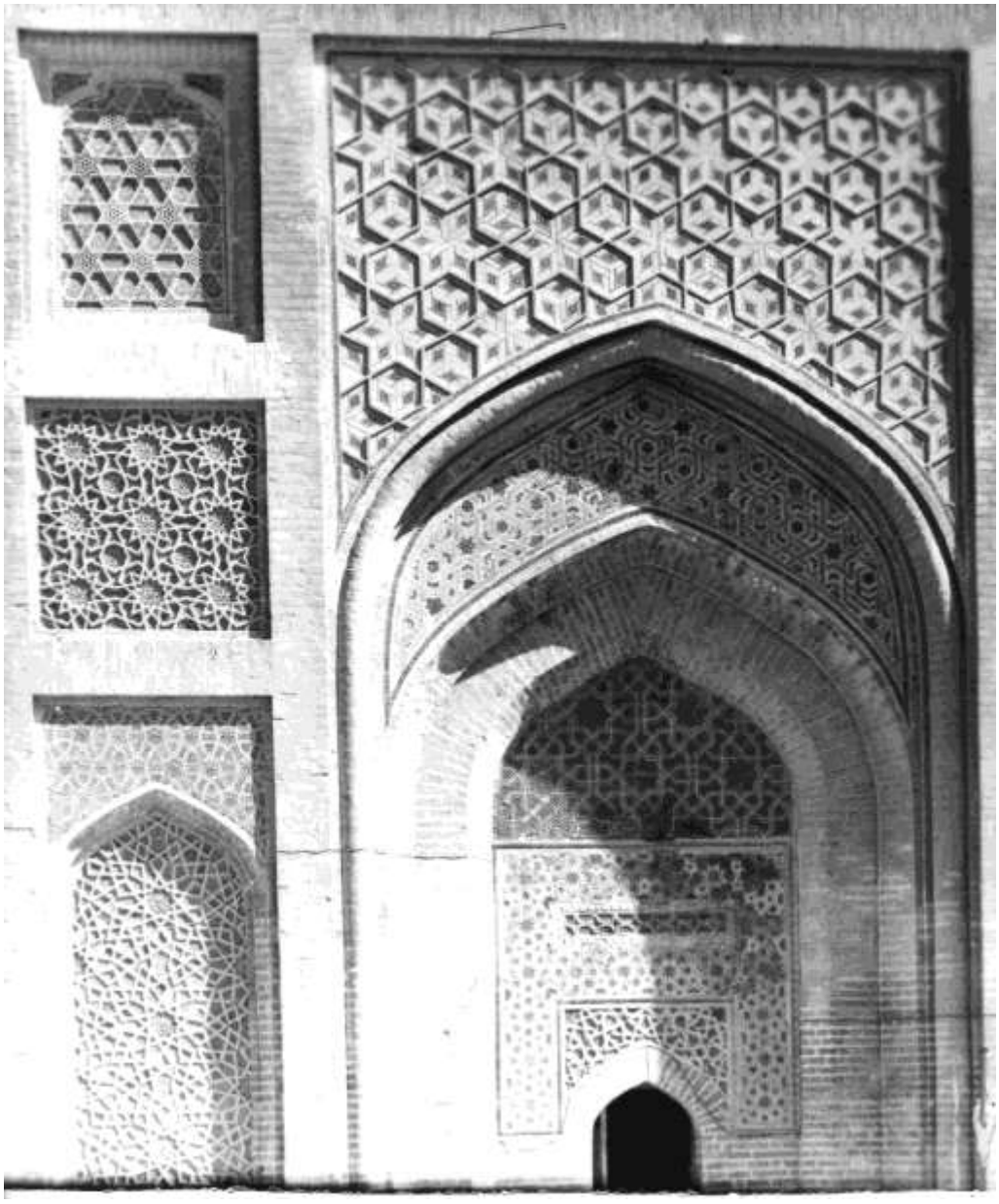

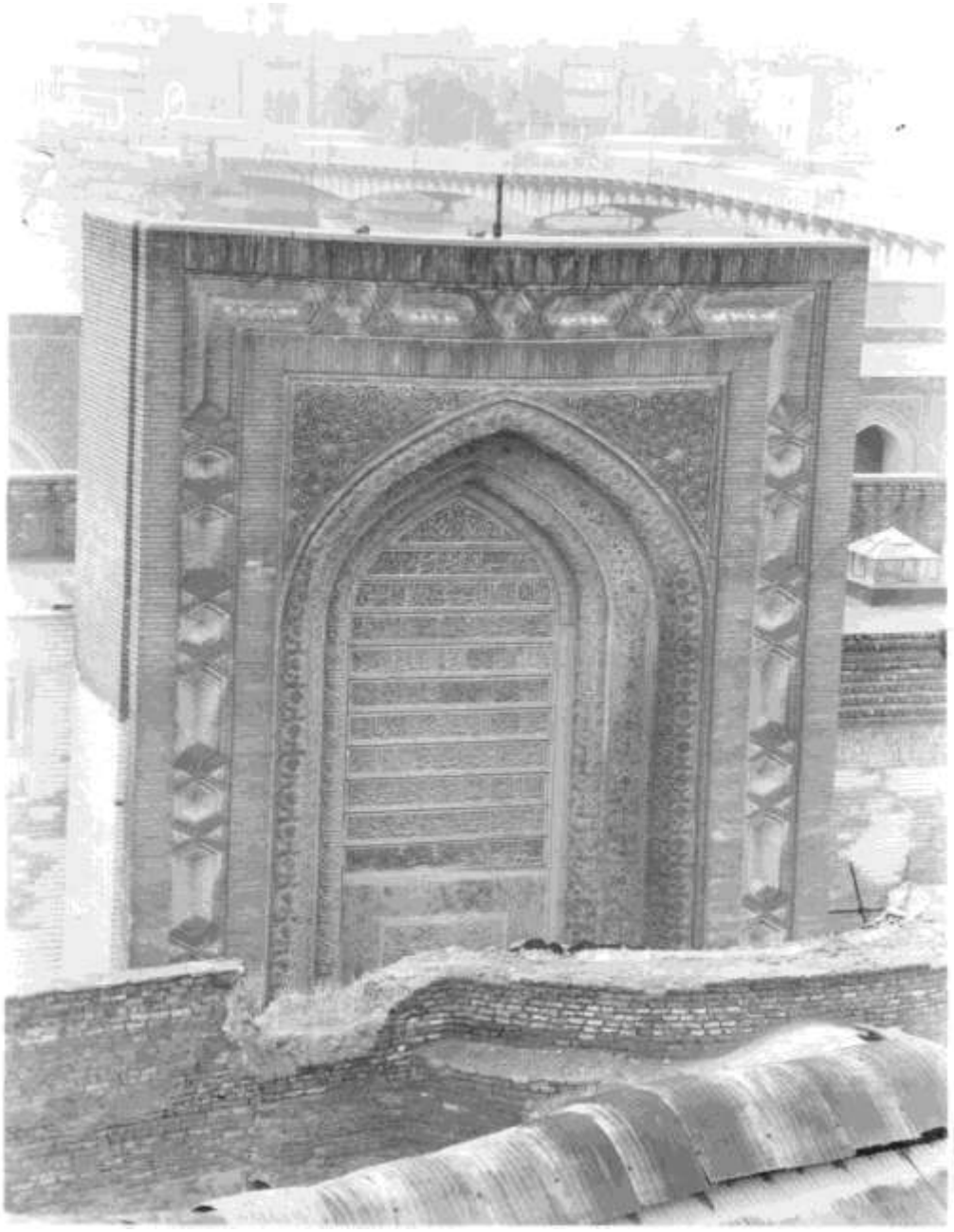

2003

Unpublished Varia From Tell el-Balamon 1978"•

I – Introduction:

In 1978, The University of Mansoura Expedition discovered in the eastern quarter of a populated area at the Tell el-Balamon a variety of objects: many vesseles, a demotic stela, of fragmentary statuttes, scarabs , plaques, amults, coins and bronze objects. Most of these objects date back to Ptolemaic and Roman Periods. The excavations had been carried out under the supervision of Dr. F.A.M., Ghattas, He had published two primary reports on these discoveries[1] .

In addition to Ghattas' publications, I have published a research inculding 69 unpublished pottery vessels from the same excavations.[2]

This paper aims to study other unpublished minor objects discovered in the excavation season of 1978 .

II – Description:

A : Metal Objects:

1 - Hemispherical bowl of copper with external rim and wide-mouth. The round base of this bowl was broken into ten fragments and difficult to reconstructur restor.

Diameter : 20.5 cm

(PL I , fig. 1)

2 - Four smaller copper weights of circular shape with a slighty convex top, covered by rust:

Height No. 1 , 1.8 , Diameter, 1.8 cm.

• د. رضا سيد أحمد ـ مدرس التاريخ القديم ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة.

[1] F. A.M. Ghattas, " Tell el-Balamoun 1978" in : ASAE 68, 1982, P. 45ff , id: "Some Selected Amulets from Tell el-Balamon Abu Gallal " in : ASAE 65, 1983, P. 149ff

[2] رضا سيد أحمد : " أوان فخارية غير منشورة من حفائر جامعة المنصورة بتل البلامون ، كتاب المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب ، دراسات في آثار الوطن العربى (3) ، الندوة العلمية الرابعة ، القاهرة ، 2002 ، ص 166ومابعدها.

Height No. 2, 1.2 cm , Dimeter, 1.2 cm.
Height No. 3, 1.2 cm , Diameter 1.2 cm.
Height No. 4, 1.0 cm , Diameter , 1.0 cm
(Pl. I. fig. 2)

B. Pottery Objects:

1 - A good pottery lamp in lucid shape and a bowl-formed body, plus a long nasus from which a great part was lost. The handle is also broken in a crescent shape. As for the discus. It has a hole for pouring oil surrounded by a deep circle in which there are three in-depth holes, perhaps for ventilation or for inserting certain typs of needles for installing and regulating the burning thread. The lamp's shoulder is decorated by embodied ornamentations. As regards the base of the lamp, it is circular in shape. This lamp's counter part were 1) used during the Ptolemaic and Roman Periods in lighting private homes, public buildings as well as on important occasions. Furthermore, They were 2) given as offerings in the temples or 3) kept with the dead as part of their funeral burials in their graves[3]. Since these objects have been found in a populated area of Tell el-Balaamon, Their first use is more likely.

Maximum Length: 10.5 cm ; Maximum Diameter : 7.0 cm ; Height: 3.2 cm (Pl. I, Fig. 3).

2 - Small pot with circular body, small round base, curve handle, short-necked with external rim which a great part was lost. As for the nozzle, It has narrow and short.

Height 5.6 cm ; Diameter the base 2.3 cm (Pl. I, fig. 4)

3 - Rough dish with a base which has some curves. The surface of this dish was divided into two halves, of which one was

divided into two parts. This dish was broken, but a great part of it was restored.

Hight, 4.5 cm ; Diameter. 18.6 cm (Pl. I fig. 5)

[3] H. B., Walters, History of Anient Pottery, London, 1905, Vol.鈭? 倬ア II ,P.395ff

C : Stone Objects :

1 - Roughly basalt weight of square shape, each side 3.5 cm long (Pl. II, Fig. 1)

2 - Basalt weight of circular shape, with two reliefs in the lip, probably for lifting the weight.

Height 16.2 cm ; Diameter the lip 16.0 cm ; Diameter the base 11.0 cm (Pl. II, Fig. 2).

3 - There basalt kohl-sticks, cylindrical in section with bases larger than the tops.

Stick I: Height 7.0 cn ; Diameter the lip 3.2cm; Diameter the base 4.5 cm

Stick 2 : Height 5.0 cm ; Diameter the lip 2.4 cm ; Diameter the base 3.0 cm.

Stick 3 : Height 4.0 cm ; diameter the lip 1.6 cm; Diameter the base 2.0 cm.

(Pl. II, Fg. 3)

4 - Roughly Limestone sink of rectangular shape. It was broken from the top with some external and internal scratches. Length 38.0 cm ; Height 13.0 cm ; Width 7.8 cm .

Internal Height 10.5 cm

Internal Length 31.0 cm.

(Pl. II, Fig. 4)

5 - Limestone circular column with square base. The top of the column has a simple groove, perhaps to be used for fixing one of the daily use tools or toilet .[4]

Height the base 14.0 cm ; Base length 20.0 cm .

Height the column 32.0 cm ; Diameter 14.0 cm

(Pl. III, fig. 5)

6 - Alabster cylindrical vase with wide mouth and external rim,

[4] For a similar model of a square column and of another in a cylindrical shape from the Roman Period used as a holder for a evaporator, found in Ayn Al-Labakha. See : A. Hussein , Le Sanctuaire rupesture de Piyris, a Ayn Al-Labakha, in : MIFAO 116, 2000, P. 56, Fig. 106-107

the two handles were broken and there were some parts from the base and the lip of the vase aslo were broken on the lip still remained some burns.

Height 6.5 cm; Diameter the lip 3.5 cm

(Pl. III, Fig. 6)

7 - Granite palette of square shape, with roughly base and soft surface.

Side length 8.0 cm

(Pl. III, fig. 7)

D: Terracotta[5]

1 - Female head statutte, corronated y by a headdress, prolonged from the middle and the sides are short and eminent. This female has Greek features and outlooks: round-faced, sharp-nosed, and soft-lipped. The head was broken from the neck, however white colour still remained. The head is hollow from the interior.

(Pl. III, fig. 1)

2 - Upper part of statuette, with unclear Greek features on the face, representing a man raising his right hand to the head. There is a shield on the left shoulder. The statuette probably represented a soldier.

Height 5.0 cm ; Width 6.0 cm.

(Pl. III, Fig. 2)

3 - Terracotta weight in the form of a horse's head[6] with two

[5] Terracotta is a term used by scholars to refer to the shapes made up of burned mud in the Graeco-Roman periods. For more details.
See : P. perdrizet, Les Terres Cuites, grecques dEgypte de collection Fouquet, 2 Vols, Nancy, 1921 S. mollard-Besques , les Terres Cuites grecques, Paris, 1963; R.A. Higgins, Greek Terracottas, Me Thuen's Hand book of Archeology, London, 1967.

[6] For a parallel Limestone weight in the form of a bull's head, discovered at Tell el-Balamon, dating back to the third century B.C.
See: A. J.,Spencer, Excavations at Tell el-Balamun 1991-1994, London, 1996, P. 75 , Pl. 71,5

smaller ears and a straight standing lock of hair. The head was broken under the neck and the detail of the face of the animl were roughly engraved.
Height 5.0 cm ; Width 6.0 cm
(Pl. III fig. 3)

4 - Terracotta piece represented the hieroglyphic sing "hnw"[7].The right leg and the neck of the animal are not clear-cut. It was broken and on one of its sides are remnants of burns. This piece was probably used as a bolt or lock[8].
Length 7.0 cm ; Width 3.4 cm
(Pl. III, Fig. 4)

5 - A headdress similar to a clump of papyri on which there are remainders of a white stuff, perhaps for ornamenting the head of a statuette such as the above – mentioned female statuette.
Hieght 9.3 cm
(Pl. III, Fig. 5)

6 - Roughly net-sinker or loom weight of terracotta, circular in shape with central perforation.
Length 7.8 cm ; Diameter 6.2 cm
(Pl. III, Fig. 6)

Analysis:

1 – Weights:

In the previous varia several pieces have become prominent as being used in weights made up of diverse materials, different shapes and various sizes : for of copper (A 2)' two of basalt (C. 1,2) two of terrcotta (D. 3,6) . Spencer has found in his own excavation

[7] About this sign, which reperesented the skin of a goat,
See: A. Gardiner, Egyptian Grammar, 3 rd ed., Oxford, 1978, Sing-List, No.F 26

[8]For a parallel iron piece discovered from the same hill dating back to the Ptolemaic period, and usd as a key, See : A.J. Spencer, Op. Cit., P. 83, Pl. 77 .

in the same hill other pieces similar to these in a house for the ptolemaic period[9].

This possibly signifies that Tell el-Balamon city had witnessed great economic and commercial activities owing to the buy-sell transactions. In addition, there are the commercial exchange with its neighbours. This supported by its location (5 kilometers west of the Damietta branch and 19 kilometers south of the Mediterreanan. The City was the capital of the 17th region of the delta, since the New kingdom.[10]

Some Delta cities shared the same destiny such as Naukratis which "Herodotus" described as the Sole port in Egypt[11] and Defenneh in which "Petrie" had found several stone pieces of diverse shapes and sizes, used in weights.

Some of pieces found resemble those found in Tell el-Balamon [12] Furthermore, there is the city of Sais in which the Mid-Delta Mounments Expedition in the season of 1999-2000 has found different and various types of sizes and shapes of weights from the Graeco-Roman. These are an eyewitness for what Sais has enjoyed during this period in the form of economic and commercial activities.[13]

2 - Toilet Tools:

Three basalt sticks are found and square granite palette used by their owners for grinding green kohl for eye-make-up and

9

10

11 Herodotus, II , 179For Furthrer Commercial Zones in the Delta.

See, Sobhy A. Younis, Hellenic Minorties in Acient Egypt during the Late Period (664-332 C) Unpublished Thesis, Cairo University, 199, P. 254 f.

12 W.F. Petrie , Yanis, Paart I, London, 1888, P. 81 ff. Pl. XLVI, 9, 10, 27.

13 مجدى إسماعيل عبد العال : سايس فى العصر اليونانى الرومانى ، المؤتمر السادس لجمعية الآثار بين العرب ، كتيب البرنامج وملخصات بحوث الندوة العلمية الخامسة ، القاهرة ، 2003 و ص 45 ومابعدها .

For more details about Sais, See, J.Malek.Sais , in: LAV, 1984, S,.355ff

reducing the negative effect of sun-rays and eye diseases.[14]

3 - Vessels :

The previous varia also contain some various and diverse vessels in terms of their shape, materials and uses. The sink made up of limestone resembles the shape of sarcophagus (C.4) which was probably used by its owners for its depth and width for purification and purgation.

On the otherhand, the vessels made up of copper (A.1) and alabaster (C.6) were probably used for keeping fats and fragrances. This follows the model used by the ancient Egyptians in using such precious vessels very long times ago. This is further enhanced by the humble remains of rotted fat materials inside the alabaster vessel.

As for the pottery-made dish (B.3) whose upper surface is divided into two equal halves of which a half is sub divided into two parts. This may have been one of the table utensils whose divisions were used for keeping and using different kinds of food. The pottery-made bowl in the shape of a pot (B.2) was also probobly used as a table utensil for pouring liquids through its nozzle. Such a bowl with a narrow and short nozzle was in common used in Palestine and Syria ages ago[15]. Such a type appeared in Egypt since the age of Merimda-Beni-Salama.[16]

Conclusion:

The present varia shed light on as do the previous explorations on the political economic and cultural importance of

14 For more details about the palettes and the Egyptians' use of them since the age of Tasian Culture , See, W. Westendorf, Paletten, in LAIV, 1982, S.654ff
أنور شكرى ، الصلايات ، تطور أشكالها ونقوشها ، وما توخاه منها المصريون من أغراض ، القاهرة ، 1952، ص 1 ومابعدها .

15 H. Kantor, "The early Relations of Egypt with Asia" in JNES I, 1942, P. 174 ff.

16 H. Junker, Merimde, 1939, Abb 9,K. L; West Delta, 18-19, Abb XX.

the city of Tell el-Balamon, as the capital of an important region in the east delta. (The 17th region) have played a vital economic and commercial role mainfest in the number of weights uncovered. This paramovnt importance has continued through the Graeco-Roman periods.

This commercial role has perhaps enriched the population as manifest in the individuals use of toilets furthermore, lamps, locks and bolts were indicative of richness and wealth.

The soldier statutte and corronated female statutte both in Greek features indicate diversity in the demography of the city. The rough manufacture of the majority of these varia indicate that they are locally made in the city by a group of laborers working in this populated areas.This supported by discovering an furnaces area or pottery of factory in this excavations .[17]

[17]F.A.M. Ghattas, in: ASAE 65, 1983,p. 152.

Plate III

Plate II

Fig. 1

Fig. 2

Fig. 3

Fig. 4

Fig. 5

Fig. 6

Terracotta

Plate 1

Fig. 1

Fig. 2

Metal Objects

Fig. 3

Fig. 4

Fig. 5

Pottery Objects

Plate II

Fig. 1

Fig. 2

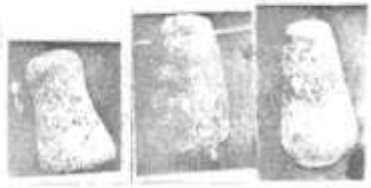

Fig. 3

Fig. 4

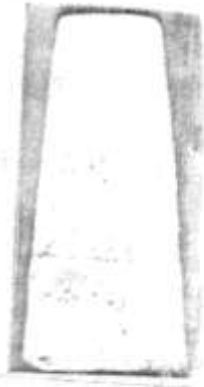

Fig. 5

Fig. 6

Fig. 7

Stone Objects

GENERAL ARAB OF ARCHAEOLOGY

ARAB COUNCIL FOR GRADUATE STUDIES AND SCINTIFIC RESEARCH

GENERAL ARAB JOURNAL OF ARCHAELOLGY

VOLUME 4 - JANUARY 2003